

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ مَلَكُوتٌ مُّغْتَمِقٌ يُغْتَمِقُونَ فِيهِ هُمْ فِيهَا مُّثَبَّتُونَ

عبدالله بن محمد

المجلد الخامس

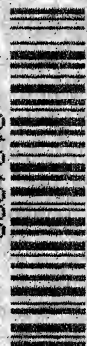
تاریخ

سَمَاءُ سَيِّدَةِ الْكَيْتِ أُمُّ قُرَيْشٍ رَضِيَ

إلى الله المرجع السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

فانا نأمر الله علينا من بركاته نفسه القدر المستحق

والله اعلم بالصواب



1. The first part of the document is a list of names and addresses, which are arranged in two columns. The names are written in a cursive script, and the addresses are written in a more formal, printed style. The list includes names such as "John Smith", "Mary Jones", and "Robert Brown", along with their respective addresses.







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكتبة الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى  
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م



دار الهجرة البيضاء، للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان مس. ب: ١٤/٥٤٧٩

هو العلم

موسم المعارف السنوية  
٣

# معرف للمعارف

لجزء الخامس

الهيئة

سماحة القامة الزجل

اية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

اذا صدر له عيسى من بركات نفسه القدرية

تعريب

عبد الرحيم مبارك

دار المحجة البيضاء

الهيئة العامة للكتابة الاسكندر

رقم التسجيل

٤٠٩٨٦

رقم التسجيل

الحسيني الطهراني ، السيد محمد الحسين ، ١٣٤٥ - ١٤١٦ هـ .  
معرفة المعاد / لمؤلفه السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني . - بيروت :  
دار المحجة البيضاء ، ١٤١٥ هـ .  
١٠ ج . ٢٦٥ ص . - (دورة العلوم والمعارف الإسلامية : ٣)  
الطبعة الأولى : ١٤١٧ هـ .

العنوان .

٢٩٧/٤٤

٥٩٢٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مؤسسة ترجمة ونشر (دورة العلوم والمعارف الإسلامية)

بن تائبات

العلامة آية الله الحاج السيد محمد الحسين الطهراني

دورة العلوم والمعارف الإسلامية (٣)

معرفة المعاد

الجزء الخامس

المؤلف : سماحة العلامة الزاحل آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني  
الطهراني قدس الله نفسه الزكية

تعريب : عبد الرحيم مبارك

الطبعة الأولى : ١٤١٧ هجرية

عدد النسخ : ٢٠٠٠

الناشر : دار المحجة البيضاء

تمت ترجمة وطبع هذا الكتاب بإشراف «مؤسسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف  
الإسلامية» من تأليفات العلامة آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني  
وجميع حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة . مشهد المقدسة - إيران ص . ب ١١٤٩ / ١٣٧٥



الفهرست



فهرس مطالب و موضوعات  
معرفة المعاد  
الجزء الخامس

المطالب	الصفحات
المجلس السابع والعشرون :	
ظهور الموجودات عند إشراف القيامة بربط أنفسها بالله تعالى	
الصفحة ٣ إلى الصفحة ٣٣	
يشمل المطالب التالية :	
٥	تجلّي الجبال يوم القيامة في هيئة السراب
٧	الموجودات أشبه بالسراب عند حلول القيامة
٩	صفات الله وأسمائه لا تختلف في الدنيا ويوم القيامة
١٣	ظهور التوحيد يوم القيامة
١٥	موجودات هذا العالم تمتلك جانبي الوجه الخلقي والوجه الإلهي
١٧	علّة ظهور نور التوحيد يوم القيامة
١٩	فقدان الموجودات شخصيّتها وكيانها عند ظهور نور التوحيد

## معرفة المعاد (٥)

المطالب	الصفحات
نور التوحيد هو الظاهر الوحيد يوم القيامة	٢١
مقولة أمير المؤمنين عليه السلام في التوحيد	٢٣
الشراب الطهور الملكوتي لسالكي طريق لقاء الله تعالى	٢٥
ظهور نور التوحيد في المقرّبين والمخلّصين	٢٧
الإعراض عن ذكر الله يسبّب العمى يوم القيامة	٢٩
نجاة عمران بن شاهين من عضد الدولة ببركة أمير المؤمنين	٣١

### الدرس الثامن والعشرون :

خفاء جانب وجه الخلق وظهور جانب وجه الله في القيامة

الصفحة ٣٥ إلى الصفحة ٦٩

يشمل المطالب التالية :

كل شيء هالك وفانٍ فعلاً عدا وجه الله تعالى	٣٧
الوجه الخلقي للأشياء فانٍ على الدوام ، ووجهها الإلهي باقي على الدوام	٣٩
الروايات الواردة في فناء الوجه الخلقي وبقاء الوجه الربّي	٤١
إحياء جبرئيل شخصين ميّتين لرسول الله في البقيع	٤٣
الإشكالات الواردة على انعدام الزمان بين نفخي الصور	٤٥
الطريق الوحيد لحلّ الإشكال في روايات نفخ الصور المحددة بزمن معيّن	٤٧
اثنيّتان جانبي الوجه الخلقي والوجه الإلهي بلحاظ النظر الاعتباري والحقيقي	٤٩
الوجه الخلقي مجازي ، والوجه الإلهي حقيقي	٥١
لو جرى النظر إلى عالم الخلق بالنظرة التوحيدية لظهر عالم الأمر	٥٣
عدم مشاهدة فناء الموجودات في ذات الله ناشئ عن الحول في النظر	٥٥
قصّة العطار وزيت الزيتون والمستخدم الأحوال	٥٧
جميع الناس - عدا أهل التوحيد - يُشركون بالله في أعمالهم	٥٩

## فهرس المطالب و الموضوعات

المطالب	الصفحات
ندم المشركين عند طلوع وجه الله تعالى	٦١
جوانب الوجه الخلقي لا تفيد ظهور الوجه الإلهي	٦٣
القيامة هي محل إدراك توحيد الله لا محل التوحيد	٦٥
أشعار حافظ الشيرازي في تجلي توحيد التوحيد الإلهي	٦٧
القرآن يعتبر جميع عوالم الخلقة آيات لله ، أي وجه الله تعالى	٦٩

### الدرس التاسع والعشرون :

المعاد هو العود إلى الله وشهود وجه الله تعالى

الصفحة ٧٣ إلى الصفحة ١٠١

### يشمل المطالب التالية :

الروايات الواردة في إمكان القضاء على حجاب الظن ورؤية وجه الله تعالى	٧٥
في معنى كلمة لا إله إلا الله حصني ، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي	٧٧
نور الله تعالى ووجهه مشهودان للجميع يوم القيامة	٧٩
المعبودون ينكرون يوم القيامة عبادة المشركين لهم	٨١
المشركون يقولون يوم القيامة : لقد كنّا نعبد الله تعالى	٨٣
المشركون عبدوا الوجه الخلقي لا الوجه الإلهي	٨٥
علم الله وقدرته مشهودان للجميع يوم القيامة	٨٧
القلب السليم قلب ليس فيه إلا الله تعالى	٨٩
الأفراد الذين مكّنوا غير الله من قلوبهم ابتلوا بالعذاب	٩١
معنى تجلي توحيد الله وعظمته يوم القيامة ومحجوبة المشركين	٩٣
المؤمنون والكافرون في معرضي التجليات الجمالية والجلالية	٩٥
أثر انحرافات العاصين مشهود يوم القيامة	٩٧
الركبان في المحشر : رسول الله وصالح وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء	٩٩

## معرفة المعاد (٥)

المطالب	الصفحات
---------	---------

١٠١	الولاية الكليّة لأمر المؤمنين وتحققه بالوجه الإلهي
-----	--

### الدرس الثلاثون :

القيامة ليست في عرض عالم الزمان ، بل محيطه به

الصفحة ١٠٥ إلى الصفحة ١٢٦

يشمل المطالب التالية :

١٠٧	أتان يوم القيامة ؟ وأين مكانها ؟
١٠٩	تمثيل الحجاب بين عالم الطبع وعالم القيامة بجدار طويل ممتدّ
١١٣	حجاب الصورة هو الفاصل بين البرزخ والقيامة
١١٥	القرآن والأخبار تقول : القيامة قريبة
١١٧	الآيات القرآنية الكريمة الدالة على اقتراب يوم القيامة
١١٩	أهل المحشر يرون الدنيا والبرزخ قرييين من القيامة
١٢١	المجرمون في النار ، إلّا أنهم لا يدركون احتراقهم من سكر الشهوة
١٢٣	إظهار الله سبحانه لنعم الجنة الكامنة في النفوس
١٢٥	المقام المحمود يوم القيامة هو مقام الشفاعة الكبرى

### الدرس الحادي والثلاثون :

القيامة عالم النور والإشراق وظهور الحقائق

الصفحة ١٢٩ إلى الصفحة ١٥٣

يشمل المطالب التالية .:

١٣١	في تفسير الآية : وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا
١٣٣	الأشياء برمتها ظاهرة ومشهودة لجميع الأشياء يوم القيامة
١٣٥	شرح حديث أمير المؤمنين عليه السلام : صور عارية عن المواد

## فهرس المطالب و الموضوعات

المطالب	الصفحات
أشعار حافظ الشيرازي في كيفة نشوء الإنسان وعالم الملكوت	١٣٧
شرح كلام أرسطو بشأن موجودات العالم العلوي	١٣٩
نفس الإنسان الناطقة تحصل في مقام كمالها على الإحاطة بالموجودات	١٤١
بيان مقام الإنسان ومنزله في أشعار سعدي الشيرازي	١٤٣
في رحاب الآية : ... فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ	١٤٥
كيفة تلاءم عالم القيامة وإطلاع النفوس بعضها على بعض	١٤٧
على النفس أن تنزّه عن الأدراّن لتتنوّر بنور الله تعالى	١٤٩
تفسير الآية : وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ	١٥١
كيفة نزول نور التوحيد والولاية في عالم الإمكان مشهود لأهل القيامة	١٥٣

### الدرس الثاني والثلاثون :

#### الكفّار والفجّار محجوبون في القيامة في عين النور والإشراق

الصفحة ١٥٧ إلى الصفحة ١٧٩

#### يشمل المطالب التالية :

القرآن الكريم يقول: إِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ	١٥٩
الإعراض عن ذكر الله يوجب العمى والمعيشة الضنكى في الآخرة	١٦١
النور في الآخرة يجب اصطحابه من الدنيا	١٦٣
المنافقون يتخبّطون في الظلمات يوم القيامة	١٦٥
هل المؤمن البصير العالم كالكافر الأعمى الجاهل ؟	١٦٧
الكفّار في الظلمات يوم الحساب مع أنّ القيامة تمثل عالم النور	١٦٩
كلّ عمل للمؤمن هو ورود في عالم النور ، وكلّ عمل للكافر ورود في الظلمات	١٧١
الكفّار يحلفون كذباً يوم القيامة	١٧٣
كيفة عبور النور من الهويات والماهيات الإمكانية	١٧٥

## معرفة المعاد (٥)

المطالب الصفحات

١٧٧ المغيرة بن شعبة يُغالط متعمداً

### الدرس الثالث والثلاثون :

قيام الإنسان في ساحة الله عز وجل ومحضره

الصفحة ١٨٣ إلى الصفحة ٢١٠

يشمل المطالب التالية :

- ١٨٥ عود الإنسان بكل وجوده وأرجاء كيانه
- ١٨٧ إعلان المعاد من قبل الأنبياء لم يكن لإخافة الناس وإفزعهم
- ١٨٩ عجائب خلقة الإنسان ليست أقل من عجائب عودته إلى الله
- ١٩١ آيات القرآن الكريم في خلق الإنسان وبعث الأرض في الربيع
- ١٩٣ عجائب خلقة بدن الإنسان دالة على وحدانية الله وحفائته
- ١٩٥ عجائب مرحلة تكامل الجنين دليل على المعاد
- ١٩٧ في تفسير الآية : ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى
- ٢٠١ أشعار هاتف الإصهاني في حقانية الباري تعالى
- ٢٠٣ الموجودات بأسرها معجزة ؛ ولا اختصاص للإعجاز بإحياء الموتى
- ٢٠٥ الفرائب والعجائب قد ملأت أرجاء عالم الوجود قاطبة
- ٢٠٧ إشكالات المادتين على المعاد لا تعدو كونها تراه مستبعداً
- ٢٠٩ مراحل تكامل الإنسان أو قيام القيامة وظهور الآيات الأنفسية

### الدرس الرابع والثلاثون :

إنكار الطبيعيين لأمر المعاد لا يستند إلى أسس علمية

الصفحة ٢١٣ إلى الصفحة ٢٥٩

يشمل المطالب التالية :



## فهرس المطالب و الموضوعات

المطالب	الصفحات
المسائل العلميّة ينبغي أن تعتمد على مقدّمات يقينيّة	٢١٥
القرآن الكريم يُقيم وزناً لاتباع اليقين دون غيره	٢١٧
لا أثر للمعجزات ما لم يعدّ الناس أنفسهم في اسرارهم وذواتهم	٢١٩
قصة الوليد بن المغيرة وإنكاره رسول الله مع قيام الدليل والبرهان	٢٢١
ردّ منكري الله والمعاد على أساس الاستكبار	٢٢٣
حفظ القرآن إحدى معجزات رسول الله	٢٢٥
رسول الله يكرّر عند الحاجة عبارات نطق بها قبل سنوات عديدة	٢٢٧
قصة أصحاب الكهف من منظور قرآنيّ	٢٢٩
قصة أصحاب الكهف وفق رواية وتفسير عليّ بن إبراهيم القميّ	٢٣١
أصحاب الكهف والرقيم جماعة واحدة	٢٣٣
عدد أصحاب الكهف وأسمائهم	٢٣٥
أين كان كهف أصحاب الكهف ؟	٢٣٧
هل كان محلّ أصحاب الكهف كهف إفسوس ؟	٢٣٩
الكهف الوارد في القرآن كهف إفسوس أو كهف رجب ؟	٢٤١
ما هو العصر الذي عاش فيه أصحاب الكهف ؟	٢٤٣
هل مات أصحاب الكهف أم ناموا بعد استيقاظهم ؟	٢٤٧
علّة دخول أصحاب الكهف فيه	٢٤٩
الحكمة في قصة أصحاب الكهف ، عرض مشهد من البعث والمعاد	٢٥١
إنكار المعاد لا يتعدّى الاستبعاد فحسب	٢٥٣
يوم القيامة يوم الفصل والحكم بالحقّ	٢٥٧
فهرس تأليفات المؤلّف	٢٦٣



الْجُلُوسُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

ظُهُورُ الْمَوْجُودَاتِ عِنْدَ اشْرَافِ الْقِيَامَةِ

يَرْبُطُ أَنْفُسَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم  
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين  
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :  
وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي  
أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ١  
الآيات الدالة على أنّ السماء والأرض والجبال والبحار وموجودات  
السماء والأرض .. تفنى وتتلأشى وتتبدّد جميعها عند ظهور القيامة كثيرة  
جدّاً في القرآن الكريم ، وقد ذكرنا بعضاً منها قبلاً .  
ونقرأ في الآيتين ١٩ و ٢٠ ، من السورة ٧٨ : النبأ :  
وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا \* وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا .  
حيث إنّ السراب بمعنى الباطل والوهم مقابل الماء ؛ السراب يعني  
الماء الخيالي والوهمي . فالسراب يطلق على الشيء الذي لا حقيقة له ،  
والذي أظهر نفسه وتجلّى في خيال الإنسان بصورة الواقع والحقيقة ،  
والسراب الحاصل في الصحارى والفيافي صورة للماء ، حيث تسطع  
الشمس على الأرض بأشعتها وحرارتها ، فيحصل للمناطق المغطاة بالرمل

---

١- الآية ٨٨ ، من السورة ٢٧ : النمل .

والحصى بريق ولمعان يخاله الناظر من بعيد ماءً ، فإذا اقترب منه تبين أنه ليس ماءً حقيقياً ، بل كان ماء خيالياً موهوماً .

يقول تعالى في هذه الآية إنَّ الجبال تصبح سراباً ، أي : باطلاً ووهماً ؛ مع أنَّ الجبال لو سُحقت وذُرت بين السماء والأرض كالعهن المنفوش ، ولو صُبت في البحار ، فإنها - مع ذلك كله - لن تكون باطلاً ووهماً ، بل هي حقيقة خرجت من صورة إلى صورة أخرى .

إنَّ الآية التي ذُكرت في مطلع البحث هي الآية التالية لآية نفخ الصور :

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُفِخَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ \* وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ<sup>١</sup>

ولما كانت هذه الآية تالية لآية نفخ الصور ، فإنها تريد عرض منظرٍ من مناظر القيامة ، وهو منظر سير الجبال .

وإذا كان هذا السير حقيقياً ، فإنَّ ذلك الزمان الذي تنفطر السماء فيه ، وتنشق الأرض وتفور البحار ويتصاعد اللهب منها ، وتحينُ زلزلة الساعة فتزلزل الناس بشدة بحيث تذهل كلُّ مرضعة عما أرضعت ، وتضع كلُّ ذات حمل حملها ، هو زمان ليس فيه من معنى لـ «وتحسبها جامدة» . ذلك أننا نعلم أنَّ الجبال في حركة وسير وارتعاش وتزلزل واندكاك . وحينئذٍ ينبغي له أن يقول : وَتَرَى الْجِبَالَ مُتَحَرِّكَةً مُتَزَلِّزَةً لَا تَسْتَقِرُّ بِشَيْءٍ .

فيتضح من قوله : وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، أنَّ الجبال قد حفظت ظاهرها ، وأنها تستقر في أماكنها بصلافة

١- الآيتان ٨٧ و ٨٨ ، من السورة ٢٧ : النمل .

وعظمة ومثانة .

أما من حيث الواقع فإنّها في سير وتجوّال ، ولها حكم السراب ، وتشير بوجودها التكويني إلى أنّها لا تمتلك في الحقيقة استقلالاً وجودياً ، وأنّ وجودها الاستقلالي ليس إلّا سراباً ، بل وجودها الحقيقي هو الارتباط بالحقّ تعالى .

ويشهد على هذا المعنى ذيل الآية ، حيث يقول :

صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ .

وهو شاهد على استقرار الجبال وإحكامها ، لا على زوالها واندكاكها ودمارها . ويمكننا أن نستفيد من هذه الآية أنّ الموجودات تتجلّى للإنسان عند طليعة القيامة بصورة السراب وهيئته ، وأنّ الموجودات الجامدة التي ظاهرها الاستقلال في الوجود تُرى في حالة السير والحركة والاضمحلال . -إذن - ستلاشى تلك الأبتة والجلال والعظمة والاستقلال التي كانت مشهودّة في الأشياء ، فلا استقلال للأشياء في وجودها بعد ، وهذا هو في الحقيقة كون الموجودات سراباً وباطلاً ووهماً .

إنّ جميع الموجودات - بلا استثناء - قبل ظهور القيامة وطليعتها ، وقبل انكشاف الحقائق هي موجودات مستقلة في نظر الناس ونظر مشاهديها ، ولها تشخص وهويات خاصّة ، حيث جاءت الآية الكريمة وَتَحْسَبُهَا جَامِدةً لبيان هذه الحقيقة .

أما عند ظهور وبروز مقدمات القيامة وآثارها ، فإنّها تفقد هذا المعنى لدى الناس وتصبح في هيئة السراب ، فتُدمغ بأجمعها بخاتم الفناء والبطلان والزوال .

والآية الكريمة : صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ . دالة على حقيقة ارتباط الموجودات بالله تعالى ، ذلك الارتباط المتقن والمتين والممتنع

زواله بأي وجه من الوجوه . فهذه الآية لا تريد الإيحاء أن السماء والأرض والشمس والقمر تبدو عند المحتضر كذا وكذا .

كأن تقول مثلاً إن الشمس ثابتة وطيدة في مكانها ، إلا أنها تبدو للمحتضر الذي يوشك أن تقوم قيامته مُعْتَمَةً مُنْكَسِفَةً ، كما يبدو له القمر منخسفاً . وإنه وهو يعالج سكرات الموت في حال اضطراب وتشويش ، يمسك الندم والحسرة بتلابيبه ، أمام عمرٍ قضاه في الدنيا ، وقلبٍ وهبه لها وتعلق بها ، فلقد اعتاد أن يرى أمامه في الدنيا نور الشمس الزاهر ، والقمر اللامع ، ومنظر النجوم المتألثة ، والمناظر الخضراء النظرة والمياه المنعشة ، هذه المناظر التي أنس بآثارها وبغيرها ، فهو يريد الآن أن يدعها ويرحل ، ويدفنها في مقبرة النسيان حالاً . فهذا الموت والارتحال سيكون مُرّاً وقاسياً عليه إلى الحد الذي ستبدو معه الشمس منكسفة أمامه ، وسيبدو القمر منخسفاً ، وتتساقط النجوم ، وتفور مياه البحار وتتأجج ناراً .

تماماً كما يقول أحدنا في محاوراته : إن الأرض قد انشقت أمامي إثر الحادثة الفلانية ، وإن السماء انهذت على رأسي ، وإن النهار المضيء الأبلج قد أظلم في عيني ؛ فهذه الأمور مشهودة حقاً عند بعض الأفراد الذين يُصابون بخسارة ومُصيبة ، إذ يلوح النهار المضيء يلوح في أعينهم مُظلماً حقاً ، ويتبدل الطعام اللذيذ في مذاقهم سماً زعافاً .

إن الأم التي فقدت طفلها لو أخذت للنزهة وأجلست على ضفة نهر ، أو بجوار حوض من الماء ذي رونق جميل خلّاب من أجل الترفيه عن النفس ، فإن تلالؤ الأمواج سيبدو في عيناها كأنته بريق السنة نار جهنم وشررها المتطاير ، وسيكون كل نسيم يهب مداعباً الحشائش وأوراق الشجر كالمشرط الذي يجرح روحها . فما الذي تدركه - يا ترى - من النزهة والتسلية ؟ إنها تحترق الآن لفراق أعزّ أحبائها ، فالدنيا مظلمة خاوية في



عينها ، وسقوف عمارتها العظيمة الفخمة منهاره على رأسها ، وأصوات الطيور والبلابل الساحرة في زقزقتها وشدوها الغزلي تبدو كنعيب البوم ونعيق الغراب المقرح للأفئدة .

أفتريد الآية الكريمة وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا أَنْ تُوحِي هذا المعنى ؟

كلّا ، ليست الآية الشريفة في صدد بيان هذا القصد .

الآية تقول : إِنَّ الْجِبَالَ تَصْبِحُ بَاطِلًا وَوَهْمًا ؛ هذه الجبال التي تراها جامدة ووطيدة في أماكنها ، ذات استقلال وعزة في الوجود وأُبْهَةٌ وعظمة ، هي الآن كالسراب ذليلة لا قيمة لها ولا أثر ، ولا ثبات لها ولا استقرار ، كشأن السحب المتفرقة المتبددة في السماء . وهذا هو صنع الله الذي أتقن كل موجود خَلَقَهُ ، وأنشأ كل شيء على أساس من المتانة والثبات .

في ضوء ذلك نرى أَنَّ هذا الإتقان والإحكام راجع إلى جهة ارتباطها بالله تعالى ، ويجعلنا نفهم معنى الوجهة الباطنية والملكوئية للموجودات . وأن كونها سراباً بلحاظ الخلقة والنظر الاستقلالي للوجود ، وهو عين الثبات والبقاء والإتقان بلحاظ الارتباط بالله من الوجهة الوجودية المرتبطة بالله تعالى وعدم استقلالها في حيز الوجود .

فالعالم - إذن - سيتبدل عند ظهور القيامة ، ووجهة الموجودات ستتغير كلياً يومئذٍ .

إِنَّ الموجودات التي كانت قبل أشراف القيامة ذات استقلال في الوجود ، وتظهر وكأنها مستقلة ومعتمدة على نفسها ، وكانت جهة ارتباطها بالله كامنة ومخفية ، ها هي الآن - وقد تبدل العالم وظهرت حقيقة الأمر للراجلين إلى القيامة بصورة أخرى قد أظهرت حقيقة نفسها التي ما هي إلا السراب والفناء وأن لا استقلال لها ولا اعتماد لها على نفسها أبداً ، وها

وجهة ارتباطها بالله تعالى تتضح وتتجلى . وهذا هو معنى : **صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** .

ووردت آيات كثيرة في القرآن الكريم ينبغي النظر والتأمل في كل منها بدقة :

**يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**<sup>١</sup>.

فهل تظهر الموجودات في ذلك اليوم لله تعالى ، فهي اليوم خافية غير ظاهرة له ؟

وهل القدرة والعظمة والملك لا تختص اليوم بالله تعالى ، ثم تختص به آنذاك في ذلك العالم وذلك المشهد ؟

ما هذه المطالب ؟! ما لكم تنسبون الملك والملك المطلقين ذلك اليوم لله تعالى ، وتقولون إن الملك والعظمة والملك لله تعالى يومئذ ؟! **يَوْمَ تُولَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**<sup>٢</sup>.

هل خص ذلك اليوم بعدم المصونية ؟! أي : أن الناس يمكنهم اليوم أن يهربوا من يد الله ، إذ إن لهم رفيقاً وشريكاً ومعيناً ومساعداً يحول بينهم وبين الله تعالى ؟! ثم إن هؤلاء الرفقاء والشركاء والأعوان والمساعدين يفنون في ذلك اليوم ، فتعود القدرة إلى الله مباشرة !! وتظهر قدرة الله وعظمته آنذاك ؟!

**مَا لَكُمْ مِنْ مَّلَاجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكِيرٍ**<sup>٣</sup>. **فَيُؤْوِيَكُمْ وَيُحْمِيكُمْ**

١- الآية ١٦ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٢- الآية ٣٣ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٣- الآية ٤٧ ، من السورة ٤٢ : الشورى .

ويذبت عنكم أمام الله !

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ<sup>١</sup>.  
وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ  
وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ<sup>٢</sup>.  
وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفْعَةٌ  
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ<sup>٣</sup>.  
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ<sup>٤</sup>.  
يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ<sup>٥</sup>.  
يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ  
وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا<sup>٦</sup>.

فهذه الآيات تدل بأجمعها على أنَّ أي نفس لا تستطيع أن تعين نفسها  
أخرى يوم القيامة ولا تقضي حاجاتها ، ولا تنقذها من محنها ، ولا تُنجيها  
من براثن العذاب ، أو تدافع عنها . كما تدل الآيات المذكورة على أنَّ القدرة  
والسلطنة والمِلك في ذلك اليوم لله تعالى ، وأنَّ الأمر والنهي بيده لا بيد  
غيره . بينما نعلم أنَّ القدرة والعظمة والمِلك والمُلك هي لله على الدوام ،  
وأنَّ الأمر والنهي ما برحا بيده تعالى ، وأنَّ أحداً لا يمكنه مطلقاً أن يقف  
في مقام الدفاع أمام الرب ، أو أن يسبق أمره عز وجل .

١- الآية ٤١ ، من السورة ٤٤ : الدخان .

٢- الآية ١٢٣ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣- الآية ٤٨ ، من السورة ٢ : البقرة .

٤- الآية ١٩ ، من السورة ٨٢ : الانفطار .

٥- صدر الآية ١٠٥ ، من السورة ١١ : هود .

٦- الآية ٤٢ ، من السورة ٤ : النساء .

إن الله تعالى هو الحاكم دوماً ، ولا ملجأ للإنسان في أي وقت إلا الله ، ولا قدرة ولا ملك ولا شفاعة لأحد إلا بإذن الله تعالى ، لا تفاوت في هذا الأمر اليوم أو غداً ، وفي الدنيا أو في الآخرة .

الله سبحانه هو القادر والقهار والمستقل بالذات ، وهو ذو الجلال والإكرام ، وهو الجبار والغفار ، وهو الغفور والرحمن ، لا فرق في ذلك بين اليوم والغد .

إن الإله الذي يمتلك القدرة اليوم ولا يمتلكها غداً ، أو لا يمتلكها اليوم ويمتلكها غداً ليس إلهاً . إن الإله الذي تجري الأمور بدون إذنه وأمره ونهيه اليوم ويوم القيامة تجري بإذنه وأمره ليس إلهاً . إن الإله الذي لا استقلال له اليوم في تدبير الأمور والتكوين وغدائه الاستقلال ليس إلهاً .

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ ¹ .  
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
كُفُوًا أَحَدٌ ² .

فصفات الحضرة الأحديّة هذه لا اختصاص لها بالآخرة ، بل ما برحت هكذا وستبقى كذلك . ولو قال أحد باختلاف هذه الصفات بين اليوم والغد ، وبين هذا العالم وعالم القيامة ، لكان قوله عين الشرك .

فما الذي تريده هذه الآيات يا تُرى ؟

إنّ هذه الآيات تريد أن تبين لنا أنّ قدرة الله وعظمته ، ومُلكه ومُلكه ، وأمره ونهيه ، وسلطانه وقهاريته ستجلى لكم ذلك اليوم واضحة جليّة . أنّ ذلك اليوم يوم الإدراك والفهم ، ويوم المعرفة وكشف الحقائق ،

١- صدر الآية ٨٤ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

٢- الآيات ١ إلى ٤ ، من السورة ١١٢ : الإخلاص .

ويوم الظهور والتجلي . فأنتم لا يمكنكم اليوم أن تستوعبوا حقيقة توحيد ذات الباري تعالى شأنه العزيز وأسماءه الحسنی وصفاته العليا ، أو أن تدركوها حق الإدراك والمعرفة . كما لا يمكنكم اليوم أن تلمسوا اختصاص هذه الصفات بالله تعالى لمس اليد ، لكن هذه الحقيقة والاختصاص سيتجلیان لكم ذلك اليوم ويصبحان قابلين للفهم والإدراك .

يتعذر عليكم اليوم بسبب الحجب النفسیة والانشداد إلى المادّة والطبع أن تدركوا أنّ الموجودات بأجمعها ليست إلا سراباً ، فقد صرّفت سلسلة العلل والمعلولات بنظامها العجيب المدهش هذا أنظاركم عن الحقيقة وعطفتها إليها . فلا يمكنكم أن تعقلوا أنّ ما يتّصف بالإتقان والإحكام هو فقط جهة وجه الله وارتباط الموجودات بخالقها وأنّ الموجودات في حدّ ذاتها سراب وباطل وعدم وفناء محض .

أمّا ذلك اليوم الذي يطلع فيه نور حقيقة الذات المقدّسة للحضرة الربوبیة ، فستدركون أن ليس في جميع عوالم الإمكان ونشآت الخلقة من مالك للإرادة والاختيار والقدرة والعظمة غير ذاته المقدّسة .

وستدركون ذلك اليوم معنى قوله تعالى : وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ، والحقيقة التي يريد بيانها الكلام المعروف القائل : لَيْسَ فِي الدَّارِ غَيْرُهُ دَيَّارٌ . وستدركون ذلك اليوم معنى شعر لبید الذي قال عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله : هُوَ أَصْدَقُ شِعْرِ قَائِلَتِهِ الْعَرَبُ ، وذلك في قوله :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

\*\*\*

أَكُوْوسُ تَلَالَتْ بِمُدَامٍ أَمْ شُمُوسُ تَهَلَّلَتْ بِغَمَامٍ

از صفای می و لطافت جام

در هم آمیخت رنگ جام و مُدام

همه جام است و نیست گوئی می

یا مُدام است و نیست گوئی جام<sup>١</sup>

وسيتّضح ذلك اليوم أنّ بناء الوجود الشامخ هو بأجمعه من المتجلّيات بجمال الله ومن المتدليّات بجلاله .

مُحسن ازل پرده ز رُخ باز کرد فاش و نهان جلوه آغاز کرد  
نور و ظلم شد همه ظاهر ازو گشت عیان جمله مظاهر ازو  
بافت به هم سلسله جزو و کلّ یافت از آن مرتبه هر خار و گل  
فاش و نهان هر چه بود در نظر مظهر حُسنند همه سر به سر<sup>٢</sup>

وستفهمون آنذاك معنى أنّ الله تعالى ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، بل  
ستدركون أنّ المُلْكَ لِلَّهِ ، العِزَّةَ لِلَّهِ ، العِلْمَ لِلَّهِ ، القُدْرَةَ لِلَّهِ ، الحَيَاةَ لِلَّهِ ،  
وأنّ جميع صفات المُلْك والسلطان والعِزّة والعلم والحياة والقدرة مختصة  
بذات الله المقدّسة .

فنتيجة المطلب - إذن - أنّ الآيات التي تنسب هذه الصفات إلى الله  
تعالى يوم القيامة ، لا تنسبها من جهة قيام هذه الصفات بتلك الذات  
المقدّسة في ذلك اليوم ، بل من جهة ظهور وبروز هذه الصفات يومئذٍ  
بحيث ستدرك الخلائق بأجمعها هذا المعنى في القيامة .

وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعَذَابِ \* إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ

١- «ديوان شيخ عراقى» .

٢- يقول : لقد أسفر حُسن الأزل عن طلّعه ، فتجلّى السرّ والعلن للعيان .

فتجلّى النور والظلمة كلاهما منه ، وبدا للعيان أنّ الكلّ هم مظاهره .

ولقد نسج سلسلة الجزء والكلّ معاً فحاز ، كلّ شوكة ووردة مرتبته منها .

وأنّ السرّ والعلن مهما كانا في النظر فإنّهما كلاهما بأرجائهما مظهر للمُحسن .

## وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ<sup>١</sup>.

إنَّ الأتباع الذين عقدوا الأمل على متبوعيههم ، وأملوهم أن يجزؤهم على متابعتهم لهم في الجرائم والمظالم والمعاصي التي ارتكبوها ، يتوسلون بهم يوم القيامة لرفع العذاب عنهم ، بيدَ أنَّ الرؤساء والمتبوعين لا يقدرُونَ يومئذٍ على شيء ، لأنَّ القدرة والقوة مختصة هناك بالله تعالى ، ولأنَّ جميع الروابط والسُّبل التي يمكنهم عن طريقها إعانة أتباعهم قد تقطعت هناك . لذا فإنَّهم يجيبونهم : لو كانت لنا قدرة لدفعنا بها العذاب عن أنفسنا . نحن وإياكم سواء ، يائسون بلا قدرة ولا إرادة ولا اختيار قد فقدنا الوسيلة والأسباب .

ويبين قوله تعالى : وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ أنَّ جميع سلسلة الروابط الاعتبارية متعلقة بالدنيا ، وأنَّ عنوان التبعية والمتبوعية ، والآمرية والمأمورية ، والرياسة والمرؤوسية ستزال جميعها يومئذٍ ، فليس هناك من هذه الروابط شيء . وليس هناك إلا مخلوقات تعيش بجهة الارتباط باللهها وربها ، فهي جميعاً مرتبطة ومتعلقة بنور التوحيد ، وليس لأيٍّ موجود وجود بنفسه - ولو قيد شعرة - مقابل وجود الله تعالى .

وَصَرِّحْ بِإِطْلَاقِ الْجَمَالِ وَلَا تَقُلْ بِتَقْيِيدِهِ مِثْلًا لِإِخْرَافِ زِينَةٍ  
وَكُلِّ مَلِيحٍ حُسْنُهُ مِنْ جَمَالِهَا مُعَارٌّ لَهُ بَلْ حُسْنُ كُلِّ مَلِيحَةٍ<sup>٢</sup>  
وتدلَّ الآية الكريمة : وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ عَلَى  
عدم قبول شفاعاة ولا فدية .

وعندما لا يأذن الله في أمرٍ ما ، فليس هناك تفاوت واختلاف ، سواءً

١- النصف الثاني من الآية ١٦٥ ، والآية ١٦٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- من أشعار «نظم السلوك» النائية الكبرى لابن الفارض ، ص ٦٩ و ٧٠ .

في هذا العالم أم في ذلك . غاية الأمر أن الاستشفاع في هذا العالم ، لَمَّا كان بغير الله تعالى ، فإنه حين يؤثر فإن تأثيره في الحقيقة من الله تعالى . أمّا في ذلك العالم فمشهود أن كل عمل يحصل من أي شخص منوط ومرتبط بالله تعالى وبإذنه .

ولابدّ لنا من ذكر مقدّمة لتستبين المطالب التي قيلت بشكل أفضل : إنّ هذا العالم ، عالم المادّة والطبع الذي ، له سُنن وأسباب ، وإنّ الحقائق التي تشكّل هذه الدنيا ، مثل الشمس والقمر والنجوم ، والصحراء والجبل والبحر ، والرياح والمطر ، وتغييرات الفصول ، واختلاف الليل والنهار ، بآثارها وخواصّها التي لا تعدّ ، وروابطها ونسبها التي لا تُحصى ، لها وجهتان صورتان :

وجهة خلقية ووجهة إلهية ، صورة خلقية وصورة أمرية تدعى وجه الله . إذن لهذا الظاهر المحسوس باطن ، وهذا الظاهر هو ستار وحجاب عن إدراك الحقائق الباطنية .

الظاهر هو الشيء المشهود بالحواس الظاهرية ، من الأشياء المرئية والمسموعة والمشمومة والمذوقة والملموسة التي يستند نشوؤها وفقدانها وحدوثها وانعدامها إلى سلسلة علل ومعلولات وأسباب ومسببات لا تقبل التغيّر والتبدّل في هذا العالم .

وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا<sup>١</sup>.

وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا<sup>٢</sup>.

١- النصف الثاني من الآية ٦٢ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب ؛ ومقطع من الآية ٤٣ ، من السورة ٣٥ : فاطر ، بلفظ : فلن تجد ؛ والنصف الثاني من الآية ٢٣ ، من السورة ٤٨ : الأحزاب .

٢- الفقرة الأخيرة من الآية ٤٣ ، من السورة ٣٥ : فاطر .



فهذا العالم جميعه بنظامه العجيب ، وبما فيه من سلسلة الروابط والعلاقات المتينة والدقيقة ، يعمل على أساس هذه الستة الإلهية دون أدنى تخلف .

ولو سقطت بذرة على الأرض فإنّها لن تنمو إذا لم تُسَقّ بالماء ، وهكذا فإنّ بذور الخشخاش لن تنمو في زجاجة البذور الموضوعة على رفّ بائع البذور ، أمّا لو أخضعنا بذرة الخشخاش هذه إلى سلسلة علل نموّ طبيعية ، فنثرناها على الأرض ، وسقيناها ، وكان الجوّ مساعداً ، والشمس ساطعة ، لأينعت تلك البذرة وأورقت .

ونحن نرى أنّ هذه البذرة خاضعة لسلسلة أسباب لا تتغيّر ، يتبع بعضها بعضاً ، ولا يمكن لأيّ منها التخلف .

وبالإضافة إلى ظروف البيئة المناسبة ، فإنّ هذه البذرة - من حيث تغذيتها - ينبغي أن تبقى في مأمن من الحشرات والآفات كي تنمو وتخضّر ، وإلاّ جرفها السيل ، أو أصبحت طعمة للنمل والعصافير . كما أنّ النطفة يجب أن تُراق في الرحم ، ويجب أن تصلها المواد الغذائية لتطوي مراحل تكاملها ، حتّى يطلّ على العالم طفل سويّ ذو ذكاء وقابليّة .

أمّا عن غير هذا الطريق فإنّ بذرة الخشخاش لن تتفتّح ، والجنين لن يصبح طفلاً كاملاً سويّاً .

ولولا الشمس لما اخضرت شجرة ، وما كانت هناك بيئة يعيش فيها الإنسان والحيوان ، ولولا قوّة الجاذبيّة وقوّة الدفع لما وجد العالم ، ولو انعدمت قوّة الجذب إلى المركز والقوّة الطاردة عنه لما وجد العالم ، ولولا حركة الذرّة لما وجد العالم ، ولولا الحركة الجوهرية لما وجد العالم . إنّنا ننسب الموجودات بأجمعها إلى هذه السلسلة من العلل

والمعلولات وفق قوانين صحيحة منطقية وفلسفية ، وهذه السلسلة من العلل كلها صحيحة غير قابلة للتغيير .

أما لو تخطيتم سلسلة العلل هذه إلى ما فوقها وتطلّعتم إلى ذلك الوجه الإلهي للموجودات ، لرأيتم أنّ جميع هذه الموجودات هي بإرادة الله وقدرته ، وأنّ ملكوتها بيد الله تعالى ، وحقيقتها الارتباط بالله تعالى الذي أوجدها بلفظ واحد هو «كُن» ، وأنته هو الذي يحفظها ويُبقيها . ولشاهدتم أنّ هذه الموجودات من وجهة نظر الوجود سراب باطل بدون ذلك الارتباط ، إن أفاض عليها رحمته وُجدت بأسرها ، وإلا كانت كلها عدماً .

هذا العالم يشبه تماماً مصنعاً لو دخلتموه لشاهدتم آلات عديدة يقوم كلّ منها بعملٍ خاصّ . فإحدى الآلات تستلم المواد الأولية وتحولها إلى مواد أخرى ، ثم ترسلها بعد تحويلها إلى آلة أخرى تجري عليها بدورها تغييراً خاصاً ، ثم تبعث بها إلى آلة ثالثة ، وهكذا تترك كلّ آلة أثرها في تلك المواد ، لتصل بعد ذلك إلى الآلة الأخيرة التي تكمل تلك المادة المطلوبة وترسلها خارجاً لعرضها للاستفادة منها .

وهكذا فإنكم ستعجبون حين تشاهدون تلك السلعة ، كيف قامت كلّ واحدة من هذه الآلات بإنجاز عمل معيّن على تلك المادة آلياً دون الاستعانة بالإنسان ورقابته ، بحيث أعدتها للاستعمال في نهاية المطاف بنحو مرغوب ومطلوب .

أما لو خرجتم من المصنع وذهبتم إلى مقرّ الشركة لرأيتم أنّ الذي حرّك هذا المصنع ونظّمه وفق هذا المعيار والأسلوب الدقيق ، شخص واحد يعمل هذا المصنع بإرادته ، ويتوقّف عن العمل بإرادته .

كان هذا من باب التمثيل ، بيد أنّ حقيقة أمر وجه الله قياساً للموجودات أرقى جدّاً ، والارتباط أقوى وأمتن كثيراً .

إِنَّ جَمِيعَ سِلْسِلَةِ الْعِلَلِ وَالْمَعْلُولَاتِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَنْجِزُ عَمَلَهَا بِدَقَّةٍ وَنِظَامٍ فَائِقِينَ ، فَالْأَبْوَانُ ، وَالرَّفِيقُ ، وَالشَّرِيكُ ، وَالزَّوْجَةُ ، وَالْوَلَدُ ، وَالرَّئِيسُ ، وَالْحَاكِمُ ، وَالْأَرْضُ ، وَالْمَطَرُ ، وَالنَّهْرُ ، وَالشَّمْسُ ، وَالْقَمَرُ ، وَالنَّجُومُ ، وَحَرَكَةُ جِزْرِ الْبَحْرِ وَمَدَّ وَغَيْرَهَا ، يَحْتَلُّ كُلُّ مِنْهَا مَكَانَهُ اللَّائِقَ بِهِ ، وَلَهَا تَأْثِيرُهَا فِي تَأْمِينِ حَيَاتِنَا ، وَلَوْ زَالَتْ حَلَقَةٌ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ ، وَمِنْ هَذِهِ الرُّوَابِطِ فِي الْأَسْبَابِ وَالْحَوَادِثِ ، لَذَمَّرَ الْعَالَمُ وَآلُ أَمْرِهِ إِلَى الْعَدَمِ . هَذِهِ هِيَ وَجْهَةُ الْخَلْقِ ؛ أَمَّا الْوَجْهَةُ الْإِلَهِيَّةُ فَهِيَ الْارْتِبَاطُ الْكَامِلُ لِهَذِهِ السِّلْسِلَةِ وَلِكُلِّ حَلَقَةٍ مِنْ حَلَقَاتِهَا بِاللَّهِ تَعَالَى ، حَيْثُ إِنَّ نَوْرَ التَّوْحِيدِ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَشْعُ مِنْ سَرَادِقِ عَالَمِ الْغَيْبِ عَلَى هَذِهِ الْهَيَاكِلِ ، وَهُوَ الْمُسْتَبْرَ لِعَمَلِ عَالَمِ الْوُجُودِ ، فَهَذِهِ السِّلْسِلَةُ بَرَمَتُهَا مَأْمُورَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ، مُطِيعَةٌ لِأَمْرِهِ ، وَمُظَاهِرُ آيَاتِ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ .

وَالْوَجْهَةُ الْإِلَهِيَّةُ هَذَا هُوَ الْمُشَاهَدُ وَالْمَحْسُوسُ فِي الْقِيَامَةِ ، أَمَّا الْوَجْهَةُ الْخَلْقِيَّةُ فَبَاطِلٌ وَسَرَابٌ زَائِلٌ .

فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ<sup>١</sup> .

إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا غَافِلُونَ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ لِانْغِمَارِهِمْ فِي الطَّبِيعَةِ وَأَنْسَهُمْ بِالْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ . أَمَّا حِينَ يَرُدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْقِيَامَةِ حَيْثُ لَا أَثَرَ لِهَذِهِ الطَّبِيعَةِ وَالْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ ، فَإِنَّهُمْ سَيَفْهَمُونَ لَبَّ الْحَقِيقَةِ وَمَغْزَاهَا : كَانََ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ .

وَجَلِيَّ أَنْ الْأَفْعَالُ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ ثَابِتَةٌ وَدَائِمَةٌ وَمُسْتَمِرَّةٌ ، فَلَا مَعْنَى فِي عَالَمِ الْإِلَهِيَّةِ لِلْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ . لِذَا فَإِنَّ جُمْلَةَ وَالْآنَ كَمَا كَانَ تُسْتَنْتَجِجُ مِنْ نَفْسِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى حَدِيثٍ آخَرَ .

١- الآية ٨٣ ، من السورة ٣٦ : يَس .

إنَّ الله تعالى ما برح موجوداً ، لم يكن معه شيءٌ ، كما أنه ليس معه شيء الآن . فكيف تُظهر الموجودات السرابية الباطلة وجودها مقابل ذات وجود الحق جلّ وعلا مع أنّ غير الحق واسم جلاله ستستأصل أساسها ؟! لقد كان الله سبحانه وسيبقى موجوداً ، وصفات الله معه لا تفارقه ، فهو سبحانه واحد في ذاته ، وفي أسمائه وصفاته ، وفي أفعاله . كان هذا التوحيد معه وسيبقى دوماً . الله سبحانه واحد مُوحَّد في العوالم قاطبة ، ولا ينحصر تأثير صفاته في عالم التوحيد على يوم القيامة وحدها ، بل هو واحد سواء هنا أم في القيامة .

لم يكن معه سبحانه شيء ، ولن يكون معه شيء ، والآن كما كان ، فمن سيكون زيد وعمر يا ترى ؟ وماذا ستكون العلل والأسباب ؟

همه هر چه هستند از آن کمترند که با هستیش نام هستی برند<sup>١</sup>

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ<sup>٢</sup>

سيُشاهد عند طلوع نور التوحيد أنّ هذه الجبال الصلبة الشديدة ليس لها بنفسها قدرة ولا عظمة مقدار قشّة ، بينما لو كانت قد تلاشت في الجوّ كالعن المنفوش حقّاً ، لكان لها وجود أيضاً .

بيد أنّ الجبال والموجودات جميعها بلا استثناء تفقد وجودها وشخصيتها مقابل ظهور نور التوحيد ، إذ أيّ نور سيكون للشموع الضعيفة شبه المحروقة في عالم بزوغ نور التوحيد ؟  
وعندما يتبدّل العالم فإنّ جميع الموجودات ستفقد وجودها تماماً

١- يقول : إنّ الأشياء جميعها - مهما كانت - أقلّ من أن يكون لها - مع وجوده - اسم الوجود .

٢- الآية ١٥ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

كقطع الثلج الكبيرة التي تُظهر وجودها في الأودية والحفر والعقبات شتاءً وهي في منتهى الصلابة ، وما أن تسطع عليها شمس تموز حتى تضمحل وتذوب رويداً رويداً وتفقد شخصيتها كلياً .

طَلَعَ الشَّمْسُ أَيُّهَا الْعُشَّاقُ فَاسْتَنَارَتْ بِنُورِهِ الْآفَاقُ  
وما أروع وأسمى بيان القرآن الكريم حول اضمحلال الأسباب والعلل والأمور الاعتبارية في هذه الفقرة :

لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ .  
وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا  
أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ آلِهَةٍ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ  
اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْكِبُونَ \* وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا  
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ  
شُفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ  
مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ١ .

وهاتان الفقرتان الأخيرتان في منتهى الطرافة وإثارة العجب في عرضهما كيفية ترك الأموال وضياع الأعوان والأرحام والأقارب والعشيرة ، وفقدان الرئيس والحاكم والمرووس والرعية في هذه الدنيا ، بحيث لا يبقى منها أدنى أثر في عالم ظهور الحقيقة وتمثل الملائكة كافة .

لقد قضى الإنسان عُمرًا وهو يتلهى بعشق الموجودات الدنيوية وبالتولع بها ، والآن أصبح من الواضح له أنها كانت بأجمعها دُمي وسراباً . لقد أنفق - طوال عمره - وأفضل ثرواته الوجودية ، وهي علمه وحياته وقدرته ، في لهو تعشق الباطل والسراب ، والهيام بأناس فارغين

١ - مقطع من الآية ٩٣ والآية ٩٣ ، من السورة ٦ : الأنعام .

مehوزين ، وبالعالم لا اعتبار له ولا وزن . ولقد أجاد الملا الرومي حقاً في بيان هذا المعنى حيث قال :

گر به جهل آئیم آن زندان اوست  
 و ر به علم آئیم آن ایوان اوست  
 گر به خواب آئیم مستان وئیم  
 و ر به بیداری به دستان وئیم  
 و ر بگرئیم أبر پر زرق وئیم  
 و ر بخندیم آن زمان برق وئیم  
 و ر به خشم و جنگ عکس قهر اوست  
 و ر به صلح و عذر عکس مهر اوست  
 ما کئیم اندر جهان پیچ پیچ  
 چون الف کو خود ندارد هیچ هیچ  
 چون الف گر تو مجرد می شوی  
 اندرین ره مرد مُفرد می شوی<sup>۱</sup>

۱- «مثنوی» طبعة میرخانی، ج ۱، ص ۴۱.

يقول : لو كنّا في الجهل لکنّا في سجنه ، ولو خطونا في العلم فهناك أيوانه وساحته .  
 ولو كنّا في النوم لکنّا ثمالی به ، أو كنّا أيقاظاً لکنّا في يديه .  
 لو بكينا كنّا غيمه الهافل ، أو ضحكنا كنّا برقه اللامع .  
 ولو كنّا في غضب و حرب كنّا صورة قهره ، أو في صلح و صفاء كنّا انعكاس محبته  
 وعطفه .

فمن نكون نحن في هذا العالم المليء بالمنعطفات ! نحن كحرف الألف الذي لا يملك شيئاً .

فإن كنت مجرداً كحرف الألف ، كنت في هذا الدرب الرجل المتفرد الأوحـد !

وَأَبْدَعْ كَذَلِكَ فِي إِنْشَادِهِ :  
 إِسْقِنِي يَا رَبِّ كَأْسَ الْوَحْدَةِ      سُكْرُهَا يُمَجِّي ظِلَامَ الْكَثَرَةِ  
 ساقيا أَنْ بَادَهُ وَحْدَتِ بِيَارِ  
 تا بَرَدِ از چهره دل این خُمار  
 عشقِ وَحْدَتِ ار دَمی آید به کار  
 می کشاند مر تو را تا کوی یار  
 بشنوی آن دم تو با صوتِ حَسَن  
 بی مهابا بانگِ الْمُلْكِ لِمَنْ  
 ار چه مولی گفته در اُمُّ الْكِتَابِ  
 در قیامت باشد این بانگِ آن جناب  
 لِيكَ مَطْلَبُهَا بِسَى بِاشَدِّ دَقِيقِ  
 گویمت شرحِ ار بخواهی ای رفیق  
 سر بر آر از عوالمِ تا به هُو  
 تَای تعبیر است و ضیقِ گفتگو  
 لب ببند از گفتگو و کُن طَوافِ  
 سیر فی الله را ترا باشد مَطَافِ<sup>۱</sup>

۱- يقول: هاتِ شراب الوحدة أيها الساقى ليزيل عن سيماء القلب هذا الصداق .  
 فلو جاء عشق الوحدة لحظةً ، لجرك إلى درب الحبيب .  
 فتسمع إذ ذاك بلا شك نداء لمن المُلْك ، بصوت محبب حسن .  
 ومع أنَّ المولى قال في اُمُّ الْكِتَابِ إِنَّ هَذَا هُوَ صَوْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .  
 لكنَّ هذا المطلب في غاية الدقة ، وسأبينه لك إن شئتَ أيها الرفيق .  
 تطلّع برأسك خارج العوالم حتّى تصل إليه ، وحتّى تعبیر محض فالكلام ضيق لا مجال فيه .  
 واطبق شفاهك عن الكلام وطف ، وليكن السير في الله طوافك .

ردّ آنچه مر ترا بسپرده دوست  
 هر چه هست و نیست ملك، و مال اوست  
 گوش كثرتر ار رها بنموده‌ای  
 بی مهابا بانگ حق بشنیده‌ای  
 ليک واگوبا مَنّت آن گوش كو  
 وه چه ها بنموده كثرتر موبه مو<sup>۱</sup>  
 إنّ العين الحولاء، والعين الرمضاء كانت تخطئ التصوّر في الدنيا، إذ  
 طلب أصحابها غير الله فيها، ونسوا أحكام التوحيد، وخُيّل إليهم أنّ تلك  
 المتخيلات السرايية لها حق العبور والمرور في عالم الحقيقة أيضاً، فاتّضح  
 في القيامة أنّ الأمر ليس كذلك.  
 مؤخّر عالم شده است مظهر حسن و جمال تو  
 ای جان بگو که مظهر جان و جهان کجاست؟  
 مقدّم روی تو ظاهر است به عالم نهان کجاست  
 گر او نهان بود به جهان پس عیان کجاست؟<sup>۲</sup>  
 قال المرحوم العارف الصمداني والعالم الربّاني الحاج الميرزا جواد

---

۱- يقول: وردّ ما أودعك إياه الحبيب، فإنّ كلّ ما هو كائن ومعدوم ملكه وماله.  
 وإن تركت أذن الكثرة فإنّك - بلا شك - ستسمع نداء الحقّ.  
 ولكن قلّ أين تلك الأذن التي كانت معك، ووا عجباً ما الذي تفعله الكثرة بهذه الدقّة!  
 ۲- «مفاتيح الإعجاز» ص ۶۰.  
 يقول: صارت نهاية العالم مظهراً لحسنك وجمالك، فقلّ أيّها الحبيب أين مظهر  
 الروح والعالم؟  
 إنّ طلعة وجهك ظاهرة للعالم، فأين الخفاء؟ وإن كان وجهك مستترّاً عن العالم فأين  
 - يا ترى - العيان والظهور؟



الملكيّ التبريزيّ رضوان الله عليه في كتاب «أسرار الصلاة» :  
قال أمير المؤمنين عليه السلام : مَا نَظَرْتُ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَعَهُ ١.

وقال في رسالة «لقاء الله» : قال الإمام الصادق عليه السلام :  
مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَعَهُ ٢.  
لكن المرحوم صدر المتألهين رضوان الله عليه يقول : نُقِلَ عَنْ  
أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه قال : مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ.  
وروي : مَعَهُ وَفِيهِ ٣ و ٤.

ياريست مرا وراى پرده	حسن رخ او سزای پرده
عالم همه پرده مصوّر	اشيا همه نقش های پرده ٥

- 
- ١- «أسرار الصلاة» ص ٦٥ ؛ والقول لأمير المؤمنين عليه السلام .
  - ٢- «لقاء الله» نسخة خطيّة ، ص ٧ .
  - ٣- «الأسفار الأربعة» الطبعة الحجرية ، ج ١ ، ص ٢٦ ؛ والطبعة الحروفية ج ١ ، ص ١١٧ .

٤- يقول المرحوم السبزواريّ في حاشيته على كتابه «شرح المنظومة» ص ٦٦ ، طبعة ناصري ، في كيفية تقوّم المعلول بالعلّة : وهو متقوّم بالعلّة ، أي ليست العلة خارجة عنه بحيث لا مرتبة له خالية عنها ، ولا ظهور له خالياً عن ظهورها ؛ بل الظهور لها أولاً وله ثانياً كما قال عليه السلام :

ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ الله قبله . وقال : داخل في الأشياء لا بالمازجة وخارج عن الأشياء لا بالمزيلة . وأيضاً : ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج . وأيضاً : مع كلّ شيء لا بمقارنة ، وغير كلّ شيء لا بمزيلة . وأيضاً : داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء ، خارج عن الأشياء لا كخروج شيء عن شيء . وأيضاً : توحيده تميّزه عن خلقه ، وحكم التميّز بينونة صفة لا بينونة عزلة . وبالجمله هذا متواتر بالمعنى - انتهى .

- ٥- «مفاتيح الإعجاز» ص ٦٠ .
- يقول : لي حبيب وراء الستار ، حُسن طلعتة جدير بأن يُستَر بستار .

این پرده مرا ز تو جدا کرد  
اینست خود اقتضای پرده  
نی نی که میان ما جدائی  
هرگز نکند غطای پرده<sup>۱</sup>  
بلى ، لأنّ سالكي طريق لقاء الله قد خطوا خطواتهم بهمةٍ وقدمٍ في  
هذا المضمار فقد نالوا قصب السبق فيه ، ونفضوا أثوابهم عن أن يعلق بها  
شيء من العالمين ، فهم لا يعرفون شيئاً غير لقاء المحبوب تعالى فلا يجعلون  
قصدهم ومقصودهم وهدفهم ومعبودهم سواء ، وهم الذين فاقوا درجات  
الإخلاص ليفوزوا بمقام المخلصين والأبرار والمقربين .  
أولئك الذين تخطّوا الأشياء جميعها بقدّم المصابرة ومجاهدة النفس ،  
وغضّوا أبصارهم عمّا سوى الله تعالى ، فهم يرونه تعالى مع كلّ شيء وقبل  
كلّ شيء وبعد كلّ شيء .

دلی کز معرفت نور صفا دید ز هر چیز که دید اول خدا دید<sup>۲</sup>  
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>۳</sup>  
وهنا يصبح لكل واحد نصيب من ذلك الشراب الملكوتي ، فيتحرّر  
فكره من سكر هوى النفس ويشمل بقاء الله وأوليائه ، ويتجلّى هذا المعنى  
في الآية :

وَسَقَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا<sup>۴</sup>

العالم بأجمعه ستار مصوّر ، والأشياء كلّها نقوش في ذلك الستار .

۱- يقول : ولقد فصل هذا الستار بيني وبينك ، وهذا نفسه اقتضاء الستار .

لا ، لا يكون بيننا انفصال وبينونة ، فالستار لم يكن أبداً غطاءً وحجاباً .

۲- يقول : إنّ القلب الذي شاهد صفاء نور المعرفة ، صار حين يرى شيئاً ، يرى الله  
قبله .

۳- الآية ۳ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

۴- المقطع الأخير من الآية ۲۱ ، من السورة ۷۶ : الدهر .

و ز سقاھم ربّھم بین جملة ابرار مست  
و ز جمال لايزالى هفت و پنج و چار مست  
تن چو سایه بر زیمن و جان پاک عاشقان  
در بهشت عدن تجرى تحتها الأنهار مست  
خود چه جای عاشقان کز جام توحید خدا  
کوه و صحرا و جبال و جملة اشجار مست<sup>١</sup>

وَكَشَفُ حِجَابِ الْجِسْمِ أَتَرَزَّ سِرًّا مَا  
بِهِ كَانَ مَسْتَوْرًا لَهُ مِنْ سَرِيرَتِي  
وَمَنْ يَتَحَرَّشُ بِالْجَمَالِ إِلَى الرَّدَى  
رَأَى نَفْسَهُ مِنْ أَنْفَسِ الْعَيْشِ رُدَّتْ  
وَنَفْسُ تَرَى فِي الْحُبِّ أَنْ لَا تَرَى عَنَّا  
مَتَى مَا تَصَدَّتْ لِلصَّبَابَةِ صُدَّتْ  
فَنَلْتُ وَلَاهَا لَا بَسْمَعٍ وَنَاطِرٍ  
وَلَا بِاِخْتِسَابٍ وَاجْتِلَابٍ جِبِلَّةٍ  
وَهِمْتُ بِهَا فِي عَالَمِ الْأَمْرِ حَيْثُ لَا  
ظُهُورٌ ، وَكَانَتْ نَشْوَتِي قَبْلَ نَشَائِي  
بَدَتْ بِاخْتِجَابٍ ، وَاخْتَفَتْ بِمَظَاهِيرٍ  
عَلَى صِبْغِ التَّلْوِينِ فِي كُلِّ بَرْزَةٍ  
فَطَبَّ بِالْهَوَى نَفْسًا لَقَدْ سُدَّتْ أَنْفُسُ الـ  
عِبَادِ مِنَ الْعِبَادِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ

١- «تفسير ملا محمد كاشفي» في تفسير سورة الدهر .

تَجَمَّعَتِ الْأَهْوَاءُ فِيهَا ، فَمَا تَرَى  
 بِهَا غَيْرَ صَبٍّ لَا يَرَى غَيْرَ صَبْوَةٍ  
 لَئِنْ جَمَعْتَ شَمْلَ الْمَحَاسِنِ صُورَةً  
 شَهِدْتُ بِهَا كُلَّ الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ  
 فَلَوْ بَسَطْتَ جِسْمِي رَأْتُ كُلَّ جَوْهَرٍ  
 بِهِ كُلُّ قَلْبٍ فِيهِ كُلُّ مَحَبَّةٍ  
 وَلَمَّا نَقَلْتُ النَّفْسَ مِنْ مُلْكٍ أَرْضِهَا  
 بِحُكْمِ الشَّرَا فَهَا إِلَى مُلْكٍ جَنَّةٍ  
 رَفَعْتُ حِجَابَ النَّفْسِ عَنْهَا بِكَشْفِي الـ  
 سُّقَابَ فَكَانَتْ عَنْ سُؤَالِي مُجِيبِي  
 وَكُنْتُ جَلَا مِرَاةٍ ذَاتِي مِنْ صَدَا  
 صِفَاتِي وَمِنِّي أَحَدَقْتُ بِأَشِعَّةٍ  
 وَأَشْهَدْتُني إِيَّاي إِذْ لَا سِوَايَ فِي  
 شُهُودِي مَوْجُودٌ فَيَقْضِي بِرَحْمَةٍ  
 فَشَاهِدٌ وَصْفِي بِي جَلِيسِي وَشَاهِدِي  
 بِهِ لِاخْتِجَابِي لَنْ يَحِلَّ بِحِلَّتِي  
 كَذَاكَ بِفِعْلِي عَارِفِي بِي جَاهِلٌ  
 وَعَارِفُهُ بِي عَارِفٌ بِالْحَقِيقَةِ  
 فَلَفْظٌ وَكُلِّي بِي لِسَانٌ مُحَدَّثٌ  
 وَلَحْظٌ وَكُلِّي فِي عَيْنٍ لِعَبْرَتِي  
 وَسَمْعٌ وَكُلِّي بِالنَّدَى أَسْمَعُ النَّدَا  
 وَكُلِّي فِي رَدِّ الرَّدَى يَدُ قُوَّةٍ

مَعَانِي صِفَاتٍ مَاوَرَا اللَّبْسِ أَثْبَتَتْ  
 وَأَسْمَاءَ ذَاتٍ مَا رَوَى الْحِسُّ بَثَّتْ  
 تَحَقَّقْتُ أَنَا فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدٌ  
 وَأَثْبَتَ صَحْوُ الْجَمْعِ مَحْوُ التَّشْتِ  
 وَكُلِّي لِسَانَ نَاطِرٍ مِسْمَعٌ يَدٌ  
 لِنُطْقٍ وَإِدْرَاكِ وَسَمْعٍ وَبَطْشَةٍ  
 فَعَيْنِي نَاجَتْ وَاللِّسَانُ مُشَاهِدٌ  
 وَيَنْطِقُ مِنِّي السَّمْعُ وَالْيَدُ أَصْغَتْ  
 وَسَمِعِي عَيْنٌ تَجْتَلِي كُلُّ مَا بَدَا  
 وَعَيْنِي سَمْعٌ إِنَّ شِدَا الْقَوْمِ تُنْصِتُ  
 وَمِنِّي عَنْ أَيْدٍ لِسَانِي يَدٌ كَمَا  
 يَدِي لِي لِسَانٌ فِي خِطَابِي وَخُطْبِي  
 كَذَلِكَ يَدِي عَيْنٌ تَرَى كُلُّ مَا بَدَا  
 وَعَيْنِي يَدٌ مَبْسُوطَةٌ عِنْدَ بَسْطِي  
 وَسَمِعِي لِسَانَ فِي مُخَاطَبَتِي كَذَا  
 لِسَانِي فِي إِصْغَائِهِ سَمْعٌ مُنْصِتُ  
 وَلِلشَّمِّ أَحْكَامُ اطِّرَادِ الْقِيَاسِ فِي آدِ  
 حَادِ صِفَاتِي أَوْ بِعَكْسِ الْقَضِيَّةِ  
 هِيَ النَّفْسُ ، إِنَّ أَلْقَتْ هَوَاهَا تَضَاعَفَتْ  
 قُوَاهَا وَأَعْطَتْ فِعْلَهَا كُلَّ ذَرَّةٍ  
 وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ آدَمَ صُورَةٌ  
 فَلِي فِيهِ مَعْنَى شَاهِدٌ بِأُبُوتِي

وَمَا كُنْتُ تَذَرِي ، قَبْلَ يَوْمِكَ مَا جَرَى  
بِأَمْسِكَ أَوْ مَا سَوْفَ يَجْرِي بِعُدْوَةٍ  
فَأَصْبَحْتَ ذَا عِلْمٍ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى  
وَأَسْرَارِ مَنْ يَأْتِي مُدَلَّاً بِخَبْرَةٍ  
وَأَيَّاكَ وَالْإِعْرَاضَ عَنْ كُلِّ صُورَةٍ  
مُمَوَّهَةٍ أَوْ حَالَةٍ مُسْتَحِيلَةٍ  
أَلَا هَكَذَا فَلْتَعْرِفِ النَّفْسُ أَوْ فَلَا  
وَيُثَلِّ بِهَا الْفُرْقَانُ كُلَّ صَبِيحَةٍ<sup>١</sup>

وأنشد حافظ الشيرازي عليه الرحمة في هذا المعنى :

هزار جهد بکردم كه يارِ من باشی  
مُراد بخشِ دلِ بی قرارِ من باشی  
چراغ دیده شب زنده دارِ من گردی  
أنیس خاطرِ امیدوارِ من باشی  
چو خسروان ملاححت به بندگان نازند  
تو در میانه خداوندگارِ من باشی  
در آن چمن كه بُتان دستِ عاشقان گیرند  
گرت زدست برآید نگارِ من باشی<sup>٢</sup>

١- هذه الأشعار من إنشاء ابن الفارض الذي أنشأ بالعربية أشعاراً عرفانية غراء بديعة تماثل أشعار حافظ الشيرازي التي أنشدها بالفارسية . وقد اخترنا هذه الأبيات من «التائية الكبرى» بما يناسب المقام ومجموعها ٧٦١ بيتاً وهي في ديوانه .  
٢- يقول : بذلك قصارى الجهد كي تكون حبيبي ، وتُلَبِّي لقلبي المضطرب مُرادُه ومُنَاه .

ولتكون نورَ عيني المسهَّدة ، وأنيس خاطري وقلبي الطافح بالشوق والأمل .  
إنَّ من طبع ملوك الملاحة المباهاة بعبيدهم ، فتعال كما أتمنى وكن مولاي ومعبودي !

شود غزاله خورشيد صيد لاغر من  
 گر آهوئی چو تو یکدم شکار من باشی  
 من ار چه حافظ شهرم بجوی نمی آرم  
 مگر تو از کرم خویش یار من باشی<sup>١</sup>  
 فإن جاء وصار حبيبنا ورفيقنا ، فإنه سيجعل أعيننا مبصرة ، وآذاننا  
 سمیعة ، ولساننا ناطقاً بليغاً ، أما إن لم يأت ، ووكلنا إلى أنفسنا ، فإننا  
 سنقضي عمراً في حجب عنه ، وسنكون قد طوينا طريق الإعراض والمجاز  
 بقدر ما نسبنا صفاته إلينا .

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
 أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ  
 آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى .<sup>٢</sup>

نعوذ بالله من أن يعتمد الإنسان في هذه الدنيا على غير الله ، فيصبح  
 حينئذٍ خالي الوفاض ، أما إذا سلك طريق الحب لله والهيام به وتعامل مع  
 الله وأسراره ، ومع الحقائق والأمور الواقعية وفق دعاء المولى  
 أمير المؤمنين عليه السلام : **وَاجْعَلْ قَلْبِي بِحُبِّكَ مُتِمِّمًا** ؛<sup>٣</sup> وغسل أثوابه من

وفي ذلك المَرَج حيث يمسك المعبودون لطفاً بأيدي عشاقهم ، إن استطعت فكُن  
 صنمي ومعبودي .

١- يقول : ستكون الشمس ظيباً مصطاداً ضئيلاً لي ، لو صار غزالاً مُختالاً كمثلك  
 صيدي للحظة واحدة .

إني وإن كنت في هذه المدينة حافظاً للقرآن ، غير أن قدرتي لا يعدل حبة شعير إلا إذا  
 كنت بلطفك حبيبي ومُعيني !

٢- الآيات ١٢٤ إلى ١٢٦ ، من السورة ٢٠ : طه .

٣- من فقرات دعاء كميل .

معرفة المعاد (٥) ظهور الموجودات عند إشراف القيامة بربط أنفسها بالله تعالى

لوث الاعتبار ودنس المجاز، لصار آنذاك حبيب الله، ويد الله، وروح الله، وولي الله.

أفله حبيب و خليل يا ترى ؟ إن هذه بأجمعها أسماء الله قد أنعم بها على المقرّبين والمخلصين .

فبأيّ كيفة كان أمير المؤمنين عليه السلام أسد الله ، يد الله ، لسان الله ، عين الله ، و فضل الله !

إنّ المرء لو سلك سبيل مودة ذلك المولى ومحبته ، وقبّل ولايته بصدق وصفاء نقيّين من الغشّ والدغل ، وكان في طاعته إتياء ملبّياً لا يعترض ولا يُناقش ؛ فإنّ ذلك الإمام سيّره طريق سماء المعرفة ، وسيفتح له ما استغلق من الأقفال بالمفتاح الذي وهبه الله إتياء ؛ وسيرفع عنه الحجب الظلمانية والنورانية .

گر در ره عاشقی قدم صدق نهی معشوقه باوّل قدمت پیش آید<sup>١</sup> .  
فالإمام سيتلقّى الإنسان ويلتقي به ويقضي له حوائجه ويرفع فاقته .  
ينقل المجلسيّ رضوان الله عليه عن كتاب جاء فيه عن الشيخ حسن بن الحسين بن الطحّال المقداديّ ، عن أبيه ، عن جدّه عليّ بن الطحّال أنّه قال :  
حكى أنّ عمران بن شاهين من أهل العراق عصى على عضد الدولة الديلمي . فطلبه حيثاً ، فهرب منه إلى النجف الأشرف متخفياً ، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه وهو يقول له : يا عمران ! في غد يأتي فنا خسرو إلى ها هنا فيخرجون من بهذا المكان ، فتقف أنت ها هنا . وأشار إلى زاوية من زوايا القبّة - فإنّهم لا يرونك . فسيدخل ويزور ويصلّي

١- يقول : لو خطوت ب قدم صدق في طريق العشق ، لتلقّتك المعشوقة في أوّل خطوة تخطوها !



ويبتهل في الدعاء والقسم بمحمد وآله أن يُظفره بك ، فادنُ منه وقل له :  
أيها الملك ! من هذا الذي قد ألححت بالقسم بمحمد وآله أن يظفرك به ؟  
فسيقول : رجلُ شق عصاي ونازعني في مُلكي وسلطاني .  
فقل : ما لمن يظفرك به ؟

فيقول : إن حثمت عليّ بالعفو عنه عفوتُ عنه .  
فأعلمه بنفسك فإنك تجد منه ما تريد . فكان كما قال له . فقال : أنا  
عمران بن شاهين . قال : من أوقفك ها هنا ؟  
قال له : هذا مولانا قال في منامي : غداً يحضر فنا خسرو إلى ها هنا ،  
وأعاد عليه القول .

فقال له : بحقه قال لك : فنا خسرو ؟

قلت : إي وحقه !

فقال عضد الدولة : ما عرف أحد أن اسمي فنا خسرو إلا أُمي والقابلة  
وأنا . ثم خلع عليه خلعة الوزارة وطلع من بين يديه إلى الكوفة . وكان  
عمران بن شاهين قد نذر عليه أته متى عفا عنه عضد الدولة أتى إلى زيارة  
أمير المؤمنين عليه السلام حافياً حاسراً . فلما جنته الليل خرج من الكوفة  
وحده . فرأى جدي عليّ بن طحّال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في  
منامه وهو يقول له : اقعد افتح لوليّ عمران بن شاهين الباب !

فقعد وفتح الباب ، وإذا الشيخ قد أقبل ، فلما وصل قال له : بسم الله  
يا مولانا . فقال ، ومن أنا ؟ فقال : عمران بن شاهين !

قال : لستُ بعمران بن شاهين . قال : بلى ! إن أمير المؤمنين عليه  
السلام أتاني في منامي وقال لي ، اقعد افتح لوليّ عمران بن شاهين !  
قال له ، بحقه هو قال لك ؟ قال ، إي وحقه هو قال لي .  
فوقع على العتبة يقبلها ، وأحاله على ضامن السمك بستين ديناراً ،

وكان له زوارق تعمل في الماء في صيد السمك .  
ثم يقول المجلسي : وبنى الرواق المعروف برواق عمران في  
المشهدين الشريفين الغروي والحائري على مشرفها السلام<sup>١</sup> .  
يا على گربه حشر قنبر تو سایه بر گبر محشر اندازد  
جای دارد که ابر رحمت گبر سایه بر اهل محشر اندازد<sup>٢</sup>

هُوَ النَّبَأُ الْمَكْنُونُ وَالْجَوْهَرُ الَّذِي  
تَجَسَّدَ مِنْ نُورٍ مِنَ الْقُدْسِ زَاهِرٍ  
أَلَا إِنَّمَا الْإِسْلَامُ لَوْلَا حُسَامُهُ  
كَعَقْطَةِ عَنَزٍ أَوْ غُلَامَةِ حَافِرٍ  
أَلَا إِنَّمَا التَّوْحِيدُ لَوْلَا عُلُومُهُ  
كَعَرَضَةِ ضَلِيلٍ وَنَهْبَةِ كَافِرٍ  
صِفَاتِكَ أَسْمَاءٌ وَذَاتُكَ جَوْهَرٌ  
بَرِي الْمَعَانِي مِنْ صِفَاتِ الْجَوَاهِرِ  
يَجْلُ عَنْ الْأَعْرَاضِ وَالْأَيْنِ وَالْمَتَى  
وَيَكْبُرُ عَنْ تَشْبِيهِهِ بِالْعَنَاصِرِ<sup>٣</sup>

١- «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٦٨١ و ٦٨٢؛ والطبعة الحروفية ج ٤٢، ص ٣١٩ و ٣٢٠.

٢- يقول : يا علي ! لو خيم خادمك قنبر على مجوس المحشر يوم الحشر، لكان حرياً  
أن تخيم غيوم رحمة المجوس على أهل المحشر .

٣- هذه الأبيات الرائية لابن أبي الحديد، وهي من علوياته السبع التي طبعت طباعة  
حجرية في مجموعة واحدة مع المعلقات السبع وقصيدة البوصيري .

لِلْجَلْسِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرُونَ

خَفَاءُ جَانِبٍ وَجَهُ الْخَلْقِ وَظُهُورُ جَانِبٍ  
وَجَهُ اللَّهِ فِي الْقِيَامَةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم  
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين  
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ<sup>١</sup>.

وهي مقطع من آخر آية في سورة القصص ، وتمام الآية :  
وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ  
لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

وكما هو ملاحظ فقد وردت فقرات خمس في هذه الآية :

الأولى : لا تدع مع الله إلهاً آخر .

الثانية : لا إله إلا هو .

الثالثة : كل شيء هالك إلا وجهه .

الرابعة : له الحكم .

والخامسة : إليه ترجعون .

وفي الحقيقة فإنه بعد بيان تكليف عدم جواز دعوة إله آخر مع الله ،  
جاءت الفقرات الأربع الأخرى في مقام التعليل للفقرة الأولى .

---

١- مقطع من الآية ٨٨ ، من السورة ٢٨ : القصص .

إِذَنْ ، على الإنسان أن لا يدعو موجوداً غير الله تعالى ، ولا يشركه معه ، إذ لا معبود ولا إله إلا الله ، ولأنّ كلّ شيءٍ فإنّ وهالك إلا وجهه ، ولأنّ الحكم له ومختصّ به ، وأخيراً لأنّ رجوع الناس إليه .

يضاف إلى ذلك أنّ الفقرة الثالثة وهي شاهد كلامنا ، يمكن أن تكون تعليلاً للفقرة الثانية ، أي : لا إله ولا معبود إلا الله لأنّ كلّ شيءٍ فإنّ وهالك إلا وجهه .

وعلى ذلك لما كان كلّ شيءٍ فانياً وهالكاً إلا وجه الله ، فإنّ على الإنسان ألا يدعو غير الله سبحانه ، لأنّ وجه الله هو الله نفسه ، ودعوة الله بوجهه هي دعوة له تعالى . وعلى الإنسان أن يدعو الموجود الباقي لا الموجود الهالك الفاني ، وهو الله الذي لا إله إلا هو ، له الأمر والحكم ، وإليه ترجعون .

هل يرجع ضمير المضاف إليه في (وجه) إلى الله أو إلى الشيء ؟  
إذا كان مرجع الضمير هو الله : أن كلّ شيءٍ فإن وهالك إلا وجه الله .  
وإذا كان مرجعه هو الشيء فسيكون المعنى : كلّ شيءٍ فإن وهالك إلا وجه ذلك الشيء .

والمعنى صحيح في الحالتين كليهما ، لأنّ وجه الشيء مقابل نفس الشيء الفاني ، فما يبقى هو الوجهة الباطنية للأشياء وجهة ارتباطها بالله تعالى ، الذي هو في الحقيقة وجه الله نفسه .

بيد أنّه بالنظر إلى الجناس في العبارة ، فإنّ قوله : «لا إله إلا هو» قد ورد في الجملة السابقة وفيه أنّ الضمير «هو» عائد إلى الله تعالى ، لذا من المناسب أن يعود الضمير في «وجهه» إلى الله تعالى أيضاً .

فهذه الآية - إذَنْ - لا تريد القول إنّ جميع الأشياء تهلك وتفنى ويصيبها البوار والعدم مستقبلاً إلا وجه الله تعالى ، بل تدلّ على أنّ جميع

الأشياء فانية وهالكة ، وهي فانية وهالكة فعلاً .

ذلك أَنَّ كلمة «هالك» من المشتقات ، والمشتقات هي حقيقة في خصوص من تلبس بالمبدأ ، أما في سوى ذلك - وخاصة في المضارع والمستقبل - فاستعمالها مجاز ، ولا يمكن حمل العبارة على ذلك دون الإتيان بقرينة .

إِذَنْ طُبِعَ خَتَمُ الْبُورِ وَالْهَلَاكُ وَالْبُطْلَانُ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ جَمِيعِهَا ، وفق مفاد هذه الآية الكريمة ، فالموجودات هي في عين وجودها فانية وباطلة ومعدومة . وفي ضوء هذا المفاد وردت الآية الكريمة :

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

فإن «فانٍ» يعنى أنها فانية فعلاً ، لا أنها سترتدي خلعة الفناء مستقبلاً فيبقى آنذاك وجه الله تعالى .

ونقرأ من جهة أخرى قوله : فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ .

فوجه الله - إذن - في كل مكان ، وقد أحاط وجهه الموجودات كلها . وما أفادته تلك الآية في أَنَّ وجه الله باقٍ على الدوام ، يستنتج منه أَنَّ الموجودات باقية على الدوام .

بينما يقول سبحانه في صدر الآية : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ . فكيف يمكن القول إنَّ الموجودات بأسرها هالكة وفانية غير وجه الله ، في حين أنها ثابتة باقية ؟

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال تتم بنفس النظرة التي ذكرناها ، وهي أَنَّ الموجودات والأشياء التي يمكن أن تتخذ طابع الشيئية لها وجهان : وجه خلقي ، ووجه أمري ، أي : لها صورة ووجه استقلالتي خلقي ، وصورة ووجه إلهي . فمن حيث الوجه الخلقي نرى أَنَّ الموجودات برمتها فانية وهالكة وباطلة ، أما من حيث وجه الله فإنَّ الموجودات كلها باقية لا يطرأ

عليها الزوال والفناء والبوار ولا يصيبها أبداً .

وهذا هو المطلب الذي أثبت في الفلسفة الإلهية وهو أن الوجود ناقض وطارد للعدم ، وأن الشيء الموجود المرتدي لباس الوجود بالرغم من إمكان تغيير شكله وصورته فيما بعد أو انعدامه في زمان لاحق ، إلا أنه مع تلك الخصائص جميعها ، بما فيها ملاحظة الزمن وسائر الخصائص والمواصفات ، لا يمكن أن يعدم بعد وجوده مع تلك الشرائط والخواص ، ولا يمكن أن يقال للوجود عدماً ، لأن المفهوم القائل (الوجود والعدم مفهومان متناقضان) من المفاهيم البديهية الأولية .

وهذا المطلب الذي أوضحه القرآن الكريم مطلب دقيق جداً وحدير بالتفكير والتأمل وهو أن الموجودات والأشياء بالرغم من حفظها لوحدها ، فإن أصالتها مرتبطة بجهة وجه الله تلك . وبناءً على تلك الجهة فإن الموجودات قاطبة موجودة لا يطرأ عليها البوار والزوال . أمّا بناءً على الجهة الخلقية فإن الموجودات جميعها زائلة بلا شك . هذا إذا كان كل موجود شيئاً واحداً لا ينقسم ولا يتجزأ إلى جزئين أو قسمين لنقول إن جزءاً منه زائل والآخر باقٍ ثابت .

وعليه فإن هذا الفناء الذي نحسه في الموجودات ، وما تذكره الآيات القرآنية المباركة في ظهور القيامة أن الشمس تنكسف ، والنجوم تنكدر وتهاوى وتتناثر ، والأرض تسطح وتمد ، والسماء تنشق وتنصدع ، والبحار تسجر وتفور ، والأشياء بأسرها تفسى وتبطل وتعطل ، وهذا النظام كله زائل وفان ، هذه الأشياء بأجمعها من حيث وجه الخلق .

أي : أن شيئيتها من جهة وجه الخلق التي ينظر إليها الإنسان فانية وهالكة بأجمعها ، أمّا من جهة وجه الله ، فإن الموجودات كافة ، بما فيها هذه السماء والأرض ، وهذه الجبال والبحار ، ثابتة وطيدة ، لأن وجه الله



باقي لا يزول . وهذه النتيجة تستند إلى الآيات التي ذكرناها إذ ليس هناك موجود إلا وفيه وجه الله ، لأن وجه الله موجود في كل موجود . وأن كل موجود لا يوجد حتى يكون فيه عنوان وجه الله ، أي : حتى يكون فيه ارتباطه الملكوتي بالله تعالى ، فوجود الموجود مرتبط بالجانب الملكوتي والوجه الإلهي . وعليه فإن وجه الله موجود في الموجودات برمتها .

فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ<sup>١</sup> .  
ومن ذلك المنظار فإنها لا فناء لها ولا بطلان .

وقد وردت روايات تثبت الوجود للموجودات ، للسماء والأرض ، والزمان في الوقت الذي تدل فيه على زوال هذه الموجودات عند حلول القيامة وتجليها . فهي تقول إنها موجودة في نفس الوقت الذي تقول إنها معدومة . فهو وجود - إذن - في عين الفناء والعدم ، وعدم وفناء في عين الوجود والأصالة . وهذه مسألة جديرة بالتأمل والدقة ، وينبغي الالتفات جيداً إلى أمر معين ، وهو : ما مفاد ومفهوم هذه الروايات ؟

يقول أمير المؤمنين ضمن خطبة في نهج البلاغة :

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحَدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا ، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا زَمَانٍ . عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوَاقَاتُ ، وَزَالَتِ السُّنُونُ وَالسَّاعَاتُ . فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ<sup>٢</sup> .

فأمير المؤمنين عليه السلام يقول هنا : إن الله سيكون وحده لا شيء معه ، كما كان من قبل وحده لا شيء معه ، وإن الساعات والحين والأجل

١- الآية ٨٣ ، من السورة ٣٦ : يس .

٢- «نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٣٥٩ و ٣٦٠ ، الخطبة ١٨٤ ، طبعة محمد عبده - مصر .

والزمان ستزال وتطوى ، وإن مصير الكل إلى الله تعالى .  
ويستفاد من هذا أن هناك أموراً لا تزول ولا تصبح عدماً صرفاً ، وأن لها عودة ورجوعاً ، وأن عودتها ومآلها إلى الله سبحانه .  
يروى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره ، في ذيل آية «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» ، بسنده عن عبيد بن زرارة ، عن الإمام الصادق عليه السلام ، أنه عليه السلام قال :

ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ فَيَرُدُّ عَلَى نَفْسِهِ : لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ، أَيْنَ الَّذِينَ ادَّعَوْا مَعِيَ إِلَهًا آخَرَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟<sup>١</sup>  
ويلاحظ في هذه الرواية أنه أثبت لذاته المقدسة اسم الواحد واسم القهَّار ، وأن هذين الاسمين عالمان موجودان .

كما يروي علي بن إبراهيم القمي في تفسيره في ذيل آية (نفخ الصعق) رواية عن ثوير بن أبي فاختة ، عن الإمام السجاد عليه السلام ، وقد أوردنا هذه الرواية ضمن البحث في نفخ الصور ؛ ومن جملة فقراتها :  
فَعِنْدَ ذَلِكَ يُنَادِي الْجَبَّارُ بِصَوْتٍ مِنْ قِبَلِهِ جَهْورِيٍّ يَسْمَعُ أَقْطَارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ : لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ فَلَا يُجِيبُهُ مُجِيبٌ .  
فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْجَبَّارُ مُجِيباً لِنَفْسِهِ : لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.<sup>٢</sup>

ويستفاد من هذه الرواية أيضاً أن هناك صوتاً يومئذٍ ، وهو صوت جهوري ، وأن السماوات والأرض موجودة أيضاً ، وأن أقطارها ونواحيها قاطبة تسمع صوت الله تعالى ، فليس من مُجِيب له . إذن فالسماوات والأرض موجودتان آنذاك .

١- «تفسير القمي» ص ٥٨٥ .

٢- «تفسير القمي» ص ٥٨١ .

وينقل الصدوق في «التوحيد» ، بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام رواية يستشهد في سياقها بكلام أمير المؤمنين عليه السلام ، حيث يفسر الإمام معاني حروف الهجاء ، فيقول عن حرف الميم :

فَالْمِيمُ مُلْكُ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ لَا مَالِكَ غَيْرُهُ ؛ وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ ثُمَّ تَنْطِقُ أَرْوَاحُ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَحُجَجِهِ فَيَقُولُونَ : لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ<sup>١</sup>.

ويستفاد من هذه الرواية أنّ أرواح الأنبياء والمرسلين والحجج الإلهية موجودة في ذلك الزمان .

كما يروي الصدوق في «الأمالى» ، عن جميل بن درّاج ، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ الْخَلْقَ أَمْطَرَ السَّمَاءُ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ، فَاجْتَمَعَتِ الْأَوْصَالُ ، وَنَبَتِ اللَّحُومُ<sup>٢</sup>.

وورد في هذه الرواية عنوان أربعين صباحاً وذكر فيها المطر ، فهذه الأشياء موجودة إذن .

وينقل الشيخ الطبرسي في «الاحتجاج» ضمن حديث مفصل جداً عن عبد الله بن سنان ، في احتجاج الإمام الصادق عليه السلام على الزنديق ، وفيه أنّ الزنديق سأل قائلاً : أَفَتَكَلَّشَى الرُّوحُ بَعْدَ خُرُوجِهِ عَنْ قَالِبِهِ ، أَمْ هُوَ بَاقٍ ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بَلْ هُوَ بَاقٍ إِلَى وَقْتٍ يُنْفَخُ فِيهِ الصُّورُ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَبْطُلُ الْأَشْيَاءُ وَتَفْنَى فَلَا حِسَّ وَلَا مَحْسُوسَ ، ثُمَّ أُعِيدَتِ الْأَشْيَاءُ كَمَا بَدَأَهَا مُدَبِّرُهَا ؛ وَذَلِكَ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ ؛ يَسْبُتُ فِيهَا

١- «توحيد الصدوق» ص ٢٣٤ .

٢- «الأمالى» للصدوق ، ص ١٠٧ .

## الْخَلْقُ ، وَذَلِكَ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ ١ .

ومع أنّ هذا الكلام صريح في أنّ الأشياء جميعها ستزول ، فلا حس ولا محسوس ، إلا أنّ المستفاد منه هو أنّ الفترة بين النفختين أربعمئة سنة ، فيتّضح من ذلك أنّ هناك زمناً ، يضاف إلى أنّه عليه السلام يقول يَسْبُتُ فِيهَا الْخَلْقُ لَا أَتُهُمْ يَفْنُونَ وَيَصْبَحُونَ عَدَمًا صَرَفًا .

وبعد حوار آخر ، يستوضح فيه الزنديق الإمام ، فيقول عليه السلام ضمن إجابته له :

فَإِذَا كَانَ حِينَ الْبَعْثِ مُطِرَتِ الْأَرْضُ مَطَرَ النُّشُورِ ، فَتَرْبُو الْأَرْضُ ثُمَّ تَمْخَضُ مَخْضَ السَّقَاءِ ، فَيَصِيرُ تُرَابُ الْبَشَرِ كَمَصِيرِ الذَّهَبِ مِنَ التُّرَابِ إِذَا غُسِلَ بِالْمَاءِ ، وَالرَّبْدُ مِنَ اللَّبَنِ إِذَا مُخِضَ ، فَيَجْتَمِعُ تُرَابُ كُلِّ قَالِبٍ إِلَى قَالِبِهِ ، فَيَسْتَقِلُّ بِإِذْنِ اللَّهِ الْقَادِرِ إِلَى حَيْثُ الرُّوحُ ، فَتَعُودُ الصُّورُ بِإِذْنِ الْمُصَوِّرِ كَهَيْئَتِهَا وَتَلْجُ الرُّوحُ فِيهَا ، فَإِذَا قَدِ اسْتَوَى لَا يُنْكَرُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا ٢ .

وورد في هذه الفقرة من الرواية أيضاً تعبير «مطرت الأرض» فيستبين أنّ هناك مطراً ، وأنّ هناك أرضاً ، وأنّ للأرض حركة ومخضاً كمخض السقاء .

وكذلك يروي عليّ بن إبراهيم في تفسيره ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن درّاج ، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال :

إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم . وقال أتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيده وأخرجه إلى البقيع فأنتهى به إلى قبر فصوت بصاحبه فقال : قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ! فخرج منه رجل أبيض الرأس واللحية يمسح التراب

١ و ٢- «الاحتجاج» طبعة النجف ، ج ٢ ، ص ٩٧ و ٩٨ .

عن وجهه وهو يقول : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ . فقال جبرئيل : عُدْ بِإِذْنِ اللَّهِ . ثم انتهى به إلى قبر آخر فقال : قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ! فخرج منه رجل مسود الوجه وهو يقول : يَا حَسْرَتَاهُ يَا تُبُورَاهُ . ثم قال له جبرئيل : عُدْ إِلَى مَا كُنْتَ فِيهِ بِإِذْنِ اللَّهِ . فقال : يَا مُحَمَّد ! هَكَذَا يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فالمؤمنون يقولون هذا القول وهؤلاء يقولون ما ترى <sup>١</sup> .

ونرى أيضاً في هذه الرواية مجيء عنوان المطر وعنوان الأربعين صباحاً . وأمثال هذه الروايات أو أمثال هذه التعابير كثير وجم ، وذكرنا هذه المجموعة من الروايات كنموذج ومثال . وهي جميعها تدل على عدم بقاء أي موجود ، وعلى أن الموجودات ستزول وتبطل ، وأن الله تعالى سيبقى دون سواه ، فـ «لَا حِسَّ وَلَا مَحْسُوسَ» .

وعلى هذا ، فما معنى التقدير بالزمان في قوله «أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ ... بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ» ؟

إذ إن الزمان هو نفسه أحد الموجودات وسيزول أيضاً . إذن فإن التقدير بالسنوات الأربعمئة - مع أن الموجودات كلها تزول فلا يبقى غير ذات الله الواحد القهار ، فلا حس ولا محسوس - أمر لا ينسجم مع سياق الرواية .

ونعلم من جهة أخرى أن الموجودات بأسرها لو فُتيت وزالت ، فإن الزمان سيزول وينعدم أيضاً ، فالإعادة - إذن - لن تكون ذات معنى . إذن تعبير «أُعِيدَتِ الْأَشْيَاءُ» يعني أن هناك شيئاً كان موجوداً ثم فني وانعدم ، فأعاده الله تعالى في زمان آخر .

وحينما ينعدم الزمان ويفنى كلياً ، فإن ذلك الشيء الذي يريد الله

١- «تفسير القمّي» ص ٥١١ .

إيجاده الآن لا يحمل عنوان العود ، إذ ليس هناك زمان .  
ولو كان هناك زمان ، لقلنا في الزمن الأول : خَلَقَ ، ثُمَّ أَمَاتَ ، ثُمَّ  
أَعَادَ . أمّا إذا لم يكن زمان في البين ، فلن يكون هناك عنوان الإعادة . وعليه  
فإنّ تلك الموجودات التي يوجدها الله تعالى ليس لها معاد ، فقد أوجد  
سابقاً موجودات معيّنة ، ويوجد موجودات أخرى بعد ، فهذه الموجودات  
لا تمتلك عنوان التأخر نسبة إلى السابق فنقول : إنّها عادت .  
ذلك أنّ الزمان قد أُزيل ، فلا عنوان للتقدّم والتأخر ، وصارت نسبة  
الموجودات السابقة واللاحقة سواء ، فلا سبق ولا لحوق لأحدها بالنسبة إلى  
الآخر ، ولا (قبل) في الأمر ولا (بعد) . لأنّ الزمان هو الذي ينسّق  
الموجودات في نظام واحد ويرتّبها كحبات المسبحة وكصفحات الكتاب ،  
ويمنحها عنوان التقدّم والتأخر .  
وكما أتينا لا يمكن أن ننسب الموجودات السابقة إلى الزمان السابق  
- لأنّ الزمان لمّا أُزيل فليس من معنى بعد للزمن الحاضر - فإنّا لا يمكننا  
كذلك أن نقول للموجودات اللاحقة أنّها لاحقة .  
هلمّوا واعكسوا الأمر هنا وقولوا إنّ تلك الموجودات السابقة هي  
معاد هذه الموجودات اللاحقة ، إذ عندما ينعدم تدرّج الزمان ويزول تحقّق  
عنوان التقدّم والتأخر واللاحق والسبق ، فما الفرق بين أن نعتبر  
الموجودات اللاحقة معاداً للموجودات السابقة أو أن نعكس الأمر فنضع  
السابقة معاداً لللاحقة ؟ وفي ضوء افتراض انعدام الزمان كلياً ، فإنّ عنوان  
العود والمعاد والعودة والرجوع والمآل وجميع الألفاظ التي تفيد هذا  
المعنى ستفقد معناها ، وستكون الموجودات اللاحقة موجودات أوجدها  
الله ابتداءً ، ويكون عنوان اللّحوق لها مجرّد تعبير ولقطة لسان .  
وهذه المسألة مسألة مهمّة ، وهذا الإشكال ينبغي حلّه ، كما أنّ هذه

الروايات لا يمكن تخطيها ورفضها وطرحها جانباً ، إذ إنها كلمات الأئمة الذين هم معدن العلوم ومستودع أسرار الغيب والمعارف الإلهية ، إنه كلام أمير المؤمنين والسجاد والصادقين عليهم السلام ، ولا يمكن أن نغض الطرف عنها .

وهؤلاء الأئمة هم مفسرو القرآن ، وهم المستقرّون في منهل المعرفة ، والعالمون بحقائق كتاب الله وبواطنه ، وباطن معاني آيات القرآن وروحها في تناول أيديهم .

قال جدّنا العلامة المجلسي رضوان الله عليه بعد أن ذكر الخبر المروي عن «الاحتجاج» للشيخ الطبرسي في خبر الزنديق الذي كان يطرح أسئلة على الإمام الصادق عليه السلام ويسأل عن بقاء الروح بعد الموت ، وأجاب الإمام بالبقاء ، وقال إنّ بين النفختين أربعمئة سنة : هذا الخبر يدلّ على فناء الأشياء وانعدامها بعد نفخ الصور ، وعلى أنّ الزمان أمر موهوم وإلا فلا يمكن تقديره بأربعمئة سنة بعد فناء الأفلاك ، ويمكن أن يكون المراد ما سوى الأفلاك ، أمّا ما سوى فلك واحد يتقدّر به الأزمان .<sup>١</sup>

وقال أستاذنا العلامة الطباطبائي مدّ ظله العالي<sup>٢</sup> في تعليقه على كلام العلامة المجلسي : ظاهر الخبر بطلان الأشياء وفناؤها بذواتها وآثارها ، فيشكل حينئذٍ أولاً بأنّ بطلان الأشياء وحركاتها يوجب بطلان الزمان ، فما معنى التقدير بأربعمئة سنة ؟

وثانياً أنّ فرض بطلان الأشياء مع بطلان الزمان لا يُبقي معنى

١- «بحار الأنوار» الطبعة الحديثة ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ .

٢- الكتاب مؤلّف زمن حياة العلامة الطباطبائي قدّس سرّه ، وآثرنا الإبقاء على تعبير

المصنّف ، وهذا هو دأبنا في مطاوي الكتاب . (م)

لِلإِعَادَةِ ، إِذْ مَعَ بَطْلَانِ الزَّمَانِ وَانْقِطَاعِ اتِّصَالِ مَا فَرَضَ أَصْلًا وَمَا فَرَضَ مَعَادًا يَبْطُلُ نِسْبَةُ السَّابِقِيَّةِ وَاللَّاحِقِيَّةِ بَيْنَهُمَا وَلَا مَعْنَى لِلإِعَادَةِ حِينَئِذٍ . وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ قَدَسَ سِرِّهِ الشَّرِيفُ أَوَّلًا مِنْ اِحْتِمَالِ كَوْنِ الزَّمَانِ أَمْرًا مُوَهُومًا ، فَلَا يَدْفَعُ الْإِشْكَالَ لاسْتِزَامِهِ بَطْلَانِ كُلِّ تَقَدُّمٍ وَتَأَخُّرٍ زَمَانِيٍّ فِي الْعَالَمِ حَتَّى قَبْلَ نَفْخِ الصُّورِ ، وَلَا يُمْكِنُ الِاتِّزَامُ بِهِ . وَمَا ذَكَرَهُ ثَانِيًا : أَنَّ الْمُرَادَ بِبَطْلَانِ مَا سِوَى الْأَفْلَاقِ فَهُوَ مِمَّا يَأْبَى عَنْهُ لِسَانُ الْخَبَرِ وَالْخَبَرُ الْآتِي ، عَلَى أَنَّ مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي ثُبُوتِ وَجُودِ الْأَفْلَاقِ لَوْ تَمَّ لَدَلَّ عَلَى وَجُوبِ اشْتِمَالِ الْفَلَكَ عَلَى عَالَمِ الْعُنَاصِرِ فِي جَوْفِهِ . وَمَا ذَكَرَهُ مِنْ كَوْنِ الْمُرَادِ بِبَطْلَانِ الْأَشْيَاءِ مَا سِوَى فَلكٍ وَاحِدٍ يَتَقَدَّرُ بِهَا الزَّمَانُ يَشْكَلُ عَلَيْهِ مَا يَشْكَلُ عَلَى سَابِقِهِ ، وَيَزِيدُ أَنَّ هَذِهِ الْفَلَكَ عَلَى فَرَضِ وَجُودِهَا تَقْدَّرُ الزَّمَانُ بِحَرَكَتِهَا الْوَضْعِيَّةِ ، وَلَا مَعْنَى لِلْحَرَكَةِ الْوَضْعِيَّةِ مَعَ انْعِدَامِ الْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ مِنَ الْفَلَكَ ، وَهُوَ ظَاهِرٌ . عَلَى أَنَّ فَرَضِيَّةَ وَجُودِ الْأَفْلَاقِ الْبَطْلِيمُوسِيَّةِ مِمَّا اتَّضَحَ فُسَادُهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ ؛ وَالرَّوَايَةُ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ غَيْرُ مَطْرُوحَةٍ وَلِبَيَانِ مَعْنَاهَا الدَّقِيقِ مَحَلَّ آخِرِ ذُو مَجَالٍ وَسَعَةٍ - انْتَهَى <sup>١</sup>.

وَلَقَدْ كَانَ كَلَامُ الْأُسْتَاذِ الْعَلَّامَةِ فِي رَدِّهِ عَلَى الْمَرْحُومِ الْمَجْلِسِيِّ فِي غَايَةِ الْمَتَانَةِ وَالِاتِّقَانِ . وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الدَّقِيقُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي نَعْتَبِرُ عَنْهُ بِوَجْهِ الْخَلْقِ وَوَجْهِ الرَّبِّ . كَمَا أَنَّ الْعَلَّامَةَ يَعْتَقِدُ فِي رِسَالَتِهِ الْخَطِيئَةَ فِي الْمَعَادِ بِجَهْتِي الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ ، وَيَبْطُلَانِ سِلْسِلَةً عَلَّلَ هَذَا الْعَالَمَ وَأَسْبَابَهُ ، وَيَأْشِرُاقُ نُورَ التَّوْحِيدِ فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ . وَمُحَصِّلُ الْجَوَابِ هُوَ الَّذِي أَعْطَاهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ .

وهذه الأخبار في الوقت الذي تنفي فيه السماء والأرض ، فإنها

١- «بحار الأنوار» الطبعة الحديثة ، ج ٦ ، تعليقة ص ٣٣٠ .



تثبتتهما أيضاً ، وبينما تنفي الساعات والسنوات والآجال والأزمنة ، فإنّها تثبت الأجل والسعة والزمن والسنة .

أي : أنّها تريد القول إنّ هذه جميعها فانية ، لكن بفنائها هي ، وإنّها جميعاً باقية ، ولكن ببقاء الحق ، كما أنّ القول قد سبق بأنّ للموجودات وجهتين : وجهة خلقية ، ووجهة خالقية . فالوجهة الخلقية كلّها فانية ، قد حُتّم عليها جميعاً البوار والهلاك والبطلان ، وطُبع على جبينها بخاتم الزوال .

أمّا الوجهة الخالقية فهي وجهة باقية ، موجودة بوجود الله تعالى ، وهذا أمر غير قابل للزوال : كلّ شيء هالك إلّا وجهه .

والعجيب هنا أننا نتخيّل أنّ هذه السماوات والأرض وكلّ ما هو موجود هالك جميعاً إلّا وجه الله ، وأنّ وجه الله أمر موهوم خيالي لا أصالة له ولا اعتبار ولا قوام .

مع أنّ الأمر على عكس ذلك تماماً ، فهذه الموجودات المحسوسة اللافتة للنظر التي ملأت العالم كلّهُ ، أصالتها وحقيقتها هي جانب وجه الله ، وهي موهومة خيالية بغير وجهتها الإلهية ، أي : أنّ وجهتها الخلقية ضعيفة وموهومة كَيِّتِ الْعَنْكَبُوتِ ، لا أساس لها ولا اعتبار ، فهي سراب فحسب . ما أكثر ما جرى الكلام عن هذه الوجهة في القرآن الكريم والأخبار بتعبيرات لطيفة أخرى تماثل هذا التعبير !

ويجب أن نرى الآن كيف تمتلك الموجودات وجهتين مع أنّها شيء واحد ! فكيف - ترى - يصبح الواحد اثنين؟ وما هو منشأ هذا التعدّد في الوجه الذي عبّرنا عنه بوجه الخلق ووجه الربّ أو وجه الخالق أو وجه الله ؟ وما هما الأصلان المختلفان اللذان هما منشأ وأساس هذين العنوانين ؟

هل كان جانبا وجه الخلق ووجه الله جزءين خارجيين في الموجودات ، بحيث يوجد كل موجود بواسطة مزج وتركيب ذينك الجزئين ؟ كما هي الحال في المركبات الخارجية مثل العقيق الذي يحصل إثر تفاعل عنصرين أو أكثر ، فيرتديان لباس الوحدة ويصبحان شيئا واحداً ؟

وهل هذان الجانبان والجهتان جزءان تحليليان كالناطقية والحيوانية التي أنتج مجموعهما مفهوم الإنسانية ، بحيث صارت حقيقتا الحيوان والناطق في الخارج إنساناً ؟

في الحقيقة أنّ في الخارج موجوداً واحداً فقط باسم الإنسان ، لكنّ العقل حين ينظر إليه بمجهره الدقيق ، فإنّه يرى جهة اشتراك مع سائر الحيوانات المتحركة ذات الإرادة تعود منه إلى الحيوان ؛ كما يرى جهة مختصة بالإنسان ، وهي قابلية إدراك المعاني الكليّة المعبر عن صاحبها بالناطق . إلّا أنّ منشأ هذا التحليل العقلي في النهاية أمران خارجيان هما حقيقتا الحيوان والناطق في الخارج ، وهاتان الحقيقتان هما شيء واحد في الخارج ، إلّا أنّ منشأ انتزاع هذين العنوانين العقليين من الخارج متعدّد . أو أنّ هذين العنوانين : وجه الخلق ووجه الخالق ليسا منشأ الانتزاع الخارجيّ في عين وحدة الأشياء ، بل إنّ وجه الخلق أمر اعتباريّ ، ووجه الخالق أمر واقعيّ حقيقيّ ؟

وعليه فإنّ الاختلاف بين هذين الوجهين هو اختلاف المجاز والحقيقة ، والباطل والصحيح ، والنظر البدائي والنظر النهائي ، والسراب والماء .

أمّا في نظر الأفراد الذين ينظرون إلى هذا العالم بناءً على سلسلة العلل والأسباب المستقلة ، فإنّ وجهها الخلقيّ موجود ؛ وأمّا في نظر الأفراد الذين

تغيرت رؤيتهم الاستقلالية إلى الأشياء ، في الدنيا أو بعد الموت إلى رؤية تبصر حقيقتها وواقعها ، ويرون العوالم جميعها مجرد ظهور وتجلّ لذات الحق المتعال ، فإن وجهها الخالقي موجود .

فوجهها الخلقي هو مشاهدة هذا العالم بناءً على محور تحقق العلل والمعلولات ، حيث ترى الأسباب والعلل مستقلة التأثير في المسببات والمعلولات . وهذه الوجهة الخلقية هي التي يقال عنها : إن النبات لا ينبت ولا يخضر ما لم توجد الشمس ؛ وإنه لا ينمو بلا ماء ، وإنه يحتاج إلى الهواء ؛ وإن شروط البيئة التي ينمو فيها النبات تؤثر في نموه تماماً ؛ وإن الجنين يجب أن يكون في بطن أمه على النحو الفلاني ، وإن عليه أن يطوي مراحل معينة ، وإلا لما وجد ونما ، ولما صار له عقل وذكاء ؛ وإن موجودات هذا العالم جميعها تتحرك في سلسلة انتظام صحيح للعلّة والمعلول ، فإن تخطت إحدى العلل محلّها فإنّ العالم سيفسد من أساسه . فهذا العالم هو عالم الخلق ، وعالم الخلق موضوع على سنة عالم العلل والأسباب ، فإذا زالت روابط العلّة والمعلول في هذا العالم ، زال هذا العالم معها ، فلا وجود لعالم الخلق بعد .

أما لو نظر امرؤ من جانب الوجهة الخالقية ومن جانب الوجه الإلهي ، فإنه سيرى هذه العلل والمعلولات كلّها في يد الرب الذي هو علّة العلل ، وسيراه علّة العلل في الموجودات ويرى أنّه هو المؤثر ؛ كما أنّه سيرى العوالم برمتها وهذه السلسلة الطولية المترتبة طائفة وخاضعة لله ومندكة وفانية فناءً محضاً تحت قدرة الله وعلمه وإرادته . وسينظر إلى عوالم الوجود قاطبة على أنّها نوره وضياؤه وشعاع ذاته ، وسيعتبر العوالم بأسرها آثار الحقّ جلّ وعلا وخواصّه ، التي هي في حكم ملكات الإنسان وصفاته وأفعاله وجوارحه المتعلقة بروحه . فأسماء ذات الحق وصفاته وأفعاله هذه

ليست موجبة للتعّد ولا للتحديد في الوجود ، كما أنها لم تتخطّ دائرة قدرته وعلمه وحياته وإرادته جلّ وعزّ . ويدرك قوله تعالى : فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ١ .

ويدرك : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ٢ .

ويدرك : هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣ .  
ويدرك : لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٤ .  
ويدرك : وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ٥ .

ويدرك بوضوح حصر آيات القرآن للصفات في ذاته تعالى ، مثل :

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٦ .

ومثل : إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٧ .

ومثل : إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٨ .

أي أنه سيدرك أنّ المقدّس والمنزه هو الله الذي بيده روح كلّ شيء وملكوته .

ويدرك أنه الأوّل والآخر والظاهر والباطن والعالم بكلّ شيء .

ويدرك أنّ ملك السماوات والأرض وسلطانها مختصّ به ، وأنّ مرجع

١- صدر الآية ٨٣ ، من السورة ٣٦ : يس .

٢- القسم الأعظم من الآية ١ ، من السورة ١١٢ : الإخلاص .

٣- الآية ٣ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

٤- الآية ٥ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

٥- مقطع من الآية ٤ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

٦- صدر الآية ٢٥٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٧- الفقرة الأخيرة من الآية ٦١ ، من السورة ٨ : الأنفال ؛ وفي آيات كثيرة أخرى .

٨- الفقرة الأخيرة من الآية ١ ، من السورة ١٧ : الإسراء ؛ وفي آيات أخرى .

كلّ الأمور إلى الله سبحانه .

ويدرك أنه معكم أينما كنتم .

ويدرك أنّ الله - لا سواه - هو المعبود الحيّ القيوم بالموجودات ،  
وأنته - لا سواه - السميع العليم ، وأنته - لا سواه - السميع البصير .  
وأمثالها ممّا لا يعدّ ولا يُحصى التي قد عمّت أرجاء القرآن ، وسيدرك  
ذلك كلّه جيّداً .

فهذا العالم الطويل والعريض بسلسلة العلل والمعلولات جميعها ،  
ومع كلّ الشرائط والموانع والمُعِدّات باطل وفانٍ بأسره ، وسرابٌ ليس إلّا .  
ولكن متى يكون سراّباً ؟ يكون سراّباً في ذلك الظرف ، في ظرف  
ذلك العالم ، أي : في عالم وجه الله . أمّا في هذا الظرف فالجميع ثابت وله  
حقيقة وواقعية ، لا يمكن أن تتحرك شعرة أو قشّة فيه عن مكانها بدون  
الروابط الموجودة ، ولا يمكن لشعرة أو قشّة أن توجد أو تُعدم بدون  
سلسلة العلل .

والحقّ أنّ روابط هذه السلسلة دقيقة وعميقة إلى الحدّ الذي يبهر  
العقول ويحيرها ، فهذه السلسلة من الأسباب والمسبّبات التكوينية والأمور  
الشرعية من الأمر والنهي والقانون وآلاف العلل والأسباب التي طبقت  
أرجاء العالم من منظاري التكوين والتشريع ، هي التي تكوّن هذا النظام .  
وسيزول هذا النظام حين يطلع نظام آخر لا محلّ فيه لنظرة هذا النظام  
ورؤيته ، وسيبدو جليّاً أنّ الاختلاف والمباينة بين هذين النظامين إنّما يقوم  
على ميزان تباين النظر : نظر الحقيقة ونظر الاعتبار .

إنّ كلّ عالم محكوم بنظام مختصّ به ، فالأفراد الذين يعيشون في  
نظام الحسّ وعالم المادّة والطبع وروابطه العلّية يتطلّعون إلى العلل المستقلّة  
لهذا النظام ، ويقولون : الشمس مؤثّرة ، القمر مؤثّر ، الأرض والزمان

مؤثران ، الماء والمطر والهواء مؤثرة ، الغذاء مؤثر ، الأب ، الأم ، الرفيق ، الشريك ، و ... جميعهم مؤثرون ولهم استقلال في التأثير على حياة الإنسان .

أما في نظام وجه الله وطلوع الحقيقة فيقولون : لا شيء إلا الله ، ولا مؤثر في العالم إلا الله تعالى :  
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .<sup>١</sup>

لذلك فإنّ مناط اختلاف النظرتين ، اختلاف مجال رؤية الإنسان وإدراكه .

ولقد بُني عالم الكثرة والأسباب هذا على أساس النظر الاستقلاليّ للنفس ، فإن طهرت رؤية النفس وتنزّهت ، وبلغت مقام النزاهة والرؤية الطاهرة ، لم يعد عالم الخلق وعالم الربط والباطن يمثلان عالَمين حينئذٍ ، بل سيظهر الباطن فنرى عالم الخلق بجميع تشكيلاته وعجائبه وغرائب هذه عالم وجه الله وعالم الأمر .

لقد جاءت نفسنا إلى هذه الدنيا ونظرت إلى الموجودات ، فشاهدتها مستقلةً بواسطة غلبة الكثرة وضياح نور التوحيد من شدة الظهور في الشبكات المجالية والظاهر والعلل والأسباب ، لذا فإنّها أوجدت عالم الخلق مقابل عالم الأمر بهذا الأفق من الرؤية وشعاع النظر .

فإن أوكلت هذه النفس - بواسطة غلبة الوحدة وظهور نور التوحيد في مظاهر العالم - نظرها الاستقلاليّ إلى الله تعالى ، وعطفته عن هذا العالم ، فلن يكون ثمة عالم للخلق ، بل إنّ عالم الأمر - لا سواء - هو الذي سيوجد . وعليه فإنّ الموجودات برمتها موجودة في مواقعها ، وقيومها هو الله تعالى :

١- صدر الآية ١٩ ، من السورة ٤٧ : محمد .

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ .<sup>١</sup>  
وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ .<sup>٢</sup>

وبناءً على ذلك فلا يعني فناء الموجودات وبقاء الله أن الموجودات ينبغي أن تنعدم بوجودها الحقيقي في الخارج ، وأن تفقد جهة وجه الله فيها ، ليبقى الله تعالى وحده . لأن ذلك الإله الذي تتوقف وحدته على زوال الموجودات الخارجيّة ليس إلهاً ؛ وليس إلهاً ذلك الذي خلق الموجودات فامتلكت بخلقه لها قدرة وعظمة وعلماً أعادت بها إلى الوراثة قدرة الله وعظمته وعلمه ، فأوجدت فيها فتوراً ونقصاناً ، وأجبرته - من ثم - على إزالتها وإعدامها ليستعيد وحدته بإحاطته واستيلائه على الحياة والعلم والقدرة .

بل إنّ عالم الخلقة ونشوء الموجودات لا يضعف وحدة الله ، بل يجعل إثبات وحدته وقهاريته أفضل وأحسن ، لا أنّه يُضعف وحدته .  
وعلى هذا لما كان وجود السماء والأرض والبحار والنجوم والفضاء والمجرات والمدارات وعالم الملكوت والعقل والملائكة ، لا يتنافى مع توحيد الله تعالى ، بل إنّ هذه الموجودات هي بأجمعها لسان واحد وبيان واحد في إثبات الله تعالى ، فإنّ الله تعالى واحد حتّى مع وجود الموجودات قاطبة . كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ وَالْآنَ كَمَا كَانَ .  
ولذلك فإنّ هذه الأشياء التي تُشاهد مقابل الله تعالى لا تقابله ، بل هي مندكة فيه سبحانه .

إنّ العين عندما تكون حولاء فإنّها ترى هذه الأشياء مقابل الله تعالى ،

١- صدر الآية ٢٥٥ ، من السورة ٢ : البقرة ؛ والآية ٢ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٢- صدر الآية ١١١ ، من السورة ٢٠ : طه .

وبدلاً من إفناء الموجودات وإزالتها فإنّ هذه العين ينبغي أن تُعالج وتُطَبَّب . وما أعجب رفع الأئمة الطاهرين عليهم السلام هذه الأستار عن آيات القرآن ، وكشفهم هذه الحقائق جليّة للعيان !

هذه الآيات هي إعجاز القرآن ؛ فقلوه : كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ معجزة ؛ وقلوه : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ معجزة ؛ وهذه الروايات التي بُيِّنَتْ عن مصادر الوحي ، وأوضحت لنا الحقائق بهذه الصورة والكيفيّة ، وأمّعت النظر في تنقيح المطالب هي الأخرى معجزة ، إلّا أننا نمرّ عليها مرور الكرام ، وننظر إليها نظراً بدائياً ساذجاً فنقول : يجب أن تزول السماء وتزول الأرض ليظهر التوحيد وقدرته .

فما هو ذنب السماء والأرض ؟

لو كان الإنسان يمتلك خزانة مليئة بالأوراق النقدية ، وأراد إبطال تلك الأوراق ، فلا ضرورة أن يحرقها جميعاً بعود الثقاب ليحيلها رماداً ، بل يمكنه أن يدع تلك الأوراق النقدية في مكانها دون أن يمستها بشيء ، كلّ ما هنالك أنّ على المصرف الذي منحها الاعتبار أن يُسقط اعتباره عنها ، فينشر في الصحف أنّ الأوراق النقدية الفلانية لا اعتبار لها في المصرف ؛ وهكذا تفقد تلك الأوراق قيمتها بمجرد هذا العمل ، وبذلك يُلغى رصيد القيمة التي كانوا يعدّونها لكلّ ورقة منها بعد أن كانوا يعملون في ضوئها ويلتزمون بآثارها . إنّ من يمتلك عيوناً ضعيفة تعشو عن رؤية الشمس في رائعة النهار يجب ألا يقول : إنّ الشمس يجب أن تُزال لأنّ عيني لا تراها . بل عليه معالجة عينه .

إنّ الأعين التي أصابها مرض التراخوما ، والعيون الرمداء المريضة المتورّمة التي تقطر دموعاً ، حين تنظر إلى القمر ليلة الرابع عشر من الشهر



وقد اكتمل بدرّاً كاملاً يشعّ على العالم بنوره ، فإنّها سترى هالة كبيرة تحيط بالقمر ، لذا عليها ألا تقول بأنّ القمر يجب أن يزول . افرضوا أنّ السماء والأرض قد أُزيلتا ، فهل ستصل النفس إلى درجة التوحيد وتصير موحّدة ؟ إنّ النفس يجب أن تعالج ، فإنّ عالجه الإنسان في هذه الدنيا فإنّ عالم أمره سيظهر في هذه الدنيا ، وقيامته ستقوم هنا ؛ أي : أنته سيرى الله تعالى بوحدته ، وإلاّ فإنّه في النهاية سيتخطّى بواسطة الموت جميع عالم الأسباب هذا ، إلى حيث يطع جانب وجه الله .

وعلى الإنسان أن يعترف - شاء أم أبى - أن لا موجود مؤثّر في عالم الوجود إلاّ الله فهو **عِلَّةُ الْعِلَلِ ، وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** .

وهكذا فإنّ الإقرار والاعتراف بوحدانية الله هناك أمر وجدانيّ .

يُحكى أنّه قيل للقلق : لماذا تبدّل عشك باستمرار فوق قمم الأشجار ، فتهاجر من هذه الشجرة إلى تلك ؟ ابق في عشك الذي بنيته على شجرة واحدة شأن الطيور الأخرى .

فأجاب : هذه الأشجار ذات رائحة كريهة متعفّنة ، لذا أُجبر على السير والحركة والانتقال باستمرار .

قيل له : وأنتى لهذه الأشجار أن تكون متعفّنة ؟ (إذ يُقال إنّ القلق حين يعشعش على شجرة ما ويضع فراخه ، فإنّ من عادته أن يلقي فضلاته وأقذاره هناك فيسبّب تعفن ذلك المكان ، لذا فإنّه يغادره إلى شجرة أخرى وهكذا دواليك) إنّ الأشجار ليست متعفّنة ، ولكن مادامت أسافل أعضائك معك فإنّ الأشجار جميعها ستكون متعفّنة . أصلح نفسك ، فالعيب ليس في الشجرة .

وهكذا فإنّ عالّج الإنسان عينه الحولاء فرأى الله واحداً فقد أصلح أمره فذاك ، وإلاّ فإنّ الله سبحانه سيُري الإنسان في عقبات الموت وبعده

أنته واحد ليس معه غيره .

قيل : إنَّ عطاراً كان له مستخدم ، وكان هذا المستخدم في غاية الحُسْن إلّا أنَّ فيه عيباً واحداً ، وهو أنَّه كان أحول يرى الشيء الواحد شيئين .

وفي ذات يوم قَدِم مُشْتَرٍ إلى العطار فسأله أن يبيعه قَتِينَة زيت ، فأجلسه العطار وقال للمستخدم : اذهب إلى منزلي فوراً ، تجد في السرداب قَتِينَة زيت فهاتها !

أسرع المستخدم إلى البيت ونزل إلى السرداب فرأى قَتِينَتَيْن فيهما زيت الزيتون . فتساءل في نفسه : أيّ واحدةٍ منهما ينبغي أن آخذها ؟ إن أخذتُ هذه فلربّما كان يريد الأُخرى ، وإن أخذتُ الأُخرى فلربّما كان يريد هذه ، كما أنَّه لم يطلبهما معاً . وهكذا وقف المستخدم يفكّر ثم عاد إلى العطار يمشي الهويناً فقال : قلتُ إنَّ في السرداب قَتِينَة واحدة ، لكنني رأيت اثنتين ، فأيهما أجلب لك ؟

قال العطار : يا عزيزي ! إنَّها قَتِينَة واحدة وضعتها بيدي في السرداب ، فاذهب وهاتها !

عاد المستخدم إلى البيت راکضاً ، فدخل السرداب ونظر محدّقاً فرأى قَتِينَتَيْن ، وكلّما فرك عينيه رآهما اثنتين لا واحدة ، لا ريبة في ذلك .

وهكذا عاد إلى العطار ثانية فقال : لقد نظرت إليهما بإمعان فكانتا اثنتين ! فامتعض العطار لجلوس المشتري وانتظاره طويلاً ، وخشي أن ينصرف فيفقدّه ، فأعطى المستخدم عصاه وقاله له : غاضباً : اذهب واكسر إحدى القَتِينَتَيْن وهاتِ الثانية .

فعاد المستخدم والعصا في يده ودخل السرداب فأهوى بالعصا على

إحداهما ، فانكسرت القنيتان كلتاها وأريق زيتهما ، فلم يجد ثمة قنينة أخرى يأت بها ، وعندئذ وقف يفكر أنه ضرب إحداهما بعصاه ولم يضربهما معاً فكيف انكسرتا . وقال في نفسه : لقد كانت هناك قنينة واحدة في الحقيقة ، لكنني كنت أرى إلى جانبها قنينة أخرى تخيلية موهومة ، وها قد جئت أكسر إحداهما ، لكنني لم أهو بعصاي على الموهومة منهما وأبقي الحقيقية على أقل تقدير لآخذها إلى أستاذي ، بل أهويت بعصاي على الحقيقية ، فليس ثمة من قنينة هناك <sup>١</sup>.

ولو شاء هذا المستخدم أن يدع الحق سالماً ويكسر الباطل ، لكان عليه أن يُعالج عينه لترى الواحد واحداً ، ولترى القنينة واحدة ، ولو فعل ذلك لزهق الباطل تلقائياً .

وهكذا فإن كسر الباطل إنما هو بمعالجة العين ، لا بالضرب بالعصا ، لأن العصا تكسر الحق .

ولقد فطن هذا المستخدم إلى أن عيبه في حوله ورؤيته الشيء شيئين فكان يفكر في نفسه أنه سيعود إلى صاحبه ، وكيف سيحكي له القصة ؟ وكيف يبين له عيبه ؟ وهكذا فقد اتجه نحو الصحراء خجلاً .

إن أفراد البشر العالم منهم والتاجر والكاسب يقضون العمر مغرمين بالباطل ، يبنون لأنفسهم أصناماً متفرقة ويجعلونها شركاء لله تعالى ، في جميع أعمالهم ، من كسب وتجارة ، ومطالعة وعلم ، وفي الرئاسة والجاه ، ومحبة الأهل والأولاد ، وفي كل نفس يتنفسونه يضعون صنماً إلى جانب الله سبحانه وتعالى وقنينة زيت باطلة وهمية وشريكاً .

لقد قال النبي يوسف على نبتينا وآله وعليه السلام لرفيقه في

١- «لسان الغيب» للحاج ميرزا كريم الصابوني ، ص ٤ .

السجن : يَصْحَبِي السَّجْنَ عَزَابًا مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ<sup>١</sup>.  
حتى الطعام الذي يتناوله الإنسان ، والملقعة التي يرفعها يراها مؤثرين مقابل الله سبحانه وتعالى ، يشتري فيراه مؤثراً ، ويبيع فيراه مؤثراً ، وينام فيراه مؤثراً ، حتى أنه يتناول الإبريق في دورة المياه فيرى الإبريق مؤثراً مقابل الله تعالى ، فضلاً عن سائر الأعمال المهمة الأخرى ، وإذا صلى ورأى نفسه موجوداً مستقلاً واقفاً للعبادة في ساحة عظمة الله ، فإنه يكون قد غرس بذرة أئمة النفس .

فممارساته هذه جميعاً شرك ، لأن النظر الاستقلالي إلى الموجودات مهما كان وأي فعل كان ، شركٌ بدون استثناء . وتلك الأمور تمثل بأجمعها وجه الخلق ، وينبغي لها أن تزول فيبقى وجه الله لا سواه .

مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ<sup>٢</sup>.

وإذا ما استطاع الإنسان القضاء على هذا النظر الاستقلالي في هذه الدنيا بقوة التقوى والتوكل والاستقامة في طي طريق الإخلاص ، فستكون قيامته قد قامت ؛ وإلا فإن تلك الجهة للوجه الإلهي ستطلع ، فتدمغ هذا العالم كله بختم البطلان ، وسيرى الإنسان آنذاك هذا العالم - في عين انعدامه بنفسه - موجوداً بالله تعالى ، وستكون الشمس والقمر والكواكب من الثوابت والسيارات معدومة في عين وجودها ، وموجودة في عين انعدامها . إن غير الموحدين لا يرون وجود تلك الأشياء ، بل يرون عدمها في هيئة الوجود . أما الموحدون فلا يرون عدمها ، بل يرون وجودها المجرد قائماً بالحق .

١- الآية ٣٩ ، من السورة ١٢ : يوسف .

٢- صدر الآية ٩٦ ، من السورة ١٦ : النحل .

ومهما نادى الأنبياء والأئمة بأن موجودات العالم ليست فانية ، فمن ذا الذي يقتنع ؟ ولكن حين يظهر جانب وجه الله فسيكون مشهوداً للإنسان أنّ تلك الأشياء كانت معدومة بأنفسها ، وموجودة بالحق .  
وسيلاحظ الإنسان آنذاك أنّ سلسلة الأشياء التي ربّتها لنفسه واعتمد عليها من مال وعشيرة وولد وقدرة و ... ؛ وتصور أنّها ستنتفعه وتعينه وتأخذ بيده ، وتشفيه وتقضي حاجاته ؛ عاجزة عن فعل أي شيء .  
وهكذا يُساق الإنسان إلى القيامة ، فيقول المجرم :

مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي \* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي<sup>١</sup> .

إنّ ذلك المال الذي كان ينفعه في الدنيا ، سوف لن ينفعه يومئذٍ إذ إنّ ذلك النظام سيكون قد طوي ، وهذا النظام نظام آخر له نشأة منفصلة ، ومن خصائصه ومعالمه أنّ المال لا يمكنه أن يُغني عن الإنسان شيئاً ؛ ولو كانت أموال الدنيا جميعها متعلقة بالإنسان ، لما أمكنها أن تفعل له شيئاً : مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي . وأنّ هذا الوقت هو وقت ظهور وجه الله الذي سيكون مشهوداً فيه كالشمس في رائعة النهار أن : هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي .

هلك سلطاني وقدرتي جميعهما ، وتلاشت تلك القدرات التي امتلكتها في الدنيا وكنت أنتفع بها في ذلك النظام ، وفنت وامّحت ، أي : أنّها خُتِمت هنا بختم البطلان المحض .

وسيحاطبه الله تعالى أو ملائكته قائلين :

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ \* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ \* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ \* إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ \* وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ \* فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ \* وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ \*

١- الآيتان ٢٨ و ٢٩ ، من السورة ٦٩ : الحاقة .

## لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ<sup>١</sup>.

ذلك أنه لم يكن من المؤمنين بالله العظيم ، وكان يعدّ الموجودات بأسرها مؤثرة عدا الله تعالى ، فلم يكن يصلي أو يرتبط بالله سبحانه ، إذ إن الصلاة تربط الإنسان بالله ، وتقوي فيه جانب وجه الله ، وتضعف جانب مشاهدة استقلال العلل وتأثير الأسباب . أي : أن الصلاة لها أثر هام في طبع سلسلة علل عالم الخلق ومعلولاته بختم البطلان ، وفي ختم جهة وجه الله بختم الحق والصحة والاعتبار .

ومن فوائد الصلاة أيضاً أنها قربان كل تقى ، وأنها تقرب كل فرد ملتزم إلى الله سبحانه وتعالى .

والعلة الأخرى (إلقائه في النار) هي عدم اهتمامه بإطعام المساكين ؛ فإعطاء الزكاة موجب لطهارة المال والقلب . والإنفاق في سبيل الله تعالى يخرج الإنسان من العُجب والغرور . لأن الإنسان يحب المال ويتعلق به وحين ينفقه في سبيل الله يكون قد أنفق محبة في الله تعالى ، وهكذا فإنه يقترب منه تعالى .

ولم يك ذلك المرء يُطعم المساكين والفقراء ، لذا لم يقترب منا وفي النتيجة ، فليس له ها هنا صديق ولا حميم . حميمه اليوم عمله الصالح ، بيد أنه لم يستصحبه معه ، فلا عون له ولا حميم .

وها هو أوان طلوع وجه الله ، لكن هذا المرء لم يجلب معه تلك الأعمال الصالحة التي ستعيه يومئذ ؛ لذا فعند ظهور وجه الله حيث تجتمع القدرة في الله وحده ، وتُشاهد الأشياء بأجمعها مُندكة فيه ، تكون قابلية مثل هذا الشخص ضعيفة ، إذ لم يحمل معه زاداً إلا الحسرة والندم . طعامه من

١- الآيات ٣٠ إلى ٣٧ ، من السورة ٦٩ : الحاقة .

غسلين ، من القبيح والدم الفاسد المتعفن ، ومن المعدن المصهور ، من ذلك الطعام الذي لا يحتمله ولا يتجرعه إلا الخاطئون .

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ<sup>١</sup> .

إن الصلاة والإنفاق ركنان أساسيتان للوصول إلى سماء المعرفة ؛ فالصلاة تصل الإنسان بالله سبحانه وتقوي نور الله ونور التوحيد في قلب المرء ؛ أما الزكاة فتزيد علاقة الإنسان بربه وتنقصها بالدنيا .

الصلاة ، والزكاة بمعناها المطلق الذي يمثل الإنفاق في سبيل الله ، هما جناحان للسير والتحليق في عالم التجرد .

حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ<sup>٢</sup> .

فالصلاة والإنفاق يُضعفان هذا الحب لدى الإنسان .

إن يوم القيامة والجزاء يومٌ لا بيعٌ ينفع فيه ولا خُلة ولا تجارة ، كما أن علاقات الصداقة الدنيوية ليست مُثمرة ولا مفيدة هناك .

ولو أعطى الإنسان يومئذٍ كل ما يملك من أجل نجاته لما نفعه ذلك شيئاً ، ولو كانت الدنيا في قبضته وقايضها بالحصول على صدك نجاة من النار ، أو تخفيف العذاب عنه ، لما نفعه ذلك ، إذ ليس هناك بيع ولا شراء ولا خلال . والصداقة لا تنفع أيضاً إلا إذا كانت على أساس الروابط الإيمانية . إذ إن صداقات الدنيا برمتها ستصبح عدوة للإنسان في ذلك اليوم ، فأولياء الله هم أصدقاء أولياء الله وحسب .

١- الآية ٣١ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢- «الجامع الصغير» للسيوطي ، ص ١٤٦ ، عن البيهقي في كتاب «شعب الإيمان» عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وما لم يمتلك الإنسان رابطة وعلاقة بالله تعالى ، وما لم يكن له صديق ولا ولي في سبيل الله تعالى ، وما لم تكن له خُلة في سبيله تعالى ، فإنه سيكون صفر اليدين .

ومن ثم فإن سلسلة الأسباب والمسببات كلها ، الأصدقاء والأعوان والأقوام جميعهم وسائر من كان يعتمد عليهم الإنسان في الدنيا ، والمال الذي كان يركن إليه ، وبشكل عام فإن كل أسس معيشة حياة الإنسان التي كان يعتمد عليها في الدنيا ، ستصبح هناك صفرًا لا قيمة له .

وسيقول الملائكة للإنسان :

لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ<sup>١</sup>.

وحاصل هذا البحث أن الأرض والزمان والموجودات الخارجية لا ذنب لها ، وإذا ما كنتم تتدمرون من شيء فلا تلعنوا الدهر والزمان ، ولا تلعنوا الشمس والأرض والسماء .

فقد ورد في الرواية أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قال :

لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّهُ<sup>٢</sup>.

فما الذي يعني الدهر؟ يعني الشمس والقمر والنجوم والأرض وغير ذلك ، وليست هذه بالسيئة الطالحة ، بل هي صالحة بأجمعها ، وأساس وجودها وجه الله تعالى ، فذلك العنوان السيئ الذي تلصقونه بها إنما هو من أنفسكم وعنوان القبح من وجهة نظركم . لذا فإن النفس السيئة والنفس المذنبة العاصية هي التي ترى هذه الموجودات سيئة .

فلماذا - إذن - تسبون الموجودات الخارجية؟! عليكم إصلاح

١- الآية ٩٤ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢- «إحياء العلوم» ج ٤ ، ص ٣٤٥ .



أنفسكم أولاً ، وإصلاح النفس يعني إعادة الإنسان بناء نفسه ومعالجتها وتطهيرها وتنزيهها ، لا القضاء على الموجودات الخارجيّة .  
ومن هذا المنطلق ورد في الحديث : مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، ما جاء في «مثنوي» (ج ٦ ، ص ٢٠ ، طبعة ميرخاني) :

بهر این گفت آن رسولِ خوش پیام رمز مُوتُوا قبلِ مَوْتِ یا کرام  
پس قیامت شو قیامت را ببین دیدن هر چیر را شرطست این  
تا نگردي این ندانیش تمام خواه کان أنوار باشد یا ظلام<sup>۱</sup>  
وعلى هذا الأساس أثر في الدعاء :  
اللَّهُمَّ ارِنَا الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ .  
وقال أمير المؤمنين عليه السلام :  
لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا اِزْدَدْتُ يَقِيناً .

وبناء على ما ذكر فقد حُلّت مسألتنا اليوم بحمد الله ومَنّه ، وعلمنا أن جميع الروايات التي ذكرت زوال الأرض ، وزوال الزمان ، وفوران البحار وتسجيرها ، وكسوف الشمس ، وانشقاق الأرض ، هي كلّها حقّ ، لكن من جهة الوجه الخلقي .

أمّا من جهة وجه الحقّ والوجه الربّي فإنّ كافة هذه الأشياء قائمة بالله تعالى وثابتة به ، وأتته سبحانه لا يحتاج في واحدانيته إلى إزالة الأشياء من أجل استوائه على عرش وحدته وهيمنته عليه .

---

١- يقول : من أجل هذا قال ذلك الرسول ذو الرسالة الكريمة : موتوا قبل موتِ يا كرام .

فكُنْ قِيَامَةً - إِذَنْ - لتري القيامة ، لأن شرط رؤية كلّ مقام ، أن تكون في ذلك المقام .  
وما لم تكن كذلك فإنّك لا تدركه تماماً ، سواء كان ذلك نوراً أم ظلاماً .

الله عزّ وجلّ واحد وموحدّ ، وجهة وجه الله موجودة قائمة دائمة ، ولا منافاة بينها وبين وحدة الخالق تعالى ، بل هي مؤيدة لها .  
فما يتنافى مع الكون موحداً (لا مع التوحيد والوحدة) : الأفكار الشهوية المتدّسة بالمعاصي والآمال ، التي تفرّق بين الناس وبين الله ولا تدع الناس يرون نور الله متجلياً في الموجودات قاطبة ، ولا تدعهم يدركون ذلك التجلي .

فإذا أصلحت النفس فإنّ جميع هذه المسائل ستحلّ ، وسيزول التشاؤم والنظرة السيئة ، وسترتبط سلسلة العلل وأسباب عالم الخلق بالله الخالق ، وسيشرق نور الله تعالى في العوالم كلّها ، فيشاهد المؤمن نور الله ويُدركه فيها ، وهذا - لا غيره - هو المقصود بالقيامة . لأنّ القيامة عالم المعاد ، والمعاد يعني عودة الإنسان ورجوعه إلى الله تعالى :

كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ<sup>١</sup>

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ<sup>٢</sup>

وإذا افترض أنّ الإنسان رحل عن الدنيا ولم يصبح جانب وجه الله مشهوداً له ، فإنّه لم يعد إلى الله تعالى .

وحينئذٍ فإنّ الله سيكون قد خلق الإنسان وجزاه على أعماله ، مع أنّ جزاء الأعمال لا يعني معاداً ، إذ إنّ معنى المعاد هو العود إلى الله ، ويلزم من العود إلى الله انكشاف جميع الحقائق التي قد قام الإنسان بفعل ظواهرها ، لا أن يكون ذلك معنى المعاد نفسه .

ومن هنا فإنّ إدراك قدرة الله تعالى وعظمته وقهاريته ووحدانيته

١- المقطع الأخير من الآية ٢٩ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢- مقطع من الآية ١٠٤ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

سيحصل في المعاد وسيتضح في القيامة جلياً ، وليس الأمر بحيث أن هذه القدرة والعظمة والقهارية والوحدانية والعدل ، وسائر الصفات العليا والأسماء الحسنى ستظهر يوم القيامة . فذلك الإدراك يحصل لأولياء الله في هذه الدنيا ، وسيحصل لعموم الناس في القيامة وفي العوالم التي تعقب الموت .

وقد ورد في ذيل دعاء عرفة لسيد الشهداء عليه السلام حسب رواية ابن طاووس قوله :

إِلَهِي عَلِمْتُ بِاخْتِلَافِ الْأَثَارِ وَتَنَقُّلِ الْأَطْوَارِ أَنَّ مَرَادَكَ مِنِّي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لَا أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ .  
إلى أن يصل إلى قوله :

إِلَهِي أَمَرْتُ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْأَثَارِ فَارْجِعْنِي إِلَيْكَ بِكِسْوَةِ الْأَنْوَارِ وَهِدَايَةِ الْأَسْتَبْصَارِ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا مَصُونٌ السَّرِّ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا وَمَرْفُوعَ الْهِمَّةِ عَنِ الْاعْتِمَادِ عَلَيْهَا .  
إلى أن يصل إلى قوله :

أَنْتَ الَّذِي أَشْرَفْتَ الْأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ حَتَّى عَرَفُوكَ وَوَحَّدُوكَ ؛ وَأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الْأَغْيَارَ عَنْ قُلُوبِ أَحِبَّائِكَ حَتَّى لَمْ يُجِبُوا سِوَاكَ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى غَيْرِكَ ؛ أَنْتَ الْمُؤَنِّسُ لَهُمْ حَيْثُ أَوْحَشَتْهُمْ الْعَوَالِمُ ، وَأَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَهُمْ حَيْثُ اسْتَبَانَ لَهُمُ الْمَعَالِمُ ، مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ ؟ وَمَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟<sup>١</sup>

١- هذه المطالب ضمن ذيل دعاء عرفة لسيد الشهداء عليه السلام في موقف عرفة ، وقد أوردها السيد الأجل علي بن طاووس في كتاب «الإقبال» ص ٣٤٨ و ٣٤٩ . ونقلها المرحوم المجلسي رضوان الله عليه في المجلد العشرين من «بحار الأنوار» ص ٢٨٦ .

عكس روی تو چو در آئینه جام افتاد

صوفی از خنده می در طمع خام افتاد<sup>١</sup>

عن كتاب «الإقبال». وله في ذيل هذا الدعاء كلام نقله هنا نصاً: قد أورد الكفعمي رحمة الله عليه أيضاً هذا الدعاء في «البلد الأمين»؛ وابن طاووس في «مصباح الزائر» كما سبق ذكرهما. ولكن ليست في آخره فيهما بقدر ورقة تقريباً، وهو من قوله: «إلهي أنا الفقير في غناي» إلى آخر هذا الدعاء، وكذا لم توجد هذه الورقة في بعض النسخ العتيقة من «الإقبال» أيضاً. وعبارات هذه الورقة لا تلائم سياق أدعية السادة المعصومين أيضاً، وإنما هي على وفق مذاق الصوفيّة. ولذلك قد مال بعض الأفاضل إلى كون هذه الزيادة من مزيادات بعض مشايخ الصوفيّة ومن إلحاقاتهم وإدخالاتهم.

وبالجملّة هذه الزيادة أمّا وقعت من بعضهم أولاً في بعض الكتب، وأخذ ابن طاووس عنه في «الإقبال» غفلةً عن حقيقة الحال، أو وقعت ثانياً من بعضهم في نفس كتاب «الإقبال» ولعلّ الثاني أظهر على ما أومأنا إليه من عدم وجدانها في بعض النسخ العتيقة وفي «مصباح الزائر» والله أعلم بحقائق الأحوال - انتهى.

وأنا أقول: إنّ هذه الفقرات من الدعاء ذكرها العارف المشهور أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري المتوفّي سنة ٧٠٩ هجرية في كتابه المسمّى بـ «الحكم العطائيّة والمناجاة الإلهيّة» حيث عُدّت من جملة أدعية هذا العارف ومناجاته. وكانت وفاة ابن طاووس على ما في «أعيان الشيعة» ج ٤٢، ص ١٨٤، في سنة ٦٦٤ هجرية، فإذا صحّت نسبة هذا الدعاء إلى ابن عطاء فمن المستبعد أن ينقلها ابن طاووس في كتابه في حين أنّ ابن عطاء توفّي بعد ابن طاووس بـ (٤٥ سنة). لذا فإنّ الاحتمال الثاني للمجلسي أرجح. ولكن يمكننا أن نقول: إنّ هذا الدعاء لسيد الشهداء عليه السلام نفسه بيد أنّ ابن طاووس لم يعثر على هذه الفقرة عند تأليف «مصباح الزائر» وأوردها في «الإقبال»، ثمّ نقل ابن عطاء - وكان معاصراً لابن طاووس ومتأخراً عنه - هذا الدعاء عن ابن طاووس وذلك في كتابه «الحكم» وكان يُناجي به، لذا عُدّ من مناجاته بعد وفاة ابن عطاء.

١- «ديوان حافظ» طبعة پژمان، ص ٧٩ و ٨٠.

يقول: حين انعكست طلعتك في مرآة الكأس، (أي في قلب العارف) فقد طمع العارف - من نور الكأس - في الشراب.

حسن روی تو به یک جلوه که در آینه کرد  
 اینهمه نقش در آئینه اوهام افتاد  
 این همه عکس می و نقش و نگاری که نمود  
 یک فروغ رخ ساقیست که در جام افتاد  
 غیرت عشق زبان همه خاصان ببرید  
 کز کجا سر غمش در دهن عام افتاد  
 من ز مسجد به خرابات نه خود افتادم  
 اینم از عهد ازل حاصل فرجام افتاد  
 چه کند کز پی دوران نرود چون پرگار  
 هر که در دایره گردش ایام افتاد  
 هر دمش با من دل سوخته لطفی دگر است  
 این گدا بین که چه شایسته انعام افتاد<sup>۱</sup>

۱- يقول: ولما تجلّى حُسن وجهك في المرأة مرّةً ، فقد تجلّى في مرآة الأوهام كلّ هذه النقوش والرسوم .  
 لم تكن كلّ هذه الصور والرسوم والنقوش التي كان يُجلّيها ، إلّا شعاع واحد من طلعة الساقى التي انعكست في الكأس .  
 لقد أخرجت غيرةُ العشق لسان الخواصّ جميعاً ، أن كيف دارت ألسنة الجميع بسرّ غمّ الحبيب وعشقه ؟  
 لم آتِ من المسجد إلى التكية من تلقاء نفسي ، بل ساقني إليه الأجل من الأزل المكتوب .  
 وما الذي يفعله لثلاً يدور - كدوران الفرجار - بدوران الدهر ، من تهاوى في دائرة دوران الأيّام ؟  
 (أي أنّ من سقط بدائرة دوران الأيّام والدنيا ، فلن يكون قادراً على عدم اتّباع دوران الدهر) .

زير شمشير غمش رقص كنان بايد رفت

كانكه شد كُشته او نيك سرانجام افتاد<sup>١</sup>

أجل إن ما ذكرناه في هذا البحث من طلوع وشهود وجه الله في عوالم ما بعد الموت ، وفناء وانعدام الموجودات جميعها ، ببطلان إدراك الاستقلال في سلسلة العلل والمعلولات ، لا يتنافى مع ما ورد في ظاهر الآيات والروايات حول كسوف الشمس ، وخسوف القمر ، وتسجير مياه البحار يوم القيامة ، وذلك لعدم استبعاد وقوع هذه الحوادث أيضاً في الأرض والسماء يوم القيامة الكبرى . فقد أخذنا - إذن - بالظاهر مضافاً إلى أخذنا بتفسير القرآن وتأويله ، فله الحمد وحده .

إن كل ما يصفه القرآن الكريم من الموجودات جميعها يعتبر عنها بعنوان الآية ، والآية تعني العلامة والدلالة لذي الآية ؛ ومن هنا فإن المخلوقات جميعها تمثل وجه الله تعالى ، لأنها آياته .

وهكذا فإن عالم الخلقة الذي هو آيات إلهية ، كله وجه الله سبحانه :  
وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ<sup>٢</sup>.

وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ<sup>٣</sup>.

ج كل نفس منه لطفت بي ، أنا صاحب القلب المحترق الواله ، فانظر إلى هذا الشخاذ كيف صار لائقاً بأنعام كهذا !

١- يقول : يجب عليّ التسليم لحذ سيفه راقصاً جذلاً ، إذ صار محمود العاقبة من كان قتيله !

٢- الآية ١٠٥ ، من السورة ١٢ : يوسف .

٣- الآية ٢٩ ، من السورة ٤٢ : الشورى .

وما أجمل وصف الأُزريّ وجه رسول الله في قصيدته إذ نعته بوجه

الله :

هُوَ سِرُّ السُّجُودِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَلَوْلَاهُ لَمْ تُعَفَّرْ جِبَاهَا  
وَهُوَ الْآيَةُ الْمُحِيطَةُ بِالْكَوْنِ فَفِي عَيْنِ كُلِّ شَيْءٍ تَرَاهَا  
الْفَرِيدُ الَّذِي مَفَاتِيحُ عِلْمِ الْوَاحِدِ الْفَرْدِ غَيْرُهُ مَا حَوَاهَا  
هُوَ طَاوُوسُ رَوْضَةِ الْمُلْكِ بَلْ نَامُوسُهَا الْأَكْبَرُ الَّذِي يَرْعَاهَا  
وَهُوَ الْجَوْهَرُ الْمُجَرَّدُ مِنْهُ كُلِّ نَفْسٍ مَلِيكُهَا زَكَاةً





الْمَجْلِسُ الثَّامِنُ وَعِشْرُونَ

الْمَعَادُ هُوَ الْعُودُ إِلَى اللَّهِ وَشُهُودُ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم  
وصلَّى الله على محمد وآله الطاهرين  
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :  
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ  
رَاجِعُونَ<sup>١</sup>.

المعاد يعني العود والرجوع إلى الله تعالى ، أو زمان العود ، أو محلّ  
العود إليه تعالى ، لأتته من مادة عَادَ يَعُودُ بمعنى الرجوع . ومن ثمّ فإنّ  
المعنى المطابق للمعاد ليس جزاء الأعمال والأجر عليها .  
أجل ، إنّ ما يستلزمه الرجوع والعودة إلى الله تعالى ، وظهور قدرة  
الله وعظمته ومعرفته وتوحيده ، هو انكشاف الأعمال والآثار المترتبة  
عليها من الجنة والنار : كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ<sup>٢</sup> .

ومن هنا فإنّ المعاد هو الرجوع إلى الله ، ولا بدّ للإنسان أن يعود إلى  
مبدأه ؛ ومن الطبيعي أن الحقائق ستتكشف للإنسان في هذا الرجوع ، تلك  
الحقائق التي كانت خافية عليه في هذا العالم ، فقد كانت سلسلة العلل

---

١- الفقرة الأخيرة من الآية ١٥٥ والآية ١٥٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- الفقرة الأخيرة من الآية ٢٩ ، من السورة ٧ : الأعراف .

والمعلولات والأسباب والمسببات قد حبست الإنسان في أغلال التعيين والتقييد ، فلم تدعه يشاهد جمال الأحديّة واضحاً جليّاً في الموجودات بأسرها .

إنّ الأفكار التي تغلب على الإنسان في عالم الحسّ والمحسوسات هذا ، وغرائزه التي تخرج عن حدّ الاعتدال ، كالشهوة والغضب والوهم ، تُغرقه في عالم من الوهم والخيال يفصله عن إدراك الحقيقة ، إذ إنّ هذا الوهم والخيال معاكس للحقيقة ومخالف لها .

وعندما يعزم على السفر ويشدّ رحاله ، فإنّ هذه التخيّلات والأوهام ستحترق وتزول ، وتنكشف له تلك الحقائق .

فهذه التخيّلات هي أوهام هذا العالم الذي نشأت فيه خلافاً لأصالة الواقع ، وكان لها جانب وجه الخلق ؛ أمّا تلك الحقائق فترجع إلى ذلك العالم ولها جانب وجه الله . على أنّ حقيقة الموجودات واحدة لا أكثر ، لأنّ التشخيص ملازم للوحدة . فكلّ شخص من الموجودات والأشياء واحد ، وجانباً وجه الخلق ووجه الله اعتباران لا ينافيان تشخيص تلك الأشياء . ولأنّ أحدهما ظاهر فإنّ الآخر خافٍ كامن ، اللهم إلّا للأفراد الذين وصلوا إلى مقام جمع الجمع وصاروا يحفظون الباطن والظاهر بملاك الباطن والظاهر تماماً .

وعلى كلّ حال فإنّ الإنسان ينظر حيناً إلى الموجودات في هذا العالم بنظر الاستقلال ، ويرى أنّ كلّاً منها مؤثّر وفاعل ؛ وينظر حيناً آخر إليها على أنّها قائمة بالله تعالى ، وأنّ الله قيّوم عليها ؛ وأن لا موجود قيّوماً في العوالم كلّها إلّا الله . فهذا هو وجه الله ووجه الربّ الوارد في قوله :  
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ .

ومادام الإنسان في هذه الدنيا أسير هوى النفس الأمارة والآمال البعيدة والخيالات الباطلة والأفكار الشيطانية ، فإن هذه الأشياء ستمنع ظهور وجه الرب له ، وتحول بينه وبين إدراك حقيقة الأمر .  
يقول الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الشمالي :

وَأَنَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ الْمَسَافَةِ ، وَأَنَّكَ لَا تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ إِلَّا أَنْ تَحْجُبَهُمُ الْأَعْمَالُ<sup>١</sup> دُونَكَ<sup>٢</sup>.

إن تلك الحقائق ستكون مكشوفة للأفراد الذين يسيرون في صراط مستقيم بقدّم راسخة بحثاً عن معرفة الله ، وقيامتهم ستكون ظاهرة لهم في الدنيا ، وجميع العوالم التي يطويها سائر أفراد البشر بعد الموت عالماً بعد آخر ، يطوونها هم في هذه الدنيا .

وعلى هذا الأساس روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله :  
مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا<sup>٣</sup>.

وروي كذلك عنه صلى الله عليه وآله :

أَوْلِيَايَ تَحْتَ قُبَابِي لَا يَعْرِفُهُمْ غَيْرِي<sup>٤</sup>.  
كما ورد أيضاً :

رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حِجَابٌ إِلَّا مِنْ حِجَابِ يَأْقُوتَةَ  
يَيْضَاءَ فِي رَوْضَةِ خَضِرَاءَ<sup>٥</sup>.

١- الآمال (خ.ل) .

٢ و ٣- «مرصاد العباد» ص ١٧٩ ، ١٨٢ و ٩٣ .

٤- «مرصاد العباد» ص ١٩٠ ؛ ورسالة «عشق و عقل» وتعريبها «العشق والعقل»

ص ٨٦ .

٥- رسالة «سير و سلوك» وتعريبها «السير والسلوك» المنسوبة إلى العلامة بحر

ورود عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

لَوْ كُشِفَ لِي الْغِطَاءُ مَا أَرَدْتُ يَقِينًا .

وروي عنه عليه السلام أنه كان يقول في دعائه قاضي الحاجات :

اَللّٰهُمَّ اَرِنِيْ الْاَشْيَاءَ كَمَا هِيَ <sup>١</sup>.

وروي أن عيسى ابن مريم على نبينا وآله وعليه السلام كان يقول :

لَنْ يَلِجَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ مَنْ لَمْ يُؤَلَدْ مَرَّتَيْنِ <sup>٢</sup>.

ومن الجلي أن المراد بالولادة الأخرى ، إماتة نفسه من الدنيا ومن

غير الله ومن الوجه الخلقي للأشياء ، والحياة بالله والوجه الربّي للأشياء .

ورود في الحديث القدسي أن الله عز وجل يخاطب نبيه داود على

نبينا وآله وعليه السلام قائلاً :

يَا دَاوُدُ أَبْلَغَ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنِّي حَبِيبٌ لِمَنْ أَحَبَّنِي ، وَجَلِيسٌ لِمَنْ

جَالَسَنِي ، وَمُؤَنِّسٌ لِمَنْ أَنَسَ بِذِكْرِي ، وَصَاحِبٌ لِمَنْ صَاحَبَنِي ، وَمُخْتَارٌ

لِمَنْ اخْتَارَنِي ، وَمُطِيعٌ لِمَنْ أَطَاعَنِي ، مَا أَحَبَّنِي عَبْدٌ أَعْلَمَ ذَلِكَ يَقِينًا مِنْ

قَلْبِهِ إِلَّا قَبْلَتُهُ لِنَفْسِي ، وَأَحَبُّهُ حُبًّا لَا يَتَقَدَّمُهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي .

مَنْ طَلَبَنِي بِالْحَقِّ وَجَدَنِي ، وَمَنْ طَلَبَ غَيْرِي لَمْ يَجِدْنِي .

فَارْضُوا يَا أَهْلَ الْأَرْضِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ غُرُوبِهَا ، وَهَلُمُّوا إِلَيَّ

كَرَامَتِي وَمُصَاحِبَتِي وَمُجَالَسَتِي ، وَأَنْسُوا بِي أَنْسَكُمْ وَأَسَارِعْ إِلَيَّ

مَحَبَّتِكُمْ <sup>٣</sup>.

١- العلوم ص ٤٨ ، من النسخة المطبوعة مع حواشي وتعليقات المؤلف .

٢- دعاء أمير المؤمنين عليه السلام المطبوع مع شرحه بقلم الحاج الملا محمد جعفر  
كبوتر آهنگي (بالحجم الجببي).

٣- «بحر المعارف» للمولى عبد الصمد الهمداني ، ص ١٠٣ .

٤- «مسكن الفؤاد» للشهيد الثاني ، الطبعة الحجرية ، ص ١٦ و ١٧ .

في معنى «كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي» المجلس ٢٩

ونقل المرحوم العلامة الحاج الملا مهدي النراقي أعلى الله تعالى مقامه الشريف في «جامع السعادات» فقال :

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى شَرَاباً لِأَوْلِيَائِهِ إِذَا شَرِبُوا سَكَرُوا ، وَإِذَا سَكَرُوا طَرِبُوا ، وَإِذَا طَرِبُوا طَابُوا ، وَإِذَا طَابُوا ذَابُوا ، وَإِذَا ذَابُوا خَلَصُوا ، وَإِذَا خَلَصُوا طَلَبُوا ، وَإِذَا طَلَبُوا وَجَدُوا ، وَإِذَا وَجَدُوا وَصَلُوا ، وَإِذَا وَصَلُوا اتَّصَلُوا ، وَإِذَا اتَّصَلُوا لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَبِيبِهِمْ<sup>١</sup>.

وروى الصدوق في «معاني الأخبار» عن محمد بن موسى بن المتوكل ، عن أبي الحسين محمد بن جعفر الأسدي ، عن محمد بن الحسين الصوفي ، عن يوسف بن عقيل ، عن إسحاق بن راهويه قال :

لَمَّا وَافَى أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ نِيسَابُورَ وَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا إِلَى الْمَأْمُونِ ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَقَالُوا لَهُ : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ! تَرَحَّلْ عَنَّا وَلَا تَحْدُثْنَا بِحَدِيثٍ فَتُسْتَفِيدَهُ مِنْكَ ؟

وكان قد قعد في العُمارية ، فأطلع رأسه وقال :

سَمِعْتُ أَبِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي عَلِيٍّ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ جَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي ، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي» .

قال : فَلَمَّا مَرَّتِ الرَّاحِلَةُ نَادَانَا : بِشُرُوطِهَا وَأَنَا مِنْ شُرُوطِهَا .

١- «جامع السعادات» الطبعة الحجرية ، ص ٤٩٣ .

ثم يقول الصدوق : وقد أخرجت ما رويته في هذا المعنى من الأخبار في كتاب «التوحيد»<sup>١</sup>.

ومن الطبيعي أن البحث في هذا الحديث المبارك المعروف بحديث سلسلة الذهب بحث طويل سواء من جهة صحة السند أم من جهة المعاني والفوائد التي تُستخرج منه ، ونكتفى بالإشارة إليه قائلين : إن المراد بـ «لا إله إلا الله حصني» هو معنى التوحيد ، حيث إن من ورد وادي التوحيد أمن من عذاب الله تعالى ؛ ووادي التوحيد هو نفس الارتباط بوجه الله الذي انكشف له ، فصار ينظر إلى العالم كله بنظر التوحيد .

إذ لم يرد في الرواية تعبير : مَنْ قال لا إله إلا الله ، بل ورد نفس لا إله إلا الله ، أي حقيقة معنى التوحيد وعالمه . فما يصون الإنسان من العذاب هو نفس التوحيد لا التفوّه به ، مع أن آثاراً تترتب على النطق به لا محالة . وما ورد في سند آخر لهذه الرواية من أن :

كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي .

لا ينافي هذا المعنى ، لأن الكلمة تعني الوجود والشيء والعالم ، والأشياء جميعها هي كلمات الله تعالى ؛ ومن رأى الموجودات برمتها وعدّها كلمة الله وكلامه ، فقد نظر إليها - بطبيعة الحال - من جانب وجه الله . ولما تعدّد الوصول إلى مقام التوحيد وانكشافه بالشهود العيني والعلمي بغير الاتصال والارتباط بالولاية التي هي طريق وسبيل وعلامة ودلالة ذي الآيّة ، أي : حقيقة الذات والأسماء والصفات ، فقد بيّن الإمام

١- «معاني الأخبار» ص ٣٧٠ و ٣٧١ ؛ و «عيون أخبار الرضا» ص ٣١٣ و ٣١٤ ؛ و «التوحيد» للصدوق ، ص ٢٤ و ٢٥ . وقد وردت هذه الرواية في «أمالى الشيخ الطوسي» ج ٢ ، ص ٢٠١ ؛ و «الجواهر السنيّة» ص ١٤٧ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ٢٢٢ و ٢٦٢ ؛ وفي القسم الثاني من المجلّد الرابع من «أعيان الشيعة» ص ١١٨ بأسانيد متنوعة واختلاف في المضمون .



الرضا عليه السلام - من ثم - في هذا الحديث أن شرط الوصول إلى مقام التوحيد هو قبول الولاية .

وحصيلة القول إذا تجاوزنا هذه الجماعة والفئة التي صار نور الحضرة الأحديّة مشهوداً لها في الدنيا ، والتي وصلت إلى مقام وجه الله ، فإن باقي الأفراد الذين أسره هم هوى النفس ، قد أطبق على بصيرتهم وراى على قلوبهم حجابٌ من الأوهام والخيالات صوّر لهم الحق باطلاً ، والباطل حقاً .

فهم حين يرحلون عن هذه الدنيا إلى حيث عالم الحقيقة والحق المحض ، وإلى حيث تتجلّى الحقيقة وتظهر ، وحيث هناك محلّ وموطن ظهور قدرة الله وعلمه وقيوميّته وإرادته ومشيتته ، وأخيراً محلّ عالم التوحيد ، فسيكون مشهوداً لهم هناك أنّ هذه الدنيا التي عاشوها لم يكن فيها شيء غير الله وآثاره وظهوراته ، وأن جميع عالم الإمكان والوجود كان قائماً بالله سبحانه ، وأنه لم يكن هناك موجود أصيل ومستقلّ ، تعتمد عليه الموجودات وترتبط به غير الذات المقدّسة للحضرة الأحديّة . إلاّ أنهم لم يدركوا هذه الحقيقة في الدنيا ، وسيدركونها حقّ الإدراك في القيامة .

سيسألهم الله تعالى حين يمثلون بين يديه : لماذا كنتم مشركين في الدنيا ، ولم عدّدتهم غيري مؤثراً وفاعلاً ؟ ولم كنتم في كلّ حال وفي كلّ حركة وسكنة تجعلون غيري شريكاً لي وتعتقدون به ؟

وحيث استنارت نواظرهم في ذلك العالم ورأوا جمال الأحديّة في الموجودات جميعها ، ولم يروا مؤثراً غير الله ، وشاهدوا أنّ كافّة أولئك المعبودين الذين عبدوهم في الدنيا دون الله سبحانه كانوا باطلاً ووهماً وسراباً وخيالاً ، فقد قالوا يا إلهنا ، لم نعبد غيرك في الدنيا : ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ \* مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ

شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ<sup>١</sup>.

وجوابهم هذا «ضلّوا عنا» ليس مفاده أنهم موجودون ومختفون عن أنظارنا ، بل مفاده أنهم ضلّوا وفنوا وانعدموا .  
ثم ارتقوا فقالوا : بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا ؛ لم نعبد في الدنيا أساساً غير الله تعالى .

أي أنّ العبادة التي كنّا نقوم بها متعلّقة بالله تعالى ، إذ لم يكن غير الله من شيء ، ولم يكن من شيء نعبد غير الله وأسمائه وصفاته . ولقد كانت عبادتنا التي فعلناها متعلّقة بالله تعالى على الرغم من أنّ حجاباً كان يغطّي أبصارنا فلا يدعنا نميّز الحقّ أو نرى ذلك الجمال الخالد في الموجودات قاطبة ، وعلى الرغم من أنّنا كنّا نضع مقابل الله تعالى صفحة من التخيّلات والأفكار الواهية فنعبدها ونجعلها معبودنا .

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ .

أي : أنّ أولئك الذين يريدون ستر وجه الحقّ سيضلّون مسيرهم بواسطة أفكارهم ، وسيكون الحقّ لديهم مختفياً والباطل متجليّاً في صورة الأضالة والحقيقة والواقع ، وذنّبهم أنّهم لم يميّزوا بين الحقّ والباطل ، وإلاّ فليس هناك موجود أصيل تتعلّق به العبادة حقّاً غير الله تعالى .

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ \* فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ \* هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتِرُونَ<sup>٢</sup>.

١- الآيتان ٧٣ و ٧٤ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٢- الآيات ٢٨ إلى ٣٠ ، من السورة ١٠ : يونس .

وهي آية في غاية العجب .

ذلك أن الإنسان يرضى بموجودات معينة في الدنيا بصفاتها مؤثرة ، ويستعين بها لقضاء حوائجه ورفع فاقته ، وينظر إليها نظراً استقلالياً ؛ وهو الشرك بالله تعالى ، سواء كان شركاً جلياً أم شركاً خفياً . لأنته لا مؤثر غير الله سبحانه ؛ فهو تعالى يقول : إنا سنحضرهم جميعاً ونحضر معهم الأفراد الذين أطاعوهم وعبدوهم ، لكنهم لن يستطيعوا أن يقتربوا في ذلك العالم من أولئك المعبودين ، فقد كان ذلك القرب مختصاً بعالم الدنيا ، حيث كان بعضهم يقضي حاجات البعض الآخر ، وحيث كانوا يتوسلون بأولئك الشركاء في الشدائد والمحن ، ويسألونهم رفع فاقتهم وحاجتهم .

أما في ذلك العالم ، عالم الحقيقة ، حيث لا مؤثر إلا الله تعالى ، فإن الشركاء لا يمكنهم أن يرتبطوا بهم ذلك الارتباط الذي كان لهم في الدنيا وفي عالم المجاز والبطلان ، لذا فإنهم يفترقون ويبثعدون بعضهم عن بعض .

ثم إنهم يقولون لشركائهم الذين اتخذوهم لأنفسهم : لقد عبدناكم في الدنيا ، فأعينونا اليوم ! إن تلك العبادات والأدعية والطاعات ، وذلك التواضع والمدح والثناء لكم هناك يوجب عليكم مساعدتنا هنا !

فيجيبهم شركاؤهم : إذا ما كنتم إيانا تعبدون ! ولم نكن نحن الذين كنتم تعبدون وتطيعون ؛ أنتم لم تعبدوا واقعنا وحقيقتنا ، بل عبدتم خيالكم ووهمكم ! والله شاهد بيننا وبينكم أن ما نقوله هو الحق ، وأننا لم نكن نعلم بعبادتكم إيانا . هنالك يظهر لكل نفس جميع ما اجترحت في الدنيا ورُدّوا إلى المولى الحقيقي الواقعي ، وسيدرك الجميع أن هذا النحو من العبادات التي مارسوها لغير الله كانت باطلة وخاطئة كلها . ولقد تبدّل العالم ، فلم تعد تنفعهم هذه الأعمال وهؤلاء الشركاء شيئاً :

وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ .

فأولئك الموالى والأفراد الذين كانوا يطيعونهم في الدنيا ويعتقدون أنّ لهم عنوان الأوليّة وحقّ المولويّة عليهم ، كانوا باطلاً بأجمعهم ، وقد ضلّوا وضاعوا قاطبة ، وتجلّى لهم المولى الحقّ هذا اليوم ، وظهر لهم مشهوداً بجميع قدرته وعظمته .

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .

لقد ضلّ عنهم ما كانوا يفترونه على الله ، وما كانوا يسرقون من قدرته وعظمته وعلمه فينسبونّه إلى هؤلاء الأرباب المتفرّقين وموالى الباطل ويطيعونهم فيه . ضلّ كلّ عنهم ، لأنّ العلم متعلّق بالله تعالى وحده ، فنسبته إلى الموالى الآخرين خطأ ؛ والقدرة مختصّة بالله الأحد ، ونسبتها إلى موالى الباطل خطأ .

وسيتّضح لهم ذلك اليوم ويرون رأي العين بعد عمر قضوه في العبادة أنّهم قد عبدوا الوهم فقط وأطاعوا غير الله سبحانه وتعالى وأنّ حقيقة العبادة قد عادت إلى مرجع العبادة وهو الله سبحانه . وأنّ ذنبهم كان توهّمه - وهو الله الذي لا شريك له ، ذو الذات اللامتناهية والحياة اللامتناهية والعلم اللامتناهي والقدرة اللامتناهية - مقيداً محدوداً . فلم يحدّدوا ذلك اللامتناهي وحبسوه في هذه النوافذ الصغيرة ؟ ولم رجوا تلك الذات المقدّسة والأسماء الجماليّة والجلاليّة التي لا تتناهى بصورة ذات وأسماء معيّنة ومقيّدة ؟ ذنبهم في تحديده وتقييده ، لا في أصل عبادته .

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ \* قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ١ .

١- الآيتان ٦٢ و ٦٣ ، من السورة ٢٨ : القصص .

وسيناديهم الله يوم القيامة : أين تلك الموجودات التي كنتم تزعمون في الدنيا أنّهم شركائي ؟ أي : أنه يقول لهم : إني لم أجعل لنفسي شريكاً في فعلي ، وليس لي شريك حقيقي ، فشركائي هؤلاء هم أوهامكم وتصوّراتكم !

لقد أوجد هذا الوهم والخيال شركاء لي في ذاتي وحياتي وعلمي وقدرتي وسائر صفاتي ، فعكفتم على عبادتهم ، فأين هم ؟ هذا هو نداء الله لهم .

لقد كان أولئككم يجزّون الناس إلى المعاصي والذنوب ، ويسوقونهم معهم إلى جهنّم ، وها هي قد حقّت عليهم كلمة عذاب الله ، فهم يقولون : ربّنا هؤلاء الذين أغوينا ، أغويناهم كما غوينا ، تبرّأنا إليك من عبادتهم التي كانوا يعبدونها بها ، فهم لم يعبدونا قطّ .

هذا مع أنّنا نعلم أنّهم قد عبدوهم ، عبدوهم جميعاً مقابل الله تعالى ، لكنّ حقيقة العبادة ترجع إلى الله سبحانه ، أمّا تلك العبادة التي كانوا يعبدونها بواسطة إغوائهم إيّاهم ، فلم تكن إلّا خيالاً ووهماً .

أنجا كه دستگاه حقيقت شود پديد

شرمنده رهروی كه عمل بر مجاز كرد<sup>١</sup>

والخلاصة ، فعندما يتجلّى نور الخالق عزّ وجلّ ويسطع في ذلك العالم ، وتنكشف الحقائق : وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ، وحينما تضيء الأرض وتشرق بنور ربّها وتتخلّى عن ظلماتها وتتألق الحقائق فسيكون مشهوداً أنّ أفراد البشر في الدنيا حينما كانوا يتحرّكون وأيّ هدف كانوا يرومون ، فإنّه ليس هناك غير الله من شيء ، حتّى أنّ عبادة المشركين كانت في

١- يقول : عندما يتجلّى نظام الحقيقة فإنّ الحياء سيلفّ السالك الذي عمل بالمجاز .

الحقيقة لله تعالى . فما هو ذنبهم يا ترى ؟

ذنبهم هو أن الإله الذي كان ينبغي عليهم عبادته والنظر إليه بعينٍ مُبصرة ، والتطلع إلى جماله في الموجودات جميعها ، وعدّه مؤثراً ، قد حبسوه في حدود التعيين . فلمَ فعلوا ذلك ؟ ولمَ شاهدوا تلك القدرة العظيمة والعلم العظيم والحياة العظيمة في زيد وعمرو ، وفي الشمس والقمر ، وفي الأب والأم والرئيس والحاكم ، وفي المال والجاه والاعتبار ؟ إن أولئك ليسوا ربّاً ، فلمَ عبدتموهم وأطعموهم ؟

إن القدرة والعلم اللتين كنتم تشاهدونها فيهم في الدنيا كانت متعلّقة بالله تعالى ، فليس لأحد قدرة في ساحة الله تعالى وفي مقابله سبحانه ؛ فلمَ نسبتهم قدرته تلك إلى الموجودات المتعينة المقيّدة ؟ ولبئس ما فعلتم . فالتعنين والتقيّد سراب ، والباطل لا يلبث أن يزول ويتبدّد فليس له هنا أثر .

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .

كان ذلك التعنين هو افتراؤهم على الله تعالى ، وها هم يرون اليوم أن أولئك ضلّوا وتلاشوا في ديار العدم .

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَّا أُنْزِلَ إِلَهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى<sup>١</sup>.

إنّ ذنب المشركين هو أنهم عبدوا جانب الوجه الخلقيّ للموجودات وغفلوا عن جانب الوجه الإلهيّ ، مع أننا قلنا إنّ جانب الوجه الإلهيّ هو الحقيقيّ ، وإنّ جانب الوجه الخلقيّ هو السراب والوهم .

١- الآية ٢٣ ، من السورة ٥٣ : النجم .

وهكذا فإن أسفهم وحسرتهم أنهم عاشوا عمراً في الدنيا ولم يفتحوا أعينهم ليروا الله تعالى . لقد رأوا الله صغيراً منكسراً مهشماً ، كنور الشمس والقمر المتكسر على أمواج البحر ، كلُّ قد حدّق في قسمٍ منه فتختل أته الشمس والقمر .

إن هذه الخيالات والأوهام خاطئة ، وهي ثرثرة في الكلام ، وتمريج في القلوب ؛ لا تدع أذهاننا تهدأ وتصفو عما يكدرها كي تتجلّى الشمس والقمر في الذهن كما هو حقّها من التجلّي ، ولينال قلب الإنسان وسرّه مقام مشاهدة الجمال الحقيقي لله كما ينبغي له .

إنّ المعاد يعني الاطلاع على عظمة الله وقدرته وعلمه وحياته اللامتناهية ، اطلاعاً يشبه ما كان مشهوداً لنا إجمالاً في العالم الذي يسبق عالم الطبع والمادة ، وهو عالم بدئنا ، وإنّ عودتنا ستكون إلى ذلك العالم الذي كانت بداية خلقنا منه .

لابدّ لنا من الرحيل ، ونيل مقام لقاء الربّ جلّ وعلا وشهوده تفصيلاً ، حيث إنّ الفرق بين التوحيد البدائي والنهائي يتمثل في الإجمال والتفصيل فحسب . هذه هي حقيقة المعاد ، إذ إنّ الظاهر والباطن شيء واحد هناك ؛ الظاهر عنوان الباطن ، وليس الباطن إلّا الجانب المرآتّي والآيتي للظاهر . والوجه الخلقى والوجه الربّي هناك شيء واحد ، وسلسلة العلل والأسباب في عين إتقانها مندكة وفانية في وجه الله تعالى .

إنّ كلّ شيء له ظهور في عالمه الخاص وفي الكينونة ؛ فعنوان الباطن هو عنوان الغيبة ، لأنّ الظاهر فاقد لشيء بالنسبة إلى شيء آخر . ومن ثمّ فإنّ الظاهر والباطن شيان مختلفان عن بعضهما .

أمّا لو كان الشيء غير مخفي عن الشيء الآخر ، فهذا هو عين البروز ، وهذا البروز هو عين الظهور .

إنّ الإنسان في الدنيا أسير حجاب الوهم ، يرى هذا العالم مرتبطاً بسلسلة علل وأسباب مستقلة ، ويراه مفككاً مجزئاً ، فهو يبحث عن أثر مستقل لكل جزء . وهذه الرؤية والمشاهدة هي التي أوجدت الظاهر مقابل الواقع ، كما أوجدت الوجه الخلقي مقابل الوجه الربّي .

أمّا لو زالت سلسلة الأسباب هذه ، وصار بطلانها مشهوداً للعيان ، وصار تأثير علّة العلل والإله الفرد الواحد مُشاهداً للموجودات جميعها كشعاع الشمس في المرايا المختلفة ، فسيكون الظاهر هناك عين الباطن ، وسيكون الغيب والشهادة هناك واحداً ، ولن يكون شيء مختفياً عن شيء . إنّ الأفراد الذين يحضرون في الحشر يشاهدون أنّ الله تعالى مطلع خبير بأحوالهم وأفعالهم ؛ وهو مطلع وخبير هنا أيضاً ، بيد أنّ هذا المعنى مبهم مستغلق لا يدركه جُلّ الناس ، وسيفهمونه ويدركونه هناك .

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا ١.

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ٢.

ليس هناك من حجاب ، فالحجاب والستر متعلقان بعالم الخيال والوهم ، والحجاب مرتبط بعالم وجه الخلق .

وعندما يضمحلّ جانب الوجه الخلقي وينقضي ، ويظهر جانب الوجه الإلهي والوجه الربّي للموجودات ويكون الإنسان في عالم مشرق بنور الله ، ذا علم وإطلاع على بواطن الأشياء ، فليس هناك عندئذٍ من شيء مخفي مستور .

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ٣.

١- صدر الآية ٢١ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢- النصف الأوّل من الآية ١٦ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٣- النصف الثاني من الآية ٢٢ ، من السورة ٥٠ : ق .



بصرك حاد نافذ يرى جيداً ، ينفذ إلى الباطن ويشاهد الأسرار والغيب ، البصر الحديدي يعني البصر الحاد العالم بالباطن علماً ذا قبس ملكوتي ، وعلماً حقيقته الارتباط بالله سبحانه .  
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ<sup>١</sup>.

وهو يومٌ تنكشف فيه الخفيات والنوايا الكامنة ، وتتضح فيه الأفكار والعقائد ، لأن هذه النظرة التي نظر بها الإنسان في هذه الدنيا إلى الموجودات ويرى كلاً منها مستقلاً متباعداً مجزئاً لا يرتبط ببعض الآخر وبالله ، هي نظرة ومشاهدة كامنة ومخفية في باطن أفكاره . أما في ذلك اليوم فإن هذه المخفيات ستظهر وتنكشف ، لأن العالم عالم القلب ، عالم قلب الظاهر إلى الباطن ، ولأن اليوم يوم ظهور البواطن .  
أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ \* وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ \* إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ<sup>٢</sup>.

ألا يعلم الإنسان أنه إذا انشقت القبور وألقت ما فيها (وظهر ما في القلوب من العقائد الفاسدة والنوايا الباطلة والأغراض السقيمة) ، وإذا حُصِّلَ ما في الصدور فتجلى من الظلمة والخفاء والكمون وصار جلياً للعيان ؛ ألا يعلم أن الله يومئذٍ خبير وعليم بهم ؟

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ<sup>٣</sup>.  
فما هي سلامة القلب ؟ هي أن لا يكون فيه سوى الله تعالى . فإذا وجد سوى الله تعالى في قلب الإنسان بأي قدر كان ، كان ذلك القلب سقيماً مريضاً .

١- الآية ٩ ، من السورة ٨٦ : الطارق .

٢- الآيات ٩ إلى ١١ ، من السورة ١٠٠ : العاديات .

٣- الآيتان ٨٨ و ٨٩ ، من السورة ٢٦ : الشعراء .

يروى الكليني في «الكافي» عن علي بن إبراهيم بإسناده المتصل عن  
سفيان بن عيينة ، عن الإمام الصادق عليه السلام : سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» قَالَ : الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي يَلْقَى رَبَّهُ  
وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ سِوَاهُ .

قَالَ : وَكُلُّ قَلْبٍ فِيهِ شِرْكٌ أَوْ شَكٌّ فَهُوَ سَاقِطٌ : وَإِنَّمَا أَرَادُوا الزُّهْدَ فِي  
الدُّنْيَا لِتَفَرُّغِ قُلُوبِهِمْ لِلْآخِرَةِ .<sup>١</sup>

القلب الفارغ هو القلب المهيأ لطلوع نور توحيد الله تعالى ، وهو  
محل إشعاع الأنوار الإلهية والتجليات السبحانية .

چو تافت بر دل من پرتو جمال حبیب

بديد دیده جان حُسن بر کمال حبیب

چه التفات به ذات کائنات کند

کسی که یافت دمی لذت وصال حبیب

به دام و دانه عالم کجا فرود آید

دلی که گشت گرفتار زلف و خال حبیب

خیال مُلک دو عالم نیاورد به خیال

سری که نیست دمی خالی از خیال حبیب<sup>٢</sup>

١- «أصول الكافي» ج ٢ ، باب الإخلاص ، ص ١٦ .

٢- «ديوان المغربي» ص ٩ و ١٠ .

يقول : عندما أشرق على قلبي ضياء جمال الحبيب ، شاهدت البصيرة حُسن كمال  
الحبيب .

وما التفات امرئ إلى ذرات الكائنات ، إذا ذاق لحظةً لذة وصال الحبيب ؟

وأنتى سيحط على الحبّ المنثور على شراك العالم قلب صار أسير زلف وخال  
الحبيب !

وهيهات أن تخطر صورة من العالمين برأس لم يخل لحظةً من خیال الحبيب !

درون من نه چنان از حبيب مملو شد  
 كه گر حبيب در آيد بود مجال حبيب  
 حبيب را نتوان يافت در دو كون مثال  
 اگر چه هر دو جهان هست بر مثال حبيب  
 بدان صفت دل و جان از حبيب پُر شده است  
 كه از حبيب ندارم نظر به حال حبيب  
 چه احتياج بود ديده را به حُسن برون  
 چو در درون متجلى شود جمال حبيب  
 ز مشرق دلت اى مغربى چه كرد طلوع  
 هزار بذر برفت از نظر هلال حبيب<sup>١</sup>  
 وروي في كتاب «أسرار الصلاة» للشهيد الثاني أن رسول الله صلى الله عليه  
 وآله قال :  
 قَلْبُ الْمُؤْمِنِ أَجْرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يَزْهَرُ ؛ وَ قَلْبُ الْكَافِرِ أَسْوَدُ مَثْكُوسٌ .<sup>٢</sup>  
 وقال أيضاً :  
 لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى  
 الْمَلَكُوتِ .<sup>٣</sup>  
 و ما أبدع إنباشد الحكيم السنائي حين يقول :

١- يقول: لقد طفح وجداني بالحبيب، فلم يعد مجالاً فيه لحبيبٍ إلا إذا غادره الحبيب !  
 وأنسى للحبيب مثلاً في كلا الكونين ، ولو كان كلا العالمين على مثال الحبيب !  
 لقد امتلأ القلب والروح بالحبيب بحيث لم يَعتد نظري الحبيب إلى حال الحبيب !  
 فما احتياج البصر إلى الحُسن خارجاً ، وإذا تجلّى في الوجدان جمال الحبيب !  
 فما الذي طلع من مشرق قلبك يا مغربي ، فغيب ألف بدرٍ عن النظر ؟ هلال الحبيب !  
 ٢ و ٢- «بحار الأنوار» ج ١٥ ، قسم الأخلاق ، ص ٣٩ .

دل ان کس که گشت بر تن شاه  
 بود آسوده مُلک از او و سپاه  
 بد بود تن چو دل تباه بود  
 ظلم لشگر ز ضعف شاه بود  
 این چنین پُر خلل دلی که تو راست  
 دذ و دیوند با تو زین دل راست  
 پاره گوشت نام دل کردی  
 دل تحقیق را بهل کردی  
 اینکه دل نام کرده‌ای به مجاز  
 رو به پیش سگان کوی انداز  
 از تن و نفس و عقل و جان بگذر  
 در ره او دلی ببدست آور  
 آن چنان دل که وقت پیچا پیچ  
 اندر او جز خدا نباشد هیچ  
 دل یکی منظرست ربّانی  
 خانه دیو را چه دل خوانی<sup>۱</sup>

۱- «حديقة الحقيقة و شريعة الطريقة» لحکیم السنائی: ص ۲۸۴ و ۲۸۵.  
 يقول: إذا ساد قلب امرئ على بدنه، صار المُلک والجيش منه في راحة ودعة.  
 ساء وضع بدنٍ فسد قلبه، فظلم الجيش انما هو من ضعف المُلک ووهنه.  
 إن القلب الذي لديك مليء بالثغرات، فالوحش والشيطان منه وإياك على حدٍ سواء.  
 أفضغة لحم سميتها قلباً؟! لقد أعرضت بهذا عن قلب التحقيق!  
 فاذهب وألتي إلى كلاب الطريق ما سميتها مجازاً قلباً!  
 وتخطأ البدن والنفس والعقل والروح، واكتسب قلباً في طريقه ونهجه.  
 قلباً إذا ما واجهته المنعطفات لم يكن فيه شيء سوى الله.

از درِ نفس تابه كعبه دل

عاشقان را هزار و يك منزل<sup>١</sup>

إنّ من يرحل عن الدنيا بقلب غير سليم ، هو مريض بشتّى أنواع الأمراض الباطنيّة ، كالشكّ والشكّ والحسد والرياء والخدعة وحبّ الجاه وحبّ المال ، فهذه الأمراض ستكون مانعاً من تجلّي الجمال الإلهيّ في القلب . وعليه إخراجها من قلبه ، وهو أمر عسير شاقّ .

أفيمكن - يا ترى - معالجة هذه الأمراض عند الاحتضار ، وعند سؤال منكرو ونكير ، وعذاب القبر ، وعالم البرزخ ، وفي عالم الحشر والسؤال والحساب والعرض ؟

ومن كانت الأباطيل شغله الشاغل طول عمره ، ومن نأى عن عالم التجرّد ومقام حقيقة النفس ، وعاش في عالم الظلمات ، وولع بالدنيا من أساسها ، ومزّن قلبه وروحه وخواتمه على هذا الأمر ، وراضها بالآمال النفسانيّة والظلم والجناية والإعراض عن الله تعالى ، فصارت ملكاته ملكات حيوان وسبع ضارّ مفترس ، كيف تُنتزع هذه الملكات منه ؟ إنكم لو قتلتم لمن كان مرابطاً في الدنيا : تُب واقلع عن ذنبك هذا ! إنّ أرباحك التي عادت عليك ليست حلالاً لك ، فإن عرفت أصحابها فعليك أن تقسّمها بينهم ، وإن لم تعرفهم فستكون مجهولة المالك عليك إعطاءها للفقراء !

فأنسى له أن يتقبّل هذا الكلام ؟ ومتى سيكون مستعدّاً للتوبة ولردّ الأموال الربويّة ؟ لقد قضى العمر لحظاته وساعاته مغرماً بأوساخ المال ، وفي جمع الدينار والدرهم ، وتمرّس على ظلم المظلومين وانتزاع لقمة العيش من حلقوم الصغير واليتيم والبائس ، ولم يتورّع عن بيع أموال

١- يقول : وإنّ للعشاق من باب النفس إلى كعبة القلب ألف منزل ومنزل !

الفقراء والمساكين في سوق المزايمة ، وعن تمرير أصحابها بالتراب ، فانعكست هذه الأعمال الشيطانية والبهيمية في روحه وأثرت فيها ، حتى كأنها تحجرت كالصخر في مسرح خواطره . أفماء هو حتى يطهره الإنسان يا ترى ؟

إن تحجرت هذه الصفات السيئة القبيحة قد جعل نفسه كالحجر الأصم الصلد ، وهذا التحجر كالنقش والنحت في الصخر ، فأتى له أن يزول بالماء ؟ إن علاجه هو أن تقلب ماهيته .

لذا يُشاهد أن أمثال هؤلاء الأفراد يضحون بأنفسهم في سبيل الدرهم والدينار ، وأنتهم يصبحون جشعين بخلاء قساة ، بحيث لو رأوا أبناءهم يحدون بأنفسهم أمام أعينهم لما كانوا مستعدين للإنفاق من أجل إنقاذهم ، مع ما يكنزونه من الثروة الطائلة . بل يضنون بالمال حتى على أنفسهم ولا يصرفون شيئاً لمعالجتها فيما إذا ابتلوا بمرض أو احتضروا .

فكيف - والحال هذه - يُخرجون هذه الأمراض ؟ وما هي العقبات التي يلزم على القلب طيها ليصل إلى مرحلة السلامة ؟ الله وحده يعلم ذلك . بيد أنه لا مفر من طي الطريق واجتياز العقبات في نهاية المطاف . ولا سبيل للخلاص إلا إذا تجلّى نور الله في القلب ، وتحرك المؤمن بالفرقان الإلهي .

ويلزم هنا بيان نكتة معينة ، وهي أن نور الله وتوحيده وعظمته وعلمه إذا كانت ظاهرة للجميع في عوالم ما بعد الموت ، فلماذا نرى في بعض الآيات أن المجرمين محجوبون ذلك اليوم ؟

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ<sup>١</sup>

١- الآية ١٥ ، من السورة ٨٣: المطففين .

إذا كان من لوازم عالم الآخرة ، وهو عالم المعاد ، الاعتراف والإقرار  
بقدره الله ووحدته وسائر أسمائه الحسنی ، فماذا يعني حجاب الكفّار  
والمشركين ؟ ونذكر المثال الآتي لتوضيح ذلك :

افرضوا أنّ هناك ملكاً يعيش تحت ظلّ حكومته جماعات معيّنة ،  
منهم أفراد مطيعون من أهل الصلاح والنزاهة يأتمرون بأمره ، وآخرون  
من أهل الظلم والطغيان والتمرد والتعدي .

وأذن هذا الملك لجميع الأفراد المطيعين من أهل الصلاح ودعاهم  
إلى بلاطه ليوزّع عليهم الهدايا والصلوات والجوائز ، فجالسهم وتبسط معهم  
في الحديث والمفاكهة ، ووقّرههم وكّرّمهم وأحاطهم برعايته وعنايته ،  
فيكون الملك قد أظهر نفسه لهم وهم جالسين في بلاطه ، ناظرين إلى  
عظمته وقدرته .

وفي ذلك اليوم يأمر هذا الملك بالقبض على الظالمين والخائنين  
والغشّاشين وحبّسهم ، فيمثّل الخدم والحشم أمره ويبادرون إلى اعتقال  
المتمرّدين وتكبيّلهم بالأغلال والسلاسل ويأتون بهم . فتكون قدرة الملك  
قد ظهرت لهم أيضاً في ذلك اليوم ، لأنّهم يرون أنفسهم أسرى في يده  
وقبضته ، فهم لا يستطيعون أن يدعوا إمكان فرارهم وخلاصهم وأنّ  
تحزّبهم وتجمّعهم سيحرّرهم .

وعلى كلّ حال ، فقد ظهرت قدرة السلطان وعظمته لكلا  
المجموعتين ، المطيعة منهما والتمردّة ، ولكن شتان بين هذه وتلك ؟  
فأفراد المجموعة الأولى منعمون يرفلون في الرياض وتهبّ عليهم  
النساء متمتّعين بجمال السلطان وفي كنف عطفه وعنايته ، وفي ظلّ إحسانه  
وإنعامه . وهؤلاء في السجن والعذاب والأغلال ، يتلوّعون في أتون الحياة .  
أولئك تنالهم المراحم والعنايات والألطف ، وهؤلاء عرضة للنقم

والنكايات .

أجل ، كلّ جماعة تقف حيال تجليات السلطان ، لكنّ تجليات الجماعة الأولى الجمال وتجليات الثانية الجلال .

الجمال لطف وإحسان ، وإجلال وإكرام ، ومرحمة وإنعام ؛ بينما الجلال قهر وغضب ، وجبروت وشدة ، وبأس ونقمة .

ای آخر هر اول وی اول هر آخر

ای ظاهر هر باطن وی باطن هر ظاهر

انوار جمال تست در دیده هر مؤمن

آثار جلال تست در سینۀ هر کافر

قد صار لنا الطّرف في حسنكم واله

قد ظلّ لنا العقل في حسنكم حائر<sup>١</sup>

إنّ المؤمنين حين يرحلون عن الدنيا فإنّهم في مظاهر جمال الحقّ جلّ وعلا على الدوام ، يسلم بعضهم على بعض ويعظم بعضهم بعضاً ويجلّونهم ويكرمونه ، وقد بينّ لنا القرآن الكريم هذه الحقيقة في سور مختلفة تبعاً للسير والمقام الذي كان لكلّ منهم في الدنيا ، وتبعاً لمقدار القرب من الله تعالى .

كما أنّ الكفارّ واقعون تحت ظهور وبروز اسم القهار والجبار وشديد المحال وأشدّ المعاقبين ، وتحت ظهور وبروز الأسماء الجلالية . وهذا الظهور والتجليّ من القوّة بدرجة تجعل شركاء المشركين ينكرون عبادة

١- يا آخر كلّ أوّل ، ويا أوّل كلّ آخر ؛ يا ظاهر كلّ باطن ويا باطن كلّ ظاهر .

أنوار جمالك في مرأى كلّ مؤمن ؛ آثار جلالك في صدر كلّ كافر .

قد صار لنا الطّرف ... الخ .



أُولَئِكَ إِتَاهُمْ ، فيقولون : مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ .

كما أَنَّ المشركين يُنكرون عبادتهم بالنسبة إلى أُولَئِكَ ، فيقولون :  
وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ<sup>١</sup> .

التوحيد منكشف ظاهر للجميع ، لكنّ تجليات الجلال توجب حجب  
المشركين والكفار عن تجليات الجمال .

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ\*  
خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ  
سَلِيمُونَ<sup>٢</sup> .

وبغض النظر عن هذا ، فإنّ أيّ عمل يفعله الإنسان في الدنيا ، فإنّ  
عاقبته ستكون ملازمة له قريبة منه في الآخرة . الكذب الذي يجترحه هنا  
سيظهر هناك في هيئة الكذب ، والخدعة والمكر والحيلة التي يقابل بها الله  
تعالى في الدنيا ، ستظهر له في الآخرة وتبرز في هيئة تلك الأفعال . لذا فإنّ  
المشركين يُنكرون شركهم يومئذٍ ويقولون : وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ .

وذلك أنّ كذبهم في الدنيا له ظهور أمامهم في الآخرة ، والأيمان التي  
أقسموها كذباً سيكون لها مثال وظهور هناك ، كما أنّ عدم استطاعتهم  
السجود يوم القيامة إنّما هو ظهور لاستنكافهم عن السجود في الدنيا .

ومع أنّ عظمة الله تعالى وقدرته تظهر حينئذٍ ، ممّا يستلزم غاية  
الخشوع والتذلل والسجود ، ولكنّ باعتبار انطباع نفوس المشركين على  
عدم السجود ، وعدم استعدادها للسجود للمعبود تعالى في الدنيا ، فقد تجلّت  
هذه الحالة النفسية فيهم هناك في هيئة عدم القدرة على السجود ، فصاروا

١- الآية ٢٣ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢- الآيتان ٤٢ و ٤٣ ، من السورة ٦٨ : القلم .

يُذَعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ .

إنَّ الأفراد الذين كانوا لا يسجدون في الدنيا ولا يصلُّون ، ولا يرون في أنفسهم الاستعداد لإظهار العبودية لله تعالى ، والذين تمنعهم روحهم المتعالية المستكبرة في الدنيا من الهوي إلى التراب ، وتمريغ الوجه فيه مقابل مقام عزِّ الله وعظمته ؛ سيعجزون هناك أيضاً عن السجود والصلاة أمام الله تعالى ، وعن إظهار الخضوع والخشوع اختياراً ، والإقرار والاعتراف بمسكنتهم قلباً ، وعن تعظيم الله تعالى ، بالرغم من ظهور القدرة والوحدة وتجليهما .

وذلك أتتهم لم يقرؤوا في هذه الدنيا بوحدة ذات الله المقدسة طائعين ، وسيعجزون هناك أيضاً - مع ظهور التوحيد وبسط مقام الوحدة - عن التلقظ بالشهادة بالتوحيد وإجرائه على ألسنتهم مهما حاولوا .

وما أروع البيان القرآني لهذه الحقائق ! إذ نقرأ في سورة إبراهيم قوله :

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ \* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً<sup>١</sup>.

أجل ، أفندتهم هواء خالية ، لأنها كانت خالية من محبة الله ومعرفته في هذه الدنيا ، نازعة إلى الباطل الذي لا أصالة له ولا وزن . هذا الباطل الذي سيضمحل هناك ، فيبقى الفؤاد خالياً فارغاً .

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا

١- الآيتان ٤٢ و ٤٣ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ \* وَسَكْتُمْ فِي مَسَكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ \* وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ \* فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ \* يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ<sup>١</sup>.

أجل، ستكون الأرض ذلك اليوم نقية لا أمت فيها، منورة بنور ربها، أرض لا يعصى الله عليها. وستقلب هذه الأرض وتنشق وتتخلى عن أثقالها فتلقاها خارجاً، وهناك محل ثواب الأعمال وجزائها. فمن عمل مثقال ذرة خيراً أو شراً، وجد عمله حاضراً عنده يراه ويلمسه.

أما الذين ساروا في الدنيا بخطوات الاستقامة والمصابرة، وبقدم ثابتة في ساحة التقوى والإيمان والصدق ومجاهدة النفس الأمارة وقمع هذا الشيطان المتمرد بصدق، وحفظوا دينهم في الهزاهز والفتن، فإن أعمالهم ونواياهم ومصائبهم محفوظة عند الله تعالى وفي باطن عالم الكون هذا، وستصل إليهم.

أما الذين تخيلوا أن الله وعالم الخلق والرسل والكتب الإلهية أمور سطحية لا طائل فيها، فتعاملوا معها عابثين، ولم يروا لأنفسهم مسؤولية والتزاماً وشغلوا في هذا العالم الفسح باللغو واللعب جامحين، وتفوهوا بكل ماجرى على ألسنتهم، وعملوا ما أمكنهم فعله، وأطلقوا العنان لأنفسهم، وهتكوا المحرمات الإلهية، فإن أعمالهم ونواياهم محفوظة عند الله تعالى أيضاً، وستلاحقهم سياط العدل.

وقد جرى ذكر روايات مختلفة بشأن السابقين في طريق الله

١- الآيات ٤٤ إلى ٤٨، من السورة ١٤: إبراهيم.

والركبان يوم القيامة ، إلا أننا نورد هنا رواية يرجع سندها إلى بني العباس من منطلق إقرار الخصم بفضائل أهل البيت .

يقول الشيخ المفيد في كتابه «الأمالي» : أخبرني أبو علي الحسن بن علي بن فضل الرازي ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن بشر العسكري ، قال : حدثنا أبو إسحاق محمد بن هارون بن عيسى الهاشمي ، قال : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن مهدي الابلي ، قال : حدثنا إسحاق بن سليمان الهاشمي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني هارون الرشيد ، قال : حدثني أبي المهدي ، قال : حدثني المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، قال : حدثني أبي ، عن جدي علي بن عبد الله بن العباس ، عن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : يا أيها الناس نحن في القيامة ركبان أربعة ليس غيرنا . فقال له قائل : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، من الرُكبان ؟

قال : أنا على البراق ، وأخي صالح على ناقة الله التي عقرها قومه ، وابنتي فاطمة على ناقتي العضباء ، وعلي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة خِطامها من لؤلؤ رطب ، وعيناها من ياقوتتين حمراوين ، وبطنها من زبرجد أخضر ، عليها قبة من لؤلؤ بيضاء يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، ظاهرها من رحمة الله ، وباطنها من عفو الله ، إذا أقبلت زقت ، وإذا أدبرت زقت ، وهو أمامي .

على رأسه تاج من نور ، يضيء لأهل الجمع ذلك التاج ، له سبعون ركناً كل ركن يضيء كالكوكب الدرّي في أفق السماء وبيده لواء الحمد ، وهو ينادي في القيامة : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، فلا يمرّ بملاً من الملائكة إلا قالوا : نبي مرسل ، ولا يمرّ بنبي مرسل إلا قال : ملك مقرب ، فينادي منادٍ من بطنان العرش : يا أيها الناس ليس هذا ملكاً مقرباً ، ولا نبياً

مرسلاً، ولا حامل عرش، هذا علي بن أبي طالب، وتجيء شيعته من بعده فينادي منادٍ لشيعته: مَنْ أَنْتُمْ؟ فيقولون: نحن العلويون. فيأتيهم النداء: **أَيُّهَا الْعَلَوِيُّونَ**. أَنْتُمْ آمَنُونَ، ادخلوا الجنة مع من كنتم توالون.<sup>١</sup>

أجل، هذا هو مقام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يمسك بلواء الحمد، أي: أنه قد وصل إلى مقام التوحيد والفناء في ذات الحضرة الأحديّة، بحيث إنّه يحمد الله تعالى كما هو أهله. ولذا فإنّه حقيقة وجه الله المحيط بالكون والمكان، وهو والأئمة الطاهرون في عالم سعة التجرد وإحاطة الإطلاق.

ويُشير المَلّا الروميّ في أشعاره إلى مقام سعة وإحاطة وجهه الإلهيّ فيقول:

تا صورتِ پیوند جهان علی بود  
تا نقشِ زمین بود و زمان بود علی بود  
مسجود ملائک که شد آدم ز علی شد  
آدم چو یکی قبله و مسجود علی بود  
هم آدم و هم شیث و هم ایوب و هم ادریس  
هم یوسف و هم یونس و هم هود، علی بود  
هم موسی و هم عیسی و هم خضر و هم الیاس  
هم صالح پیغمبر و داود، علی بود<sup>٢</sup>

١- «أمالی المفید» ص ١٦٠ و ١٦١.

٢- يقول: كان عليّ منذ أن كانت صورة مادة العالم، وكان عليّ منذ أن كان للأرض والزمان أثر.

به سجدت لآدم الملائكة، فقد كان آدم كالقبة، وعليّ هو الذي سُجِدَ له.  
إنّ آدم وشيثاً وأيوب وادريس ويوسف ويونس وهوداً كانوا عليّاً.  
وإنّ موسى وعيسى والخضر والياس، وصالح وداود كانوا عليّاً.

آن عارف سجّاد كه خاكِ درش از قدر  
 بر کنگرهٔ عرش برافزود علی بود<sup>۱</sup>  
 این کفر نباشد سخنِ کفر نه اینست  
 تا هست علی باشد و تا بود علی بود  
 كما قال فيه عليه السلام :  
 رومی ! نشد از سرّ علی ، کس آگاه  
 زیرا که نشد کس آگاه از سرّ إله  
 یک ممکن و این همه صفات واجب  
 لا حول ولا قوّة إلا بالله<sup>۲</sup>  
 كما أنشد الشيخ كاظم الأزرّي فيه :  
 لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ كَشَفِ  
 قَدْ أَمَاطَتْ عَنِ الْغُيُوبِ غِطَاها  
 وَاسْأَلِ الْأَعْصَرَ الْقَدِيمَةَ عَنْهُ  
 كَيْفَ كَانَتْ يَدَاهُ رُوحَ غِذَاها  
 وَهُوَ عَلَامَةُ الْمَلَائِكِ فَاسْأَلِ  
 رُوحَ جِبْرِيلَ عَنْهُ كَيْفَ هَدَاها  
 أَيِّ نَفْسٍ لَا تَهْتَدِي بِهِدَاهُ  
 وَهُوَ مِنْ كُلِّ صُورَةٍ مُقْلَتَاها

۱- يقول : إنّ العارف السجّاد الذي فاق ترابِ اعتابِ بابهِ شرفات العرش ، كان عليّاً .  
 لقد نظرتُ في الآفاق مليّاً ، فشاهدتُ يقيناً أنّ في كلّ موجود عليّاً .  
 وليس هذا كُفراً وما هو حديث كُفر ، إذ إنّ الموجود هو عليّ ، والذي كان كان عليّاً .  
 ۲- يقول : يا رومي ! لم يطلع امرؤ على كُنه سرّ عليّ ، إذ لم يطلع أحد على سرّ الإله .  
 أممكّن وله صفات الواجب هذه كلّها ؟ لا حول ولا قوّة إلا بالله !

يَا عَلِيَّ حَسْبُكَ الْمِقْدَارُ لَاهُو  
 نَبِيَّةٌ لَا يُحَاطُ فِي عُلْيَاهَا  
 هِيَ قُطْبُ الْمَكُونَاتِ وَلَوْلَا  
 هَا لَمَا دَارَتِ الرَّحَى لَوْلَاهَا  
 لَكَ نَفْسٌ مِنْ جَوْهَرِ اللَّطْفِ صِغَتْ  
 جَعَلَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ فِدَاهَا<sup>١</sup>

١- «ديوان الأزرعي» والأبيات منتخبة منه .





لَجْلِسُ الثَّلَاثُونَ

الْقِيَامَةُ لَيْسَتْ فِي عَرْضِ هَذَا الْعَالَمِ بَلْ مُحِيطَةٌ بِهِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم  
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين  
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :  
وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ  
هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>١</sup>.

المعاد هو عودة الإنسان ورجوعه إلى مبدأه ، ومن لوازم هذا السفر  
طلوع نور التوحيد في عالم القيامة ، وبطلان سلسلة الأسباب والمسببات  
التي لها عنوان الوجه الخلقي .

المعاد عودة الإنسان إلى الله تعالى ، وإقراره واعترافه بمقام توحيد  
الله وعظمته ووحدانيته وصفاته جماله وجلاله . ولذا فإنّ عالم المعاد  
والقيامة ليس في عَرَضِ هذا العالم ، بل مُحِيطٌ به ، لأنّ مقام توحيد الله  
تعالى وصفاته وأسمائه محيط بجميع العوالم ، كما أنّ إدراك عالم القيامة  
وظهور النفس إحاطة أيضاً بهذه النشأة وهذا العالم .

ولعلّ الإجابة على أسئلتهم : متى تقوم القيامة ؟ وأين تقوم ؟ أتقوم  
في الأرض أم في إحدى الكواكب السماوية ؟ أين المكان الذي أعدّ الله عزّ

---

١- الآية ٧٧ ، من السورة ١٦ : النحل .

وجلّ فيه الجنّة وجهتم للمؤمنين والكافرين ؟ أين محلّه ؟ ومتى يحين زمان ذلك ؟ قد اتضحت للبعض تلقائياً خلال المباحث الأخيرة ، ولكن لا بدّ لنا من ذكر مقدّمة لتنقيح الموضوع بصورة كاملة وبيانه بوضوح لإفادة الجميع ، وسيّضح بعد هذه المقدّمة متى سيكون زمن قيام القيامة ، وأين مكان الجنّة وجهتم .

لقد كانوا يسألون النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله : متى قيام الساعة ؟ ومتى قيام القيامة ؟ ومتى يحين هذا الوعد الذي تعدّ به ؟ ومنذ ذلك الوقت كان هذا السؤال يتردّد في أذهان الناس وعامة الطبقات .

والمقدّمة التي سبق الإشارة إليها هي :

إنّ هذا العالم الذي نعيش فيه هو عالم المادّة والطبع ، أي : أنّ موجوداته موجودات مادّيّة ، ولها طبائع مختلفة ، ومن لوازم عالم المادّة الزمان والمكان .

أي : أنّه ليس هناك وجود لمادّة خارجة عن الزمان والمكان ، فهما من أعراض الجوهر المادّي التي لا تنفك عنه . ومن ثمّ فقد دُعي هذا العالم بعالم الطبع والمادّة . ولدينا عالم آخر ليس فيه مادّة ، ولا وجود فيه للطبائع ، وهو عالم المثال والبرزخ ، حيث إنّ حقيقة وملكوت موجوداته أقوى بكثير وأعجب وأشرف وأعلم وأقدر . وبوجه عامّ فهو من جميع الجهات أقوى بكثير من هذا العالم .

إلا أنّ ذلك العالم محيط بهذا العالم ، وهو لا يتبع هذا العالم بحيث إذا ما انقضى هذا العالم وتصرّم ، فإنّ الزمان الذي سيتبع هذا الزمان هو عالم البرزخ والمثال .

وهناك عالم أعلى من عالم المثال والبرزخ ، وهو عالم النّفس ، حيث إنّ موجوداته أعجب وأقوى بكثير ، وعلمها وقدرتها وإدراكها أكثر من

عالم البرزخ . كما أنَّ ذلك العالم لا يتبع عالم البرزخ بحيث نقول إنَّ زمن عالم البرزخ حين يتصرَّم وينقضي ، فإنَّ عالم القيامة سيطلع آنذاك ، لأنَّ عالم القيامة - أساساً - ليس له زمان خاص ، بل هو فوق الزمان ، ونتيجةً لذلك فإنَّ عالم القيامة الذي هو ظهور تجلّيات النفس محيط بعالم البرزخ . وهكذا فإنَّ عالم البرزخ محيط بهذا العالم ، وعالم القيامة محيط بعالم البرزخ .

وبناءً على ذلك فإنَّ عالمي البرزخ والقيامة موجودان الآن ؛ بيدَ أنَّه ليس صحيحاً أن نقول (الآن) ، لأنَّ كلمة (الآن) تعني هذا الزمان ، فنكون بذلك قد أشرنا إلى عالم الطبع الذي له زمان . وعلينا القول إنَّ عالم البرزخ موجود ، وإنَّ عالم القيامة موجود .

أما قولنا إنَّ عالم القيامة موجود الآن فهو من باب ضيق العبارة ، لأنَّنا لا نستطيع استخدام غير هذه العبارة لإيصال المعنى المذكور . ويمكننا فقط أن نقول إنَّ عالم القيامة موجود ، وهو لا يتبع هذا العالم ، بل محيطٌ به . وإذا ما استعملنا لفظ (فعلاً) بدلاً من لفظ (الآن) ، لواجهنا الإشكال نفسه ، لأنَّها ألفاظ تؤدّي نفس المعنى . فهي أخيراً عوالم متداخلة ، يحيط أحدها بالآخر ويُسيطر عليه .

إنَّ هذا العالم تحت إشراف عالم البرزخ وسيطرته ، كما أنَّ عالم البرزخ تحت إشراف عالم القيامة وسيطرته . ذلك أنَّ تلك العوالم لها السيطرة على هذا العالم ، فجهاً هذا العالم جميعها تحت إشراف تلك العوالم ، إلّا إذا عكسنا الأمر فإنَّه سيختلف ، فعالم البرزخ ليس له سيطرة وإحاطة بعالم القيامة ؛ وعالم الطبع ليس له سيطرة وإحاطة بعالم البرزخ . كما أنَّ الموجودات التي في عالم الطبع والمادّة ليس لها سيطرة على عالم المثال والصور الملكوتية ؛ والموجودات التي في عالم المثال والملوكوت

الأسفل ليس لها سيطرة على عالم الملكوت الأعلى والنفس .  
 هذا هو موجز الموضوع ، ولعلّ هذه المسألة تستبين جيّداً بإيراد  
 المثال الآتي : أنّ هذا الموضع الذي نجلس فيه الآن هو مسجد ، فافرضوا أنّ  
 هناك روضة خلف هذا المحلّ وهذا المسجد لها صفة الروضات البرزخيّة .  
 وافرضوا أنّ هناك جنّة برزخيّة أو جهنّم برزخيّة ، وأنّ هذا الجدار جدار  
 طويل . أي : أنّ هذا الحائط الذي بيننا وبين هذه الروضة ، أو هذا الموقد  
 وجهنّم جدار ممتدّ إلى مسافة بعيدة . وأتّه يُقال لكم بأنّ عليكم أن تتحرّكوا  
 من هنا وتذهبوا إلى تلك الروضة . وهو سيرٌ ينبغي على أفراد البشر قاطبة  
 أن يسلكوه . فالجميع عليهم أن يدخلوا في عالم البرزخ . فإن زكى الإنسان  
 نفسه باتباعه التعاليم والأوامر الإلهيّة ووصل إلى مقام الطهارة ، ونزه  
 سريره بحيث أصبح بإمكانه أن يرى وهو جالس هنا في المسجد  
 موجودات عالم الملكوت وسينهض مباشرة نحو الجدار ويضربه بمعول أو  
 فأس ضربات متتابعة حتّى يثقبه ثم يشرع في توسعة ذلك الشقب حتّى  
 يتمكّن أخيراً من الدخول إلى تلك الروضة .

فهو في هذه الدنيا ، إلّا أنّه وصل إلى البرزخ ، وطريقه في ذلك  
 مجاهدة النفس واتباع ما أمر الله به ، والاحتراز عمّا أرادته النفس الأمّارة .  
 أمّا هذه الفؤوس والمعاول التي يضرب بها الجدار ، فيسقط إثر كلّ  
 ضربة قطعة من الحجر أو الطوب ، أو الإسمنت ، فهي في حكم تلك  
 الأعمال الصالحة التي يفعلها الإنسان في الدنيا ، فيرتفع مع كلّ عمل صالح  
 حجاب من الحُجب ، حتّى يُزال أخيراً هذا الجدار ، فيدخل الإنسان في  
 الروضة .

فالأفراد الذين لا يفعلون هذا العمل هم الذين لا يقومون بأعمال  
 صالحة بحيث يمكنهم أن يفتحوا ثغرة في الجدار ليدخلوا تلك الروضة . أو

الذين يقومون بأعمال صالحة أحياناً، فيطرقون الجدار طرقاً غير منتظمة، والزمان يمرّ بالطبع، لأنّ هذا الجدار إنّما هو الزمان الذي يقع بيننا وبين تلك الروضة، وامتداد هذا الجدار إنّما هو امتداد الزمان.

وعليه فإنّ ذلك الزمان يزيحهم من أمام الجدار إلى جانب وطرف آخر، وكلّما مرّ الوقت والزمن، فإنّهم يتحرّكون معه بامتداد الجدار، يتقدّمون إلى الأمام. وبدلاً من أن يثقبوا الجدار، فإنّهم يتقدّمون إلى الأمام ويطوون امتداد طول الجدار. فأما أن يوقفوا في النهاية إلى فتح ثغرة فيه خلال سنة أو سنتين أو عشر سنوات، فيدخلون إذ ذاك في عالم البرزخ أو أنّهم سيعجزون عن ذلك فيأخذهم طيّ الزمان اضطراباً إلى امتداد الجدار، حتّى ينتهي جدار زمنهم، أي: حتّى يحين موتهم، فيصلون إلى نقطة التوقف التي عليهم أن يردوا منها إلى عالم البرزخ.

وقد رأيت أنّ بعض المصانع تعتمد إلى نصب سكّة حديدية على الأرض، تتحرّك عليها باستمرار عجلات وأحزمة ناقلة. فإن شاءوا نقل كرسيّ أو صندوق أو شيء آخر إلى نهاية المصنع، فإنّهم يضعونه على هذه السكّة الحديدية، فتوجب حركة الحزام الناقل والعجلات المتصلة من سقف المصنع بهذه السكّة، حركة هذا الشيء حتّى يصل إلى آخر المصنع. فتصوّر أنّكم تقفون على هذه السكّة الحديدية الممتدة بمحاذاة جدار الزمن، وأنّ حزام عالم الغيب هذا يحرك عجلات الزمن ويديرها، فيحرّك الكرسيّ الذي تجلسون عليه وينقله إلى الأمام باستمرار.

ولو فرضنا أنّ الوقت الآن وقت الظهر، فإنّ كرسيّنا سيقابل نقطة معينة من هذا الجدار، ثمّ تمرّ ساعة فيتحرّك الكرسيّ إلى الأمام ويقابل نقطة أخرى من الجدار. وهكذا فإنّه يتحرّك إلى الأمام باستمرار دون إرادتك واختياركم. وهذه العجلات في حركة دائبة مستمرة، تأخذ الإنسان إلى

الأمم - شاء أم أبى - حتى يحين موته وينتهي الجدار ويصل إلى نهاية المصنع . هذا الجدار هو السد بيننا - نحن وإياكم - وبين عالم البرزخ .  
إن الأفراد الذين يفتحون ثغرة في الجدار فإنهم ينفذون من الجدار إلى عمق الروضة ويردون عالم البرزخ . أما الذين لم يفتحوا ثغرة في الجدار ، وظلّوا جالسين على كراسيهم دونما حراك ، فإنّ السكّة الحديدية ستدفعهم إلى الأمام باستمرار ، فهم ينتظرون - على الدوام - البرزخ الذي سيأتيهم بعد انقضاء هذا العالم ، ولا يعلمون أنّ ذلك البرزخ يواجههم ، وأنّ جداراً واحداً يفصلهم عنه ، وأنّ عليهم التحرك من أمام الجدار لا من امتداده وفي موازاته . يبدّ أنهم - لمّا لم يكونوا من أولي الهمة في تدمير هذا الجدار - فإنّ عجلة الزمن ستجرّهم إلى الأمام ، حتى يحين الموت وينهدم الجدار ، فيردون البرزخ حينئذٍ . ونعلم في ضوء ذلك أنّ البرزخ موجود خلف جدار الزمان ، والحوار العين موجودات حاضرات خلف هذا الجدار ، والأشجار والمياه والنسائم والأرواح الطيبة الطاهرة ، وأنواع العذاب والنقم حاضرة جميعاً ، لكنّ هناك جداراً وحجاباً وساتراً يمنع رؤيتها .

إنّ الذين يسبّرون في طريق الله ويعملون بأمره سيردون ذلك العالم ، أمّا الذين لا يتحرّكون فإنّهم لن يردوه حتى يحين موتهم ، فيكونوا قد طروا الطريق إلى البرزخ حتى وصلوا إلى زمن الموت . فهذا الزمن لم يوصلهم إلى نقطة الموت في حقيقة الأمر ، بل جعلهم يطلعون على أحوال البرزخ . كما أنّ البرزخ موجود الآن دون أن يمتلكوا اطلاعاً عليه ، لأنّ جداراً فاصلاً يحول بينهم وبينه . هذا بالنسبة إلى البرزخ ، أمّا بالنسبة إلى القيامة فإنّ الموضوع على هذا النحو أيضاً .

افرضوا أنّ هناك روضة أخرى أمام الذين وردوا البرزخ ، تُدعى بالقيامة وتجليات النفس ، إلّا أنّ بين تلك الروضة وبين هذه الروضة



البرزخية جداراً فاصلاً أيضاً . فإذا استطاع الذين وردوا عالم المثال - من خلال تزكية النفس الأتارة ومجاهدتها قد أفلح من زكَّها - أن يطهروا أنفسهم وسرائرهم من لوث وذنس عالم الصورة ولم يجعلوا غير الله فيها ، وكانت أعمالهم وأفكارهم وحركاتهم وسكناتهم كلها وفق أمر الله تعالى ، فإن ذلك الحجاب القيامي سيُزال عن أنظارهم . وسيكونون موجودين في الدنيا ، يعيشون على أرض الطبع وعالم الزمان ، لكنهم وردوا عالم النفس والقيامة من البرزخ ، فصارت تلك الجنان الموعودة يوم القيامة حاضرةً بأجمعها أمامهم ، مشهودة لديهم .

أما الذين لا يفعلون ذلك ، فقد ذهبوا إلى عالم البرزخ ، لكنهم عجزوا عن الذهاب إلى القيامة ، لذا فإنّ عليهم أن يطووا المسافة التي بينهم وبين القيامة ، ويجتازوا الجدار الحائل بينهم وبينها ليصلوا إلى الزمن الذي يحضرون فيه عند نفخ الصور في عالم القيامة .

وفي ضوء ذلك فإنّ القيامة ليست في عرض البرزخ بل في طوله ، لكنّ انكشاف عالم القيامة ومعرفة خصائص ذلك العالم وأحواله وخصوصياته وآثاره يتوقفان على نفخ الصور وازمحلال عالم البرزخ . ومن هنا فإنّ الأفراد الموجودين في الدنيا يصلون إلى البرزخ ، كما يصلون إلى القيامة ، وسيُشاهدون أنّ عالم البرزخ محيط بعالم الطبع هذا ، وأنّ عالم القيامة محيط بعالم البرزخ والدنيا كليهما .

ويتّضح - بعد بيان هذا المطلب الذي ذكرناه بوصفه مقدّمة - الجواب الذي نجيب به إذا ما سُئلنا عن وقت قيام القيامة .

الجواب أنّ القيامة حاضرة حاضرة ، وهي أقرب إلى الإنسان من لمح البصر ، ورضوان الله أقرب إلى الإنسان من لمح البصر ، لأنّ برزخ الإنسان في الإنسان نفسه ، ولأنّ قيامة الإنسان في الإنسان نفسه .

إنّ نفس الإنسان محيطة بعالم مثال الإنسان وصورته ، والمثال محيط بالبدن ، ومن ثمّ فإنّ برزخ الإنسان وقيامته أقرب شيء إليه ، وهما أقرب إليه حتّى من لمح البصر .

غاية الأمر أنّ عليه - من أجل الوصول إلى هذا المعنى وإدراكه - أن يطوي هذا الجدار ، فهذا الجدار البرزخيّ يجب أن يطوى ، ويجب أن يُنفخ في الصور . فهذه الأمور هي لطول المسافة لا لبُعد الطريق .

وينبغي على من يعجز الآن عن شقّ هذا الجدار وفتح ثغرة فيه وبلوغ هدفه ومقصده ، أن يطوي طول هذا الجدار . أمّا كم يستغرق طيّ هذا الجدار ؟ هل يستغرق خمسين ، أم ستّين ، أم سبعين ، أم مائة سنة ؟ فالجواب هو أنّه ينبغي له أن يعيش ليفهم ما هو البرزخ . ثمّ إنّّه يذهب إلى البرزخ إلّا أنّه لا يمكنه الذهاب إلى القيامة فوراً ، لأنّه أسير عالم المثال والصورة .

وهكذا يجب عليه مسامرة ذلك الجدار الفاصل بين البرزخ والقيامة ، فيسير ويسير حتّى يصل إلى نهاية الجدار . مع أنّه لو تمكّن لفتح ثغرة في الجدار على الفور ووصل إلى رضوان الله وإلى تلك النعم التي وعد الله عزّ وجلّ بها في القيامة . وما عليه إلّا أن يفتح في الجدار ، فيجد نفسه في القيامة .

يسألون : أين تقوم القيامة ؟ ومتى تقع ؟

هي أقرب من لمح البصر .

وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا اَمْرُ السَّاعَةِ اِلَّا كَلَمٰحٍ اَبْصَرِ اَوْ هُوَ اَقْرَبُ اِنَّ اِلٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۝١

الله سبحانه موجود في كل مكان ، وملكوت السماوات والأرض  
وغيبهما موجودان في كل مكان . فغيبهما - إذن - في يد الله ومع الله ولله .  
كم يستغرق وصول الإنسان إلى القيامة ؟ هي أسرع وأقرب من لمح  
البصر ، لأنّ وجود نفس الإنسان وحقيقتها ، أقرب إلى الإنسان من لمح  
البصر . إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ويمكنه إيصالكم إلى القيامة في لمح  
بصر أو أسرع منه .

فمتى - إذن - تقوم القيامة ؟ لا يمكن القول : الآن . متى يقوم  
البرزخ ؟ لا يمكن القول : الآن .

إلا أنّ من الممكن القول إنّ كلّاً من القيامة والبرزخ قائم وموجود .  
متى يصل الإنسان إلى البرزخ فيدرك آثار ذلك العالم ؟ والجواب أنّه  
عندما يخطو خارج عالم الطبع ، ويرى سلسلة الأسباب والمسببات محكومة  
في يد الله تعالى .

متى يخرج من عالم البرزخ فيدرك عالم القيامة ؟ والجواب أنّه  
حينما ينسف عالم الصورة ويتخطّاه ، عندئذٍ يرد عالم القيامة ، بسرعة أكثر  
فأكثر ، أمّا الذين لا يمكنهم الإسراع فسيصلون متأخرين .

المؤمنون يصلون أسرع من الكفار ، والكفار يصلون متأخرين ، وقد  
يحصل أن يطول برزخ البعض كثيراً في تخطّيتهم للعقبات ، حيث تواجههم  
مصاعب جمة للوصول إلى القيامة ، أمّا البعض الآخر فالأمر ميسور لهم .

وهو يسير جداً للأئمة الطاهرين عليهم السلام وأولياء الله ، فقد طوّوا  
في الدنيا البرزخ والقيامة ، وشاهدوا الحساب والكتاب والصراط والميزان  
والعدل والجنة وجهنم وعبروها جميعاً ، فوصلوا إلى مقام الفناء في ذات  
الحضرة الأحديّة ، ثمّ عادوا إلى عالم البقاء فجاءوا لنا بالخبر .

يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ؟

وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۝١

فما الذي يفهمه أولئك السائلون - ترى - من هذه المعاني ؟ إنَّ عالم النفس والروح والتجليات الأنفسية ، وإحاطة عالم النفس بالبرزخ ، وإحاطة البرزخ بهذا العالم هي مباحث مهمّة ، بل في غاية الأهميّة .

وهذه المطالب التي عُرضت في عدد من الأبحاث الأخيرة التي مرّت هي عصارة مُستخلصة من جميع الآيات القرآنيّة والروايات والأخبار الواردة في أمر المعاد والمعارف الإلهيّة .

وعندما يأتي ذلك الشخص الذي كان مُشركاً فآمن لتوّه ، أو ذلك المشرك الذي لم يؤمن بعد ، فيسأل رسول الله صلّى الله عليه وآله : متى تقوم القيامة التي تعد بوقوعها ؟

فما الذي سيقوله الرسول الأكرم في جوابه ؟ وبأيّ كيفيّة سيفهمه ؟ وكيف يُلفت نظره ويقول له : ها أنت تحترق في النار الآن ؟ إنَّ النار تحيط بوجودك كلّ لكّنك لا تدرك شيئاً ! إنَّ قيامتك معك الآن لكّنك لا تفهم ولا تدرك ! عليك أن تطوي هذه الدنيا ثمّ تذهب إلى البرزخ فتذوق أنواع العذاب البرزخيّ الشديد حتّى تصل إلى القيامة ! ثمّ يُنفخ في الصور فيُحضر الخلائق في المحشر ، الأولون منهم والآخرون . يجب طيّ يومٍ مقداره خمسون ألف سنة لتفهم كيف هي القيامة !

لا يمكن للنبي أن يقول شيئاً غير هذا ! وكم كان جوابه رائعاً صحيحاً مدروساً مطابقاً للواقع ! وما أحسن قوله : إذ قال :

قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا .

فأيّ كلامٍ أروع وأعلى من هذا الكلام ؟

١- الآية ٥١ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ  
عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ \* فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ١.

يقولون إن كنت صادقاً في هذا الوعد الذي تعده (فتقول إن هناك  
أصحاب الجنة وأصحاب جهنم ، وإن الجنة محل المؤمنين وجهنم محل  
الكفار) فعين وقته وقل متى سيجيء ؟

فقل لهم أيها النبي : إنما العلم عند الله ، ولقد جئت لأنذركم من  
العواقب الوخيمة للكفر والشرك والنفاق والعمل السيئ . إنما أنا نذير مبين  
لكم من هذا الخطر ، فاذهبوا وأصلحوا أنفسكم ! ما شأنكم بوقت القيامة ؟  
إن أطلعكم على وقتها لن ينفعكم شيئاً ، فأصلحوا أنفسكم لئلا يشملكم  
البلاء ، فهذا هو المهم !

لقد كنتم تسخرون بالقيامة عبر قولكم : متى هذا الوعد ؟ وكيف  
تزول الأرض ؟ وكيف تنهار الكرات والكواكب السماوية ؟ وشاهدتم رأي  
العين أنه كان أقرب إليكم من لمح البصر ، وأدركتم كم كان قريباً منكم !  
وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ٢.  
حيث عبر القرآن الكريم هنا عن قرب الدنيا إلى القيامة بالمكان  
القريب .

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ  
تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ٣.

١- الآيات ٢٥ إلى ٢٧ ، من السورة ٦٧ : الملك .

٢- الآية ٥١ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

٣- القسم الأعظم من الآية ٣٠ ، من السورة ٣ : آل عمران .

ولهذه الآية دلالة على أنّ الأعمال التي يفعلها الإنسان من خير وشر ، ستكون محضرة بنفسها يوم القيامة . أي : أنّ هذه الأعمال بعينها ستوجد في البرزخ ، وفي القيامة ؛ غاية الأمر أنّ صورتها البرزخية والقيامتية لا تُرى في هذه الدنيا ؛ فالقيامة والبرزخ - إذن - قريبان من الدنيا إلى الحدّ الذي يحضر معه نفس العمل الدنيويّ فيهما (في القيامة والبرزخ) بمجرد فعله ، ولما كان الإنسان خلف جداري البرزخ والقيامة فإنّه لا يرى هذه الأعمال بصورتها القياميّة .

فإذا عبر ، شاهد الأعمال التي أرسلها من قبل حاضرة وموجودة ومحفوظة بأجمعها . وهكذا ستوجد في القيامة الصورة البرزخية للعمل وحقيقة العمل نفسه بمجرد حصول العمل في عالم الطبع ، وسيستقرّ كلُّ منهما في موطنه وموضعه .

والآية الكريمة : وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ<sup>١</sup> آيةٌ عجيبة جداً في إفادة هذا المعنى مثار البحث .

لولا كلمةٌ سبقت من ربك في أن يبقى الناس في الدنيا إلى أجلٍ مُّسمًى ، ويؤخّر موتهم إلى ذلك الزمان ، لقُضي بين الناس فوراً ، ولرأى جميع أفراد البشر أنفسهم في القيامة . وإذ ليس بيننا وبين القيامة فاصل وحاجز ، والعلّة في الفاصل الذي وقع بيننا وبين القيامة كلمة الله وإرادته ، فقد سبقت وحالت دون ذلك .

فما هي تلك الكلمة ؟

وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ<sup>٢</sup>

١- مقطع من الآية ١٤ ، من السورة ٤٢ : الشورى .

٢- المقطع الأخير من الآية ٣٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

لَمَّا جَاءَ أَفْرَادَ الْبَشَرِ مِنْ نَسْلِ آدَمَ إِلَى الدُّنْيَا ، فَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُمْ أَنْ يَسْتَقَرُّوا فِي الْأَرْضِ وَيَتَمَتَّعُوا بِشَمَرَاتِهَا حَتَّى حِينٍ .

إِنَّ حُكْمَ اللَّهِ وَتَقْدِيرَهُ هَذَا فِي سَكْنَى الْبَشَرِ فَوْقَ الْأَرْضِ هُوَ الْكَلِمَةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي أَبْقَتْ الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا إِلَى زَمَانٍ خَاصٍّ وَمَعَيَّنٍ ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْخَاصَّةُ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فَوْراً ، وَلُفْصِلَ بَيْنَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ . فَكَانَ الْإِنْسَانُ فِي جَهَنَّمَ أَوْ فِي الْجَنَّةِ عَلَى الْفُورِ . وَلَا فَاصِلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ .

وَذَلِكَ أَنَّ السَّبْقَ يَسْتَعْمَلُ فِي اللُّغَةِ عِنْدَمَا تَكُونُ هُنَاكَ فَاصِلَةٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ ، كَأَن يَقُولُ أَحَدُكُمْ مَثَلًا : سَبَقْتُ رَفِيقِي ؛ أَي : أَنتَ سَبَقْتَهُ وَتَرَكْتَهُ وَرَاءَكَ فِي الطَّرِيقِ ، وَأَنتَ سَبَقْتَهُ إِلَى مَكَانٍ مَعَيَّنٍ . وَنَتِيجَةُ لِهَذَا السَّبْقِ فَقَدْ صَارَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَفِيقِكَ فَاصِلَةٌ ، وَإِلَّا لَمَا كَانَ لِلْسَّبْقِ مِنْ مَعْنَى . وَلَوْ كُنْتَ قَدْ تَحَرَّكَتَ مَعَ رَفِيقِكَ فِي مَسِيرٍ مَا بِسُرْعَةٍ مَعَيَّنَةٍ ، لَكُنْتَ مَعَهُ دُونَ أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَكُمَا فَاصِلٌ .

إِنَّ سَبْقَ كَلَامِ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَحُولُ دُونَ الْقَضَاءِ وَالْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَتِلْكَ هِيَ «الْكَلِمَةُ الْإِلَهِيَّةُ» الَّتِي قَضَتْ أَنْ تَبْقُوا فِي الْأَرْضِ إِلَى أَمَدٍ وَزَمَانٍ مَعَيَّنٍ :

وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ .

فَلَوْلَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ لَمَا كَانَتْ هُنَاكَ مُهْلَةٌ ، بَلْ كَانَ قَدْ قُضِيَ بَيْنَ النَّاسِ وَصَدَرَ حُكْمُ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَلَرَأَى جَمِيعُ أَفْرَادِ الْبَشَرِ أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَلَائِكَةِ ، سِوَاكَانِ مَلَائِكَةِ الْجَنَّةِ أَمْ جَهَنَّمَ .

وَقَدْ وَرَدَتْ آيَاتُ قُرْآنِيَّةٌ جَاءَ فِيهَا أَنَّ الْمَجْرِمِينَ حِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْجَزَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْأَلُهُمْ : كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟  
فَيَجِيبُونَ : لَبِثْنَا فِي عَالَمِ الْبَرَزَخِ - الَّذِي يُقَالُ لَهُ عَالَمُ الْأَرْضِ أَيْضًا -

قليلاً . بينما كان عذاب الله شديداً عليهم في البرزخ ، وكانت لهم مشاكلهم في الحشر أيضاً ، كما أنهم عاشوا وعملوا طويلاً في الدنيا ، ومجموع هذه الأزمنة كثيرٌ لكنهم يقولون : ما لبثنا إلا ساعة .  
فما هي هذه الساعة ؟

إنها تعني أنهم حين يردون عالم القيامة ، ويلحظون إحاطة ذلك العالم بالبرزخ والدنيا ، فإنهم يرون أنّ تلك العوالم كانت لها لشدة ارتباطها واتصال بعضها ببعض عالم واحد لا أكثر ، وأنّ مكثهم ولبثهم في الدنيا والبرزخ لم يكن غير ساعة ، وهناك يحسّون جيّداً بقرب العوالم بعضها من بعض .

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا \* فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا \* إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَهَيِّئًا \* إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا \* كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى<sup>١</sup> .

وسيرون ذلك العالم متّصلاً ومرتبّطاً بهذا العالم ، وقريباً منه بحيث إنهم :

كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ<sup>٢</sup> .  
قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِينَ \* قُلْ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ<sup>٣</sup> .  
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ<sup>٤</sup> . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ

١- الآيات ٤٢ إلى ٤٦ ، من السورة ٧٩ : النازعات .

٢- مقطع من الآية ٣٥ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

٣- الآيات ١١٢ إلى ١١٤ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

٤- لأنهم عاشوا في الدنيا فكان برزخهم عسيراً ومديداً .



يَوْمِ الْبَعْثِ ١ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢.

لقد جئتم هنا فيها أنتم ترون هذه السعة العجيبة والإحاطة المدهشة قياساً بالدنيا ، وأنتم تخالون أن ذلك لم يدم إلا ساعة واحدة ، بينما كان مكثكم طويلاً . ولقد تصرّمت الأزمنة المتطاولة والقرون والأحقاب المتمادية ، لكنّ شدة هذه السعة والإحاطة واتّحاد العوالم هذه الأشياء كلّها قلّلت هذا الزمن المتمادي في نظركم وجعلته ساعة واحدة !

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣.

قلنا : إنّ القيامة قريبة ، وموجودة الآن ، موجودة معك ، والنار قد أحاطت بك ، وعذاب الله قد أحاطك ، لكنّ بدنك قد تخدّر وروحك قد تبدّلت وفقدت الإحساس بالألم ، فهي لا تدرك كيف أنّها في حالة اشتعال واحتراق .

إنّ الشخص الغاضب الذي تجيش أحاسيسه العصبية فإنّ عقله سيفقد الإدراك في تلك الحال ، فتراه يضرب الكأس والكوز فيكسرهما ، ويقتل امرءاً ويرتكب ألف جناية ، بيدّ أنّه لا يدرك ذلك . أمّا إذا هدأ وسكن غضبه فإنّه سيفهم آنذاك أيّ نارٍ كانت قد استعرت في روحه .  
وعندما تطغى شهوة المرء فإنّه يرتكب ألف عمل شنيع ولا يدرك

١- الدنيا ، والانتقال من الدنيا إلى البرزخ ، والانتقال من البرزخ إلى القيامة .

٢- الآيتان ٥٥ و ٥٦ ، من السورة ٣٠ : الروم .

٣- الآية ١٨٧ ، من السورة ٧ : الأعراف .

قبحه ، وإذا ما عاد إلى حالته الطبيعيّة فإنّه يفهم ما الذي فعله حال الشهوة ، وكيف أنّه قد زنى بأمّه أو ابنته وأسقط نفسه إلى مستوى أرذل وأدنى من الحيوان .

إنّ الناس أسرى الشهوات في الدنيا ، وهذه الشهوات قد دوّخت أرواحهم وأنفسهم وعقولهم ، ولم تدعهم يفهمون أنّهم متألّمون مبتلون . وإنّ أهل الدنيا الذين يعيشون مع الآمال البعيدة ، مبتلين بحبّ المال وحبّ الجاه ، لا يدركون الحقائق . ومع أنّهم يحترقون في النار لكنّهم لا يحسّون ألماً ولا يجدون حرقة . ولكن عندما يتخلخل عالم الأسباب والمسبّبات وسلسلة العلل والمعلولات وتتداعى تشكيلات هذا العالم وأنظمتها ، ويطلع نور الله تعالى ، ويتخطّى الإنسان مسير الشهوة . فإنّهم سيدركون يومئذٍ أنّ النار طاغية ، وما أعجبها من نار !

وكم أحرقت من أبدانهم وأنضجتها .

علماً أنّ سكر شهوة الإنسان وغضبه يمنعانه من إدراك الاحتراق والاشتعال ، لأنّ حُبّك الشّيء يُعمي ويُصمّ .

وعندما ينقلب العالم ويتبدّل ، ويخرج المرء من الطبع والمادة ويشدّ الرحال إلى عالم التجرّد ، فإنّه سيرى أيّ مصائب قد انصبت على أمّ رأسه ، وأيّ جراح وقروح قد ألحقها بنفسه اللطيفة ، وكيف قذف بها في أتون النار ! لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً .

وهكذا تأتي القيامة بغتة فتجرف الجميع ، ولكن إلى أين ؟

إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَهَيِّئًا ؛ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ .

يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ١ .

١- الآية ٦ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق .

وهذه الآية ليست عائدة إلى المؤمنين؛ فلقاء الإنسان الوارد في هذه الآية وفي كثير من آيات القرآن الكريم عائد إلى الإنسان عموماً، المؤمن والكافر، المتقي والفاجر، العادل والفاسق. وعلى الإنسان - أياً كان - أن يتحرك صوب الله تعالى ويحظى بلاقائه.

وهكذا يشع نور الله من نافذة عالم وحدانيته، فيضيء جميع البواطن، وتصل إلى الإنسان - إثر طلوع نور التوحيد - آثار النعم الإلهية في مظاهر الجمال، من الجنة والحدائق العينية، وجنات تجري من تحتها الأنهار، والنسائم المبهجة؛ والروائح العطرة المنعشة، وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ، وكافة النعم التي وعد بها في القيامة.

وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ١.

فهذه النعم كانت مختفية في بواطن النفوس، مُستترة في حقيقة المؤمن، ولكن قوله: لَا يُجَلِّيْهَا لَوُفَّتِهَا إِلَّا هُوَ. وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا؛ فنور الله تعالى سيضيء هذه المواضع والمواقع في ضقع النفوس.

إن العاصين والمذنبين هم هكذا دائماً، يُسببون النار والحريق لأنفسهم فلا يدركون ذلك، لأنهم سكارى بالشهوة، والغضب، والغفلة. ولقد تخدّرت وتبلّدت في وجودهم الحواس التي يجب أن تُدرك هذه النيران وتحس بها، ولقد بطل ذلك الحس وفقد أثره وقوته. ولقد تعطل ذلك الحس المعنوي المجرد - الذي يدعى حساً لضيق التعبير - وأصبح قابعاً في زاوية الجمود متشرباً في سجن الجمود والبطلان.

١- مقطع من الآية ٧١، من السورة ٤٣: الزخرف.

أما حين يظهر نور الله فيشرق على هذه الحواس الميّتة الشملة النائمة ، فيمنحها الحياة والصحو والتيقّظ ، فإنّ الأمر سيتّضح آنذاك .  
مثّل ذلك تماماً كصحراء تتراكم في جهةٍ منها الأقدار والقُمامة والموادّ العفنة ، في حين تزهر في جهتها الأخرى الورود والرياحين والياسمين ، لكن لما كان الوقت ليلاً ، والجوّ بارداً ، والشمس غائبة لا تمنح نوراً ولا حرارة ، لذا لا روائح للأقدار تزكم الأنوف ، ولا عطور للرياحين تعبق من هذه الجهة .

أما حين تبزغ الشمس من وراء الأفق ، وتشعّ بنورها على هذه الأراضي اليابسة الباردة المظلمة ، فستتحرك كافة هذه الموجودات وتنشط وتظهر الآثار والخصائص الكامنة المودعة في وجودها .  
فتهبّ من تلك الجهة حينئذٍ الروائح العفنة الكريهة ، وتعبق من هذه الجهة عطور الورود والرياحين .

إنّ ما يستلزمه ظهور الباطن وخفاء الظاهر هو ظهور الحقائق وارتفاع حُجب الماهيّات وأستار الهويّات ، ووصول الكلّ إلى غاية الغايات ونهاية النهايات الذي هو بدء البدايات وهو الله سبحانه وتعالى . فالجميع يصل إلى الله الذي هو المنزل الأقصى المقصود للموجودات بأسرها .  
وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ<sup>١</sup> .

أي : أنكم سترجعون وتنقلب آثاركم وخصائصكم برمتها فتصبحون شيئاً آخر ، وكأنّ عالم القيامة - وهو ظهور الحقّ - يقلب الإنسان ويبدّله إنساناً آخر . إنّ طلوع القيامة يجعل شؤون الحياة كلّها في صورة أخرى لا يتسع لها فكر الإنسان أساساً ، ويجسّدها ويجعلها في مرأىٍ منه

١- المقطع الأخير من الآية ٢١ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

بنحو آخر .

وَالِيهِ تُرْجَعُونَ .<sup>١</sup>

وقد وردت هذه الفقرة من الكلام الإلهي في كثير من الآيات القرآنية .

وَالِيهِ الْمَصِيرُ .<sup>٢</sup>

أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ .<sup>٣</sup>

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .<sup>٤</sup>

فما أسعد الذين يتحرّكون بكيفية صحيحة ! أولئك الذين استعدّوا للسفر كما جاء في القرآن الكريم وفي سيرة رواد طريق الحق : الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ، ولم يتخلّفوا عن قافلة طريق الحق . فمن نال درجة من السعادة ، فقد نالها بسبب متابعتهم عليهم السلام ، ومن شقي فإنما شقي بمخالفتهم ، لأنّهم وجه الله المتحقّقون بالحق والواقعية .

وجليّ أنّ الإنسان يقترب من متن الواقع وحقيقة نفس الأمر بقدر اقترابه منهم ، وأنّ مَنْ بَعُدَ عنهم فقد شطّ وابتعد عن أصالة الواقع ونفس الأمر وميزان تشخيص ذلك وجدان الإنسان نفسه .

ذلك أنّه إذا أنجز عملاً صائباً ، فيمكنه بوجدانه أن يوازنه بعمل الأئمة عليهم السلام ، وإذا قام بعمل خاطئ ، فعليه أن يزنه على هذا المنوال

١- المقطع الأخير من الآية ٢٤٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- المقطع الأخير من الآية ١٨ ، من السورة ٥ : المائدة .

٣- المقطع الأخير من الآية ٥٣ ، من السورة ٤٢ : الشورى .

٤- النصف الثاني من الآية ١٥٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

أيضاً ، ليدرك قُبْحه وكراهته .

على هذا الأساس تقوم درجات ومقامات رسول الله والصدّيقة الطاهرة والأئمة عليهم الصلاة والسلام .

يروى المجلسي رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» عن «تفسير فرات بن إبراهيم» بسلسلة سنده المتصل عن الإمام جعفر الصادق ، عن آبائه ، قال :

قال النبي صلى الله عليه وآله : إنّ الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة وعدني المقام المحمود وهو وافٍ لي به ، إذا كان يوم القيامة نصب لي منبر له ألف درجة ، فأصعد حتّى أعلو فوقه فيأتيني جبرائيل عليه السلام بلواء الحمد فيضعه في يدي ويقول : يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى ، فأقول لعلّي : اصعد ! فيكون أسفل منّي بدرجة فأضع لواء الحمد في يده ، ثم يأتي رضوان بمفاتيح الجنة فيقول : يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى ، فيضعها في يدي فأضعها في حجر عليّ بن أبي طالب ، ثم يأتي مالك خازن النار فيقول : يا محمد هذا المقام المحمود الذي وعدك الله تعالى ، هذه مفاتيح النار ، أدخل عدوك وعدوّ أمتك النار ، فأخذها وأضعها في حجر عليّ بن أبي طالب ، فالنار والجنة يومئذٍ أسمع لي ولعلّي من العروس لزوجها ، فهي قول الله تعالى : أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ<sup>١</sup> .

ألقي يا محمد يا عليّ عدوكما في النار . ثم أقوم وأُثني على الله ثناءً لم يُثنِ عليه أحدٌ قبلي ، ثم أُثني على الملائكة المقربين ، ثم أُثني على الأنبياء والمرسلين ، ثم أُثني على الأمم الصالحين ، ثم أجلس فيُثني الله

١- الآية ٢٤ ، من السورة ٥٠ : ق .

عَلَيَّ ، وَيُثْنِي عَلَيَّ مَلَائِكَتُهُ ، وَتُثْنِي عَلَيَّ أَنْبِيَائُهُ وَرُسُلُهُ ، وَيُثْنِي عَلَيَّ الْأُمَمُ الصَّالِحَةُ ؛ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْشِ :  
يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَمُرُّ بِنْتُ حَبِيبِ اللَّهِ إِلَى قَصْرِهَا ، فَتَمُرُّ فَاطِمَةُ بِنْتِي ، عَلَيْهَا رَبِطْنَا خَضِرَاوَانَ ، وَمِنْ حَوْلِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ حَوْرَاءَ ، فَإِذَا بَلَغَتْ إِلَى بَابِ قَصْرِهَا وَجَدَتِ الْحَسَنَ قَائِمًا وَالْحُسَيْنَ قَائِمًا<sup>١</sup> مَقْطُوعَ الرَّأْسِ . فَتَقُولُ لِلْحَسَنِ : مَنْ هَذَا ؟ يَقُولُ : هَذَا أَخِي ، إِنَّ أُمَّةً أَبِيكَ قَتَلُوهُ وَقَطَعُوا رَأْسَهُ .

فَيَأْتِيهَا النداء من عند الله : يَا بِنْتَ حَبِيبِ اللَّهِ إِنَّمَا أُرِيْتُكَ مَا فَعَلْتُ بِهِ أُمَّةً أَبِيكَ لِأَنِّي ذَخَرْتُ لَكَ عِنْدِي تَعْزِيَةً بِمَصِيبَتِكَ فِيهِ ، إِنِّي جَعَلْتُ لَتَعْزِيَتِكَ بِمَصِيبَتِكَ أَتِي لَا أَنْظُرَ فِي مُحَاسَبَةِ الْعِبَادِ حَتَّى تَدْخُلِيَ الْجَنَّةَ أَنْتِ وَذَرِّيَتُكَ وَشِيعَتُكَ وَمَنْ أَوْلَاكُمْ مَعْرُوفًا مِمَّنْ لَيْسَ هُوَ مِنْ شِيعَتِكَ قَبْلَ أَنْ أَنْظُرَ فِي مُحَاسَبَةِ الْعِبَادِ ، فَتَدْخُلُ فَاطِمَةُ ابْنَتِي الْجَنَّةَ وَذَرِّيَّتُهَا وَشِيعَتُهَا وَمَنْ أَوْلَاهَا مَعْرُوفًا مِمَّنْ لَيْسَ هُوَ مِنْ شِيعَتِهَا ، فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ<sup>٢</sup> . قَالَ : هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ . وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ<sup>٣</sup> ، هِيَ وَاللَّهُ فَاطِمَةُ وَذَرِّيَّتُهَا وَشِيعَتُهَا وَمَنْ أَوْلَاهُمْ مَعْرُوفًا مِمَّنْ لَيْسَ هُوَ مِنْ شِيعَتِهَا<sup>٤</sup> .

لقد أعطى سيد الشهداء عليه السلام وجوده لله تعالى ، وقدم حتى طفله الرضيع ، فإن أعطاه الله تعالى كل ما لديه فقد عامله بعدله .

١- ورد في المصدر : «تفسير فرائد بن إبراهيم» بلفظ : «والحسين نائماً» .

٢- صدر الآية ١٠٣ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٣- المقطع الأخير من الآية ١٠٢ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

٤- «بحار الأنوار» الطبعة الحديثة ، ج ٧ ، ص ٣٣٥ و ٣٣٦ .

دو گون در خور یک موی اصغر تو نیرزد  
چو کار در تو فتد چیست خونبهاست حسین جان؟<sup>١</sup>  
وقد ورد في بعض الروايات أنه عليه السلام جاء إلى خيام الحرم  
وقال :

إِيتِنِي بَوْلَدِي الرِّضِيعَ حَتَّى أُودِّعَهُ .  
فَأَعْطِي وَلَدَهُ الرِّضِيعَ ، فأنحنى عليه ليقبّله ، فجاءه على تلك الحال  
سهم حَزْمَةٌ فَأَسْلَمَ الرُّوحَ شهيداً .

---

١- يقول : إِنَّ الكونين لا يعدلان شعرة واحدة من ولدك عليّ الأصغر ، فإذا كنت أنت  
القتيل ، فماذا يعدل دمك يا حبيب الروح يا حسين ؟



لَمَجْلِسِ الْحَاوِي وَالشَّارِئُونِ

الْقِيَامَةُ عَالَمِ النُّورِ وَالْإِشْرَاقِ وَظُهُورِ الْحَقَائِقِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم  
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين  
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :  
وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

إلى قوله تعالى :  
وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَاءَ بِالنَّبِيِّينَ  
وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ<sup>١</sup> .

بلغنا في أبحاثنا عن المعاد موضوع الحشر ، فقد عرضنا الكثير من  
أبحاث تتمّة عالم الدنيا وجميع مسائل عالم البرزخ ، وكيفيّة إحياء الموتى  
وبعثهم يوم المحشر ، ومعنى الحشر ، وها هم الموتى قد نهضوا من قبورهم  
فحضروا في المحشر .

ونستعرض هذا الموضوع وما سيجري يوم القيامة في ما يأتي من  
أبحاث إن شاء الله تعالى مستهدين بالآيات القرآنيّة المباركة والأخبار  
الموجودة لدينا .

---

١- الآيات ٦٧ إلى ٦٩ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

سبقت الإشارة إلى أنّ الموجودات ليست محجوبة عن بعضها البعض في القيامة ، لأنّ القيامة ليست عالم المادّة والزمن . فالموجودات ليس لها يومئذٍ حجاب وساتر فيما بينها بحيث يفصل بين مفرداتها . وقد تقدّم ذكر هذا الموضوع في بحث مفصل سابق ، استشهدنا فيه بآيات من القرآن الكريم .

أمّا كلامنا الآن فيدور حول عالم القيامة بوصفه عالم الظهور والبروز والتجلّي ، أي : عالم النور لا عالم الظلمة . ولذا نرى أنّ موجودات ذلك العالم كلّها موجودات نورانية على الرغم من أنّ الموجودات محجوبة بعضها عن البعض إجمالاً :

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَاءٌ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .

والشاهد هنا في قوله :

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ .

أي : أنّ له قدرة بحيث إنّ الأرض والسماء في قبضته وتحت سيطرته وهيمنته وحكمته .

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

تنزهه وتقدّس وعلا وسما عما يُشرك به الناس ، ويجعلون له شريكاً في وحدانيته .

إنّ ذلك العالم عالم نوراني ، وإنّ سنخ ذلك العالم مبدئياً هو الظهور والبروز والتجلّي . أمّا هذا العالم الذي نعيش فيه فله مادّة وزمن ، والهيولى الأولى فيه - وهي مادّة المواد - تتخذ لنفسها صوراً مختلفة ، ثمّ إنّ الموجودات تستقرّ على تواتر الأيام وبالتقيّد في المكان . وفي ضوء ذلك

فلما كان الزمان والمكان من مواصفات الموجودات في العالم ، وكان تحقق الموجودات وتشخصها مرتبطاً بالزمان والمكان ، فإنّ الموجودات المادّية ستزال بإزالة الزمان والمكان . لذا فإنّ كلّ موجود في هذا الزمان منفصل عن الأزمنة الأخرى ، كما أنّ كلّ موجود في هذا المكان معزول عن الأمكنة الأخرى ، ولا يمكن للإنسان أن يوجد في عدّة أزمنة أو عدّة أمكنة في آن واحد .

وكّل موجود إنتما يوجد في مكان واحد وزمان واحد ، حيث يكون هذان العرضان شخصيته الماهوية .

افرضوا أنّ هذا العالم الذي نعيش فيه ليس له ثقل المادّة وكثافتها ، وأنّ هناك مكاناً لا ينفصل فيه موجود عن موجود آخر بلحاظ إشغال حيّز ومكان ما ، وأنّ هناك زماناً لا تنفصل فيه الأزمنة بعضها عن بعض ، فالماضي والحاضر والمستقبل تصبح شيئاً واحداً . وتكون هذه الجهة من العالم مع تلك الجهة جهة واحدة ، باعتبار افتراضنا انعدام المكان .

لذا فإنّ الموجودات جميعها ستكون حاضرة ومشهودة هناك ، وسيكون كلّ منها منكشفاً ومشهوداً للموجود الآخر ، إذ إنّ الحجاب ليس مادّة يفصلها بعضها عن بعض ، كما ليس هناك زماناً أو مكاناً يفترقا بينها .

وبناءً على ذلك فإنّ كلّ شيء سيكون موجوداً ، وكلّ شيء سيكون منكشفاً وجليّاً لكلّ شيء .

افرضوا أنّ هناك جماعة متحلّقة في أحد المساجد ومشغولة بتبادل الحديث وبتدارس القرآن وبحثه وتفسيره ، فإنّ أفراد هذه الجماعة سيحتسون بوجودهم وشخصيتهم في تلك الساعة التي يجلسون فيها ، لكنهم لا يحسّون بمحادثة الساعة السابقة ، ولا بوجود الساعة السابقة ،

ولا الساعات اللاحقة ولا المحادثة الدائرة فيها . كما أنهم لا يدركون اليوم الذي انقضى والساعات التي تصرمت ، ولا يدركون اليوم الذي لم يأت بعد ولا ساعاته . ومن جهة أخرى فإن هذه الجماعة تواجه بعضها بعضاً فحسب ، لذا فإنهم يتعاملون مع الأفراد الذين يتذكرون ويتخاطبون معهم ، لكنهم لا يرون ما وراء جدار المسجد فضلاً عن الموجودات الأبعد والأشياء الأبعد .

أما لو افترضنا أنهم يجلسون في مسجد توجد فيه ساعة المذاكرة والساعة التي قبلها والساعة التي بعدها ، وأن وجودهم الفعلي واحد مع وجودهم في اليوم السابق واليوم اللاحق ، وأن السنة السابقة واللاحقة شيء واحد لهم ؛ هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فإن هذا المسجد مسجد نوراني ، جدرانها بلورية وسقفها بلوري وأرضه بلورية ، والساعة الموجودة فيه من البلور أيضاً ، وعقارب الساعة وعجلاتها المستننة وإطارها من البلور ، وأن فراش المسجد من البلور ، وأرضيته من البلور .

وفي هذا الفرض لن يشاهد ظاهر الساعة فحسب ، بل يُشاهد باطنها كله بما يضمه من عجلاتها ولوالبه ورقاصها . ولما كان الفراش بلورياً فإنه لا يحجب مشاهدة الأرض ، فيستطيع الإنسان أن يرى الأرض من فراشها . ولما كانت الأرض بلورية ، فإن كل ما تحتها إلى تخومها سيُشاهد أيضاً . ولما كانت الجدران بلورية ، فإن ما خلفها سيُشاهد هو الآخر .

العالم - إذن - عالم بلوري ، كما أن وجود الإنسان نفسه بلوري أيضاً ، وكما يدرك كل إنسان نفسه ويراها ، فإنه يدرك جميع الموجودات الأخرى ، كما أنه تلك الموجودات تدرك الإنسان وتفهمه ، فليس هناك شيء غائب عن شيء .

وهكذا يسطع النور على هذه الأشياء البلورية ، فيتلاأكل منها ويعكس النور على الأشياء البلورية الأخرى ؛ ولما كانت الأشياء جميعها متلاثلة ومُشعة ، فإنّ العالم سيكون عالماً نورانياً ومشهوداً برمته .  
هذه هي كَيْفِيَّةُ العوالم العلوية ، وقد مثلنا بالدنيا ، إلّا أنّ حقيقتها في عالم الآخرة .

ولقد سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن العالم العلوي ، وكانوا يستوضحونه عن كَيْفِيَّةِ ذلك العالم وخصائصه وآثاره ، ذلك العالم الذي يقابل العالم السفلي الذي نعيش فيه ، وذلك العالم هو محلّ الملائكة والأرواح والعقول والموجودات المجردة . فما هي خصائص هذه الموجودات يا ترى ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صَوْرٌ عَارِيَّةٌ عَنِ الْمَوَادِّ ؛ عَالِيَةٌ عَنِ الْقُوَّةِ وَالِاسْتِعْدَادِ ؛ تَجَلَّى لَهَا فَأَشْرَقَتْ ؛ وَطَالَعَهَا فَتَلَأَلَتْ ؛ وَأَلْقَى فِي هَوِيَّتِهَا مِثَالَهُ ؛ فَأَظْهَرَ عَنْهَا أَفْعَالَهُ . وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ذَا نَفْسٍ نَاطِقَةٍ ؛ إِنْ زَكَّاهَا بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، فَقَدْ شَابَهَتْ جَوَاهِرَ أَوَائِلِ عِلَلِهَا ؛ وَإِذَا اعْتَدَلَ مِزَاجُهَا ، وَفَارَقَتْ الْأَضْدَادَ ، فَقَدْ شَارَكَ بِهَا السَّيِّعَ الشَّدَادَ <sup>١</sup> .

وقد أوردنا هذا الحديث الشريف مع سنده وناقشناه في الجزء الثالث من «معرفة المعاد» ؛ ونشرع الآن ببحث مفاده ومعناه .

لقد أجاب الإمام عليه السلام بأن لا وجود للمادة في العالم العلوي ، فهناك صور عارية عن المادة ؛ ومن الطبيعي أنّ المادة لما كانت غير موجودة فإنّ الزمان غير موجود أيضاً ، لأنّ المادة من ملازمات الزمان .  
وتلك الموجودات موجودات فعلية محضة ، ليس لها قوّة وقابليّة ، أمّا

١- «شرح الغرر والذُرر للآمدّي» تأليف آقا جمال الخونساري ، ج ٤ ، ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

الموجودات التي تتحرك نحو الكمال ، فتمتلك القوة والقابلية وتوصل قواها إلى الفعلية - بطي مدارج الكمال - فهي في حركة دائبة بين القابلية والفعلية ، تبدل القوة إلى الفعل في كل لحظة ، وفي اللحظة الأخرى تبدل تلك الفعلية - التي هي بدورها قوة وقابلية بالنسبة إلى المراحل والمراتب التالية - فعلية أخرى . وهكذا تتبدل باستمرار كل قوة إلى فعلية نسبية ، وتتبدل تلك الفعلية النسبية إلى فعلية أكمل ، حتى تصل إلى منزل الفعلية المحضة ، وتحوز الفعلية المطلقة .

إن بذرة الفاكهة، التي أودعت فيها القوة والقابلية لتكون جذراً ، وساقاً ، وشجرة ، وأوراقاً ، ولتعطي - من ثم - فواكه كثيرة لسنين طويلة ، إذا زرعت تحت الأرض، في حركة تكامل ونمو شجرة وإعطاء فاكهة .

وهكذا تقوم موجودات هذا العالم جميعها - بامتلاكها القوة والقابلية بواسطة اللبس والخلع بتبديل تلك القوى إلى الفعلية ، وتصعد سلم الترقى فتصل إلى التكامل ، وذلك الترقى والكمال يعدان من مختصات هذا العالم . أما في ذلك العالم فإن الموجودات كلها تمتلك الفعلية المحضة .

إن كل موجود يرحل عن هذه الدنيا ، فإنه يُختم هناك بالفعلية التي كان عليها عند رحيله بمجرّد رحيله ، ومع أنّ في البرزخ إجمالاً حركة وتكاملاً ، إلا أنه - كما أُشير سابقاً - يعدّ من تّمة عالم الدنيا لأنّه يمتلك خصائص الكمّ والكيف التي تُشبه الموجودات المادّية . أمّا في القيامة فلا حركة ولا تكامل أبداً ، فمَنْ وضع قدمه فيها فإنّه سيكون قد وصل إلى الفعلية المحضة .

كما تنعدم الحركة والتكامل لدى ملائكة ذلك العالم ، فقد خُلِقَ كلّ منهم ليظلّ في مهمته التي وُجد من أجلها إلى الأبد ، وليس لهم ضعف وقدرة ونقصان وزيادة ، كما لا يمكنهم أن يتخطّوا ما عُيّن لهم ، ولا أن



يقصّروا أو يتماهلوا في أداء ذلك .

هذه هي بعض خصائص موجودات العالم العلويّ الخالية من المادّة والحجاب ، والمستقرّة على أرضيّة الفعلية والتحقيق الصرف المحض .  
ولقد تجلّى الله تبارك وتعالى لهم ، أي : أنه أظهر نفسه في مرآة هويّاتهم وماهياتهم التي تُدعى في اصطلاح العرفاء ذوي العزّة والقدر بـ «الأعيان الثابتة» ، فأشرقت ، وطلع فيها فتلاّت وأنارت . ثمّ إنّه ألقى في هويّات تلك الموجودات شبهه ومثاله ، وهو ظهور وبروز صفاته وأسمائه ، فأظهر أفعاله عن تلك الموجودات .

ولذلك فإنّ ظهور أفعال الله عن تلك الموجودات كان بسبب إلقائه مثاله فيها ، فقد وضع فيها أولاً الاسم والصفة ، فظهرت تبعاً لذلك أفعاله عنها . فأفعال موجودات العوالم العلوية كلّها هي ظهور صفات وأسماء النور فحسب ، حيث قد ظهر فيها على أساس التجلّي الذاتي .

لقد خلق الله الإنسان ذا النفس الناطقة وميزه وفضّله بها على سائر المخلوقات ، فإن زكّى الإنسان نفسه ونمّاها بالعلم والعمل ، شابّهت إذ ذاك أصل جواهر سلسلة عللها في مبدأ التكوين ، وتناسخت وتشابهت مع تلك الموجودات الطاهرة والمنوّرة في العالم العلويّ .

وإذا اعتدل مزاج الإنسان وفارق الأضداد والقوى الشهويّة والغضبّيّة والوهميّة المختلفة ، وجعل استعمال تلك القوى على أساس الاعتدال ، وتبعاً لأوامر قوّته العقلية وقوّته الناطقة القدسيّة ، فإنّ السماوات السبع التي تشرف عليه ستشترك معه في الحياة وآثارها .

أي : أنّ الإنسان سيرتقي كالسبع الشداد «السّموات السبع» المحكّمة المتقنة ، وستكون له روح الكمال ، ويصبح مثلها ذا صفات وأفعال مجرّدة ومطلقة .

كان هذا شرحاً مختصراً حول الحديث الشريف المشار إليه ، أما البحث المفصل عنه فلا يسعه هذا الكتاب .  
وما أروع الأبيات التي أنشدها الخواجه حافظ الشيرازي في نشأة العالم العلوي واختلاف الظروف والماهيات وخلقة الإنسان الذي هو جامع لصفات الله تعالى .

در ازل پرتو حُسنَت ز تجلّی دم زد  
عشق پیدا شد و آتش به همه عالم زد  
جلوه‌ای کرد رُخت ، دید مَلَك عشق نداشت  
عینِ آتش شد از این غیرت و بر آدم زد  
عقل می‌خواست کز آن شعله جهان افروزد  
برق غیرت بدرخشید و جهان بر هم زد  
مُدعی خواست که آید به تماشاگاه راز  
دستِ غیب آمد و بر سینه نامحرم زد  
دیگران قرعه قسمت هم بر عیش زدند  
دلِ غم‌دیده ما بود که هم بر غم زد<sup>۱</sup>

۱- «دیوان حافظ» طبعه پژمان ، ص ۸۷ .

يقول : تحدّث ضياء حُسنك عن التجلّی منذ الأزل ، فظهر العشق ، وسرت ناره في أرجاء العالم .

لقد تجلّت طلعتك للملّك فلم تلاحظ فيه وَجْداً ، فتجلّت كالنارِ لآدمِ غيرَةٍ .  
وحين شاء العقلُ أن يستضيء بتلك الشعلة قبساً ، فقد شَعَّت الغيرةُ فاضطرب الكون وانقلبت أوضاعه كلّهُ .

وحين جاء العاذلُ ليتفرّج على الأسرار ، فقد امتدّت يدُ الغيب فطوّحت بالأجنبيّ .  
لقد اقترع الآخرون على حظّ العيش فكان لهم الرغد والهناء ، لكن كان نصيب قلبنا المحزون المبتلى اقترع على غمّ العشق .

جان علوی هوس چاه زَنخدان تو داشت  
دست بر حلقه آن زلفِ خَم اندر زد  
حافظ آن روز طربنامه عشقِ تو نوشت  
که قلم بر سر اسباب دلِ خُرم زد<sup>١</sup>  
ويقول في موضع آخر :  
عکس روی تو چو در آئینه جام افتاد  
عارف از خنده می در طمعِ خام افتاد  
حُسن روی تو به يك جلوه که در آینه کرد  
این همه نقش در آئینه اوهام افتاد  
این همه عکس می و نقش و نگاری که نمود  
یک فروغِ رخ ساقیست که در جام افتاد  
من ز مسجد به خرابات نه خود افتادم  
اینم از عهدِ ازل حاصل فرجام افتاد<sup>٢</sup>

١- يقول : لقد أغرم الروح العلوي بالهبوط إلى أسفل ذقنك (لوصالك) ، فتعلقت  
بحلقات زلفك المجعد .

ولقد كتب حافظ رسالة عشقك المبهجة ، فشطب على كل ما يبهج القلب (وقال مرحي  
لمحنة هواك) !

٢- «ديوان حافظ» طبعة پژمان ، ص ٧٩ .

يقول : حين انعكست صورتك في مرآة الكأس ، فقد طمع العارف لابتسامة الكأس في  
الشراب .

ولما تجلّى حُسن وجهك في المرأة مرّة فقد تجلّى في مرآة الأوهام كلّ هذه النقوش  
والرسوم .

لم تكن كلّ هذه الصور والرسوم والنقوش التي كان يجليها ، إلا سطوع طلعة الساقي  
التي انعكست في الكأس .

لم أت من المسجد إلى التكية بنفسي ، بل ساقني إليه الأجل المكتوب من الأزل .

هر دَمَش با مِنِ دلسوخته لطفی دگر است  
این گدا بین که چه شایستهٔ انعام افتاد  
زیر شمشیر غَمَش رقص کنان باید رفت  
کانکه شد کشتهٔ او نیک سرانجام افتاد  
در خمِ زلف تو آویخت دل از چاه زَنَخ  
آه کز چاه برون آمد و در دام افتاد<sup>١</sup>

وقال المرحوم الحكيم السبزواري :

إذ لاحجاب في المفارقاتِ      وإنما اختصَّ المقارناتِ  
فكان في كلِّ جميع الصور      كلٌّ من الكلِّ كمجلى الآخر<sup>٢</sup>  
ليس هناك من حجاب في موجودات العالم العلويّ التي تدعى  
بالمفارقات ، كما هو الأمر في عالم العقول والنفوس المجردة ؛ بل يختصّ  
الحجاب بموجودات العالم السفليّ ، لأتته عالم المادّة والطبع ، الممتلك  
لقابليّة المادّة والهيولى الأولى .

لذلك فإنّ الصور جميعها تنعكس في عالم المفارقات والموجودات  
العلوية الملكوتية ، فكلٌّ منها بالنسبة إلى الآخر كموضع التجلّي الآخر  
بالنسبة إلى الأوّل ، فلكلّ ظهور وتجلٍّ في الآخر ، وكلّ منها مظهر ومجلى  
لأنوار قدسيّة أخرى .

١- يقول : كلّ نفس منه لطفٌ بي أنا صاحب القلب المحترق الواله ، فانظر إلى هذا  
الشخّاذ كيف صار جديراً بإنعام كهذا .

يجب عليّ التسليم لحدّ سيفه راقصاً جذلاً ، فمن صار قتيله كان محمود العاقبة .  
تعلّق القلب من بشر غمازتك بتجعّدات زلفك ، ولكن - آه - فقد خرج من البشر ليسقط  
في الفخّ .

٢- «شرح المنظومة» طبعة ناصري ، ص ١٩١ .

ويقول السبزواري في شرح هذه الأشعار :  
 فَهِيَ كَالْمَرَائِي الْمُتَعَاكِسَاتِ ، هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا قَالَ أَرِسْطَاطَالِيْسُ :  
 وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي فِي الْعَالَمِ الْأَعْلَى كُلُّهَا ضِيَاءٌ ؛ لِأَنَّهَا فِي الضُّوءِ الْأَعْلَى ؛  
 وَلِذَلِكَ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَرَى الْأَشْيَاءَ فِي ذَاتِ صَاحِبِهِ ؛ فَصَارَ لِذَلِكَ  
 كُلُّهَا وَالْكُلُّ فِي الْوَاحِدِ ؛ وَالْوَاحِدُ مِنْهَا هُوَ الْكُلُّ ؛ وَالنُّورُ الَّذِي يَسْنُحُ عَلَيْهَا  
 لَا نِهَآيَةَ لَهُ ، هَذَا كَلَامُهُ ١ .

ثم يقول السبزواري في الحاشية بعد بيان هذا المطلب :  
 وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَ فِي الْعُقُولِ الَّتِي هِيَ فَوَائِحُ كِتَابِ التَّكْوِينِ يَتَحَقَّقُ  
 فِي الْعُقُولِ الَّتِي هِيَ خَوَاتِمُهُ ؛ كَعُقُولِ إِخْوَانِ الْحَقِيقَةِ وَالصِّفَا ؛ فَإِنَّهَا حَيْثُ  
 كَانَتْ وَحْدَانِيَّةَ الْوُجْهِ وَالْعَقِيدَةِ ، مُتَّفَقَةً الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، وَالْأَعْمَالِ  
 الْحَسَنَةِ ، كَانَ كُلُّهَا فِي كُلِّهَا ؛ وَالْكُلُّ فِي الْوَاحِدِ ، وَالْوَاحِدُ مِنْهَا هُوَ الْكُلُّ ٢ .

متحد بوديم و يك گوهر همه      بی سر و بی پا بُدیم آن سر همه  
 يك گهر بوديم ، هم چون آفتاب      بی گره بوديم و صافی همچو آب  
 چون به صورت آمد آن نور سره      شد عدد چون سایه های کنگره  
 کنگره ویران کنيد از منجنیق      تا رود فرق از میان این فریق ٣  
 ونذكر توضيحاً بأنه كما كانت موجودات العالم العلويّ كلّها في  
 البداية نوراً محضاً وضياءاً صرفاً وخالصاً ، فإنّ النفوس الناطقة ووجود  
 الإنسان ستصل - بدورها - إلى هناك في مراتب صعودها ومراحل تكاملها .

١ و ٢- «شرح المنظومة» ص ١٩١ .

٣- يقول : كنّا جميعاً جوهرأً واحداً متّحدين ، مندمجين بلا رأس ولا قدم .  
 كنّا جوهرأً واحداً ، كالشمس ، في صفاء لا يشوبه شيء ، كالماء .  
 ولَمَّا اتَّخَذَ ذَلِكَ النور المحض طابع الصورة ، فإِنَّهُ تَعَدَّدَ كظلال الشرفات .  
 فحطّموا الشرفات بالمنجنیق ، ليزول الفرق بين هذين الفريقين .

وسيصِل هذا الإنسان ذو النفس الناطقة إلى حيث يشاهد جميع الموجودات ويراهها منطوية في وجوده . فمن باب المثال افرضوا أنّ لنا - نحن المتحلّقين هنا - بدنًا ومادّة . وهو أمر لا ريب فيه ، إذ نملك يدًا ورجلاً وعينًا نستخدمها لإنجاز أعمالنا ، فنذهب ونرجع ويرى بعضنا بعضاً . ونحن لا ندرك بحواسنا الظاهرية شيئاً عن بعضنا غير هذا الهيكل الظاهر ، إلّا أنّ حقيقتنا وواقعنا ليست هذا البدن ، إذ إنّ لنا أفكاراً وإدراكات ، فنحن نعرف أصدقاءنا ومعارفنا وندركهم في أذهاننا . وإذا قدّر أن تكون لنا نورانية وصفاء ، فإنّنا ما إن ننظر بأعيننا إلى الأصدقاء ونرى ظاهريهم ، فإنّنا سنخبر بجميع ما تختزنه عقولهم وأفكارهم وأذهانهم وحقائقهم وعقائدهم وصفاتهم ونواياهم .

ولو كنّا نحن وأصدقاؤنا موجودات متألّفة ومتشعّعة نورانية كهذه المرايا والبلورات ، بحيث لا يُحجب أيّ موجود عن حقائقنا وحقائق الموجودات الأخرى ، فإنّنا سندرك الكلّ ، كما سيدرك الكلّ كلّ الكلّ .

إنّ العلة في عدم اطلاعي على علومكم ، وفي عدم اطلاعكم على علوم الأصدقاء ، وفي عدم اطلاعكم على ما في خارج هذا المسجد الذي تجلسون فيه ، وعلى ما يُخبئهُ الغد ، تكمن في هذه الحجب المادّية . فإنّ أزيل الزمان والمكان وتلاشى حجاب المادّة ، فإنّ جميع الموجودات ستكون حاضرة الآن أمامكم ، وستكونون حاضرين لأصدقائكم ، وسيكون كلّ صديق حاضراً ومشهوداً لصديقه الآخر .

ولن يكون عندئذٍ من حجاب ، ولا من موجود محجوب عن موجود آخر ؛ وسيصل الإنسان ذو النفس الناطقة ، إثر تكامل قواه وإمكاناته المودعة فيه ، إلى حيث يدرك الموجودات برمتها ، وإلى حيث تصبح جميع حقائق العالم والعقول والصور والمعارف الإلهية منطوية في وجوده . وكما كان الإنسان في أصل النشأة بسيطاً دون تعقيد ، وكان في مكان

حيث الواحد الذي لا أحد غيره . لم يكن إلا الله فحسب ؛ كان هناك واحد وهو الله الواحد . ووحدته ليست عددية ، بل هي وحدة بالصرافة . وتبعاً لهذه المقدمة فإن وجود الله المقدس لم يدع غيراً في العالم ، ولم يكن في العالم موجود سواه . أجل كما كان الإنسان على ذلك النحو ، فإن عليه أن يعود بنفس الصورة إلى مقامه الأول .

ولما كان نور النفس الناطقة الموجود في عالم التوحيد ذا سعة وإحاطة في مقابل تشعشع أنوار الحضرة الأحدية جلّ وعزّ . فقد تنزّل إلى عالم الصورة ، ثم إلى عالم المادّة فظهر في عالم الكثرة ، وصار متكثرّاً كتكثر النور الخالص حين يسقط على الشرفات التي تعلو البنايات فتنشأ منه هذه الاختلافات .

وهكذا فإنّ هذه الشرفات يجب أن تُحطّم بمنجنيق الهمة الراسخة والإرادة المتينة ، وبطريق طريق الله ، والورود في عالم تزكية النفس الأمّارة ، وبشدّ الرحال إلى لقاء الله . وينبغي لهذه الازدواجية والأناية والاستكبار أن تدفن في مقبرة النسيان ، ليعود الإنسان من جديد إلى مقام التوحيد والصفاء والطهارة التي كانت له أوّل خلقه ، وليرجع كما كان جوهرة متألّثة وهاجة ، ويصبح كالشمس الساطعة ، مركزاً لبثّ النور في العوالم ويكون محيطاً بها . علينا أن نرجع شئنا أم أبينا ، فالمعاد أمر لا مناص منه . ولكن لو تحرّكنا طوع إرادتنا ، فما أروع ذلك وما أثمره !

غلام همت آنم كه زير چرخ كبود

زهر چه رنگ تعلق پذيرد آزاد است<sup>١</sup>

١- عدّة أبيات من قصيدة غزلية لحافظ الشيرازي؛ «ديوان حافظ» طبعة پژمان، ص ١١.  
يقول : تأسرني همة من تحرّر من كلّ ما يمكن أن يتعلّق به تحت هذه السماء الزرقاء .

ترا ز کنگره عرش می زنند صغیر  
 ندانمت که در این دامگه چه افتادست  
 که ای بلند نظر شاهبازِ سدره نشین  
 نشیمنِ تو نه این گنج محنت آباداست<sup>١</sup>  
 وما أجمل ما مقل سعدي الشيرازي به مقام ومنزلة الإنسان في غزله  
 الوعظي المشهور :  
 تن آدمی شریفست به جان آدمیت  
 نه همین لباس زیباست نشان آدمیت  
 اگر آدمی به چشم است ود هان و گوش و بینی  
 چه میان نقش دیوار و میان آدمیت  
 خور و خواب و خشم و شهوت شغبت و جهل و ظلمت  
 حیوانِ خیر ندارد ز جهانِ آدمیت  
 به حقیقت آدمی باش و گر نه مرغ باشد  
 که همین سخن بگوید به زبان آدمیت<sup>٢</sup>

١- يقول : فهم ينادونك من شرفات العرش قائلين : ما الذي اجتنيته في هذه الأحبولة والمصيدة ؟

ويا أيها الصقر ذو النظر الثاقب ، المستقر في سدرة المنتهى ، ليس مأواك هذه الزاوية المبنية بالمحنة .

٢- «كليات سعدي» طبعة فروغي ، قسم مواعظ سعدي ، ص ١٢٢ .  
 يقول : إن الإنسان شريف بروحه البشريّة ، وليس هذا الرداء الجميل علامة البشريّة .  
 فإن كان الإنسان إنساناً بعينه وفمه وأذنه وأنفه ، فما الفرق بينه وبين الصورة على الجدار ؟

الأكل والنوم والغضب والشهوة شغب و جهل وظلمة، وهي للحيوان والغافل عن عالم البشريّة ا فتمثّل بحقيقة البشر ، وإلا كنت طيراً يتكلّم هذا الكلام بلسان البشر .



مگر آدمی نبودى كه اسير ديو ماندى  
 كه فرشته ره ندارد به مكان آدميت  
 اگر اين درنده خوئى ز طبيعتت بميرد  
 همه عمر زنده باشى به روانِ آدميت  
 طيرانِ مرغ ديدى تو ز پاى بندِ شهوت  
 بدر آى تا بينى طيرانِ آدميت  
 نه بيانِ فضل كردم كه نصيحتِ تو گفتم  
 هم از آدمى شنيدم بيانِ آدميت<sup>١</sup>  
 وكما قلنا فانّ المعاد ضروريّ ، إنّنا لله وإنّا إليه راجعون ، إذ إنّنا  
 جميعاً ملك مطلق لله ، ونحن الراجعون إليه تعالى . فأيّ عالم هو ذلك  
 العالم ؟ هو عالم الظهور والبروز . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ؛ والسرائر جمع  
 السريرة وهي موضع السرّ ، أي يوم تنكشف القلوب والبواطن ، ويوم  
 ينكشف سرّ الإنسان وباطنه وكمون نفسه وثيئته وتتضح جهاراً .  
 يُقال إنّ الهدهد له نظر حادّ بحيث إنّّه يحلّق في السماء ويرى الماء  
 في طبقات الأرض السفلى ، إلّا أنّنا لا نستطيع رؤية الماء . وهكذا فإنّنا  
 حين نريد الحصول على الماء فإنّنا نحفر الأرض ؛ وما أكثر ما حصل أن

١- يقول : ألم تكن إنساناً حين بقيت أسير الشيطان ؟ بينما ليس للملك سبيل إلى  
 محلّ البشر .

إذا ماتت في طبعك هذه النزعة الوحشية ، عشت طوال العمر بروح البشر .  
 يصل الإنسان إلى موضع لا يرى فيه أحداً إلّا الله ، فانظر إلى أيّ حدّ وصلت منزلة  
 البشر !

لقد رأيت طيران الطيور ، فاخرج من أغلال الشهوة لترى طيران البشرية !  
 لم اتفضل بنصيحتي لك ، فقد سمعنا من الإنسان بيان الإنسانية .

حفَرنا ونَقَبنا فلم نَعثر على الماء فأَجبرنا على التفتيش عنه والحفر في أماكن أُخرى .

أما نظر الهدهد فلَمَّا كان حادًّا ثاقبًا ، فإنَّ الأمواج التي يعكسها شعاع نور عينه تخترق طبقات الأرض فتصل إلى الماء ،<sup>١</sup> وهو من خصائص الهدهد .

إنَّنا نفتح أعيننا اليوم فلا نرى إلَّا الشخص الذي يواجهنا ، لكنَّ الله سبحانه يقول لرسوله : **فَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** .<sup>٢</sup> إنَّ نظرك اليوم حادٌّ ثاقبٌ حديد . إنَّنا كشفنا الحجاب عن عينيك فصرت ترى ما لا يراه الآخرون ، وتطلَّع على الظاهر والباطن ، والشهادة والغيب ، والذهن والعقيدة ، والفكر والنيَّة ، وكلَّ الماضي والمستقبل ، وما كان وما يكون وما هو كائن .

فلماذا ... ؟ وما السبب ؟ إنَّه قوله تعالى : **وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا** ؛ لقد أشرق قلب رسول الله وسرَّ نفسه وصقعها بإشراق نور ربِّه .

يحدث أحيانًا أن تشرق أرض الخارج عند إشراق الشمس ، ويحدث حينًا آخر أن تشرق أرضيَّة القلب - وهي أرض أيضًا - بنور الله تعالى . ففي القيامة تُنار أرض القلوب وتظهر السرائر والمخفيات ، وتنير مقابل إشراق نور الله وبنور الله .

وجملة القول إنَّنا نتحرَّك من هنا فنذهب إلى ذلك العالم ، حيث لا مادة هناك ، وحيث الجميع سواسية لا فرق بين المؤمن والمُشرك والمنافق ،

١- وفي ضوء العلوم الجديدة هذا اليوم ، فإنَّ شعاع الأجسام من الطبقات الأرضيَّة يصل إلى عين الهدهد .

٢- من الآية ٢٢ ، من السورة ٥٠ : ق .

والرجل والمرأة ، ولا بين الشرقي والغربي . وعلى من شاء الذهاب إلى ذلك المكان أن يترك البدن في القبر فيخلق إلى ذلك العالم . والموت مكتوب على الجميع ، وعليهم أن يتركوا عالم المادة وراء ظهورهم ، ويمزقوا حجاب الزمان والمكان ، ويرحلوا إلى مكانٍ مجرد من المادة ، إلى مكانٍ يستبين فيه كل شيء .

وإذا ما شاء الإنسان أن يفعل شيئاً في هذه الدنيا ، فعليه أن يعلم أن القيامة هي عالم البروز والظهور ، وأن عمله هذا سيظهر ويتجلى أمام أنظار الخلائق .

وهنا يخاف الإنسان إذا فعل شيئاً أن يعرف به أبوه أو أمه أو أخوه أو رفيقه ، لذا يسعى دوماً لإخفاء عمله وإبقائه طيّ الكتمان . أما هناك فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ، إذ إن كل شيء سيكون حاضراً ومشهوداً .

إن أبصار موجودات العالم العلوي حديد ، فما أن يفعل الإنسان شيئاً ويحاول إخفاءه ، فإن عمله هذا ومحاولة إخفائه سيكونان حاضرين مشهودين بأجمعهما . سيحضر العمل ومعه ذلك المكر والخداع الذي دبره وأراد به إخفاء فعله . ووا ويلاه إذن ! إذ لم يكن الإنسان يتوقع أو ينتظر أن يصبح عمله مشهوداً للخلائق ، فهذا هي الحيلة النفسية في الإخفاء قد تجسدت بجلاء ، ناهيك عن العمل نفسه .

هنالك يعرض الإنسان على أصابعه ندماً ، هنالك : خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْمَقُهُمْ ذِلَّةً . فوا عجباً أين كنّا ؟ وإلى أين جيء بنا ؟ لقد تصورنا في مكاننا الأول أن كل شيء مخفي عن كل شيء ، فجاء بنا إلى حيث نرى أن جميع الموجودات مشهودة لجميع الموجودات . صار الأمر معكوساً تماماً ، فلقد تبدّل سنخ العالم وتحقق قوله : وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ، واتضح قوله : وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا .

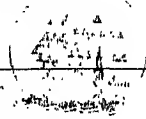
وليس هذا الإشراق كإشراق الشمس الذي ينير الأرض ، بل هو إشراق آخر ، فما الذي يهمننا يا ترى لو أنارت هذه الشمس سطح الأرض كله ، أو ما تحت الأرض ، أو أنارت النصف الآخر من الكرة الأرضية فرضاً ؟ وأي أثر سيتركه ذلك في أبصارنا ؟

إننا نرى مسافة معينة محدودة بقدر مدى نور أعيننا ؛ أمّا تلك الشمس التي تضيء بنور ربّها أرض القلب والنفس والقيامة فهي شمس أخرى . تلك هي شمس الولاية التي تطلع بنور ربّها فتضيء الأرض إلى تخومها السفلى ، وتنار بها الأذهان ، وتتلاّأ النفوس والعقول ويشرق بها سرّ النفس الناطقة وحقيقتها . ومثّل ذلك تماماً كمثل كرة بلورية في يديكم ترون داخلها ، وترون ظاهرها وباطنها ، وليس لها ظاهر وباطن آخر . كما أنّ الحور هناك كأمثّل اللؤلؤ المكنون مضيئة ومشرفة .

هذه هي كيفية طلوع نور الولاية في عوالم الغيب وظهور القيامة الأنفسية . وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا .<sup>١</sup>

إنّ أبواب السماء مغلقة الآن فليس لدينا ثمة خبر من الغيب ، بيد أنّها تُفْتَحُ يومئذ فيكون التردّد عبرها مُباحاً ، قد أزيلت منها لافتات منع المرور والدخول ؛ وإذا ما ذهبتم إلى السماء فإنكم ستطلعون على كلّ شيء . يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .<sup>٢</sup>

إنّ الأرض الترابية المادّية المخلوقة على أساس الثقل والكثافة تُبدّل إلى أرض نورانية ، فتصبح الأرض والسماء بلوريتين . ومن الطبيعي أنّ



١- الآية ١٩ ، من السورة ٧٨ : النبأ .

٢- الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

وصفهما بالبلورية وصف مّتي قد أوردته للتشبيه ، بَيَدَ أْتَه ليس هناك عنوان للبلور .

الجميع أذن ، وعين ، وفهم وإدراك ، وطاعة وانقياد ، أمّا الآن فمهما قيل للإنسان إنّ الله حاضر فهل سيصدق يا ترى ؟

لو قيل لمسجون قضى مدة في السجن لم ير خلالها نوراً : لقد طلعت الشمس فأنازت الأرض بحيث لم يعد فيها نقطة مظلمة ومبهمة ! فإنّ تصديق ذلك سيكون عسيراً عليه . أمّا حين يُكسر باب السجن ويطلق هذا السجين فيرى نفسه - من شدة الضياء - مدهوشاً بهذا الإشراق والنور ، فإنّه لو أقسم له بأنّ ليس هناك شمس ولا نور ، لما صدّق ولقال : إنّ الإخبار عن الظلام مع وجود الرؤية والوجدان والشهود أمر خاطئ غير مقبول .

وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ<sup>١</sup>

إنّ الناس يتصوّرون أنّ الحياة والعيش بمعنى النوم والشخير والتنفس ، وأنّ من يتنفس فهو حيّ ، فإن انقطع نفّسه كان ميتاً ؛ إلّا أنّ الحياة ليست كذلك . الحياة هي الإدراك المحض ، والعقل المحض ؛ الحياة هي العيش بلا موت . إنّ حياتنا نحن الذين نعيش على الأرض هي توأم الموت ، ليس بسبب الموت الذي سيدركنا ، بل لأنّنا في حال خَلْع ولبس دواماً . أي : أنّ لنا موتاً وحياةً . فبدننا في حركة دائبة دائماً تدور بين الحياة والموت ، والوجود والعدم ، فنحن نسير من الوجود إلى العدم ، ومن العدم إلى الوجود ؛ نموت ونحيا باستمرار . وشرح وتفصيل هذا المختصر يحتاج إلى مجال واسع . إلّا أنّنا نقول إجمالاً إنّ حياتنا الحالية ليست حياة محضة وخالصة ، بل حياة مخلوطة بالموت ، تُشبه مثقال ذهب خُلط بمثقال من النحاس

١- النصف الثاني من الآية ٦٤ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

فصيّغت منهما حلية ما ، وفي كلّ ذرّة ذهب ذرّة نحاس ، فهما متجاورتان .  
أما حين يضع الصائغ هذا المخلوط في البوتقة فيصهره ويفصل الذهب  
الخالص ، فإنّ كلّ ذرّة من الذهب ستكون ذهباً خالصاً .

وهكذا فإنّ حياتنا في هذه الدنيا ليست حياة محضة ، وليست حياة  
عقلية صرفة ، ونحن لا نتمتع بالأرزاق المختصة بالنفوس الناطقة القدسية  
والأنوار الإلهية ، إذ إنّ هذه الحياة توأم اللهو واللعب ، اللعب بالأوهام  
والخيالات ، وتعشّق الجيفة والميتة ، وبدننا في حال تغير وتبدّل دائمين .  
أما حياة ذلك العالم ، فحياة صرفة لا موت فيها ولا نوم ولا سِنَّة ،  
ولا لهو فيها ولا لعب ولا لغو ؛ كما أنّها ليست بطلائعاً ومجازاً .

إنّنا ننام هنا فنفقد إدراكاتنا ، أما هناك فنحن إدراك محض وعلم  
محض . وهذه المزعجات والمنغصات التي تزعجنا هنا ناشئة عن ضعف  
في درجة الحياة ، أما هناك فلذة ومسرة محضة : **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ  
وَتَكْذِبُ الْأَعْيُنُ .**

ثمّ إنّ العلوم والمعارف الإلهية المكتسبة معنا بأجمعها يوم القيامة ،  
فهي ليست قابلة للنسيان ولا يطرأ عليها الخطأ والسهو والاشتباه . الحياة  
هناك لها قَورَان ، واللذة والسرور والبهجة لها قَورَان ، والعالم هناك عالم  
بسيط مملوء بالنور والإشراق .

**وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ \* وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ .**

حيث تطهر الأرض وتشرق وتتمهد . وإنّ في باطن الأرض الآن  
أشياء كثيرة غير الأرض نفسها ، فإذا شئنا تطهيرها وتصفية قابليتها وتنقيتها  
من غيرها ، فعلياً أن نطرح كلّ ما كان غيرها . وهكذا الأمر بالنسبة إلى  
نفس الإنسان . ففيها أشياء كثيرة من غير حقيقتها . هناك ثعبان ، وعقرب ،  
وحوانات مفترسة ، وصور شيطانية ، وهناك خيالات وأوهام وآمال لا أساس

على النفس أن تنتزّه عن الأدراّن لتتنوّز بنور الله تعالى

المجلس ٣١

لها ولا أصالة . وهذه الأمور قد اصطفت في نفس الإنسان متأهبة للقتال والمنازلة مع جنود العقل الذين لا يبارحون النفس . والحرب فيها قائمة مستمرة بين الأمم الاثنتين والسبعين وبين أمة العقل ، وهي قائمة على الدوام بين جنود الشيطان وجنود الرحمن . وهذه كلّها يجب تطهيرها وتصفيتها .

فيقتل جنود الشيطان ، وتُسحق الأفاعي والعقارب ، وتُقطع رؤوس الحيات ، كما يجب كنس جميع الخيالات ونفي الخواطر قاطبة استهداءً بالأسماء الإلهيّة ، وتصفية الذهن وتنزيهه . وجعل القلب بحضور وانتباه كامل مقابل الأنوار الإلهيّة ليكتسب المعارف الإلهيّة كالمغناطيس .

وخلاصة القول إنّ أرض القلب يجب أن تطهر من كلّ ما عدا الحقيقة البسيطة للنفس الناطقة المشرقة بنور الله ، فإن لم تخرج باختيارها ، فإنّها ستلقى خارجاً بمشقة وعسر ، وذلك عند سكرات الموت ، وسؤال منكر ونكير وأنواع العذاب البرزخي وشدة نفخ الصور ، ذلك أنّ الجنة محلّ المطهرين المنزهين .

وقد روي في «تفسير عليّ بن إبراهيم» وهو من كبار المحدثين والمفسرين ، ويُعدّ مقدّماً على الشيخ الكلينيّ ومن مشايخه في الحديث ، عن الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير الآية المباركة :

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ١.

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَعْنِي بِأَرْضٍ لَمْ تُكْتَسَبْ عَلَيْهَا الذُّنُوبُ بَارِزَةً لَيْسَ عَلَيْهَا جِبَالٌ وَلَا نَبَاتٌ كَمَا دَحَاهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَيُعِيدُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ كَمَا كَانَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، مُسْتَقِلًّا بِعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ ٢.

١- النصف الأوّل من الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢- «رسالة مخطوطة في المعاد» للعلامة الطباطبائيّ ، ص ٢٧ .

أي : كما كان عرش الله على الماء في أوّل الخلق ، قال تعالى :  
وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ١.

والمقصود بعرش الله إرادة ظهور بناء الخلق الشامخ والمشيدة في إيجاده ، أي : الحياة المحضة والقدرة المحضة ، ثم إنّ تلك القدرة والعظمة ظهرت في عالم الكثرة بصور مختلفة ، وظهر عالم الكثرة هذا بواسطة التجليات الإلهية . ثم إنّ هذا العالم سينطوي مرة أخرى فيتحرك الإنسان نحو عالم الحياة والقدرة المحضة . كما أنّ الموجودات جميعها تعود إلى أصلها ، فليس هناك من أحد غير الله وقدرته وعظمته ، وَلَيْسَ فِي الدَّارِ غَيْرُهُ دَيَّارٌ .

هنالك سيفهم الإنسان :

لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ٢.

وقال سماحة أستاذنا العلامة الطباطبائي مدّ ظله في تفسير كلام الإمام السجّاد (مُسْتَقَلًّا بِعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ) : تفسير لكون عرشه على الماء ، وله شواهد من الكتاب تدلّ على أنّ الماء إشارة إلى منبع كلّ حياة وقدرة وعظمة ، إن تمحى نقوش الخلق ظهرت الموجودات ، وإذا انمحت عاد العرش على الماء ٣.

هذا هو معنى قوله تعالى وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، إذ إنّ الموجودات ستعود فتجد عظمة الله تعالى وعلمه وقدرته .  
وخلاصة القول ، فإنّ هذه المطالب جاءت لإقرار الإنسان واعترافه

١- مقطع من الآية ٧ ، من السورة ١١ : هود .

٢- النصف الثاني من الآية ١٦ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٣- «رسالة مخطوطة في المعاد» للعلامة الطباطبائي ، ص ٢٧ .



أنَّ الله العظيم القدير واحدٌ أحد ، لا تدخّل ولا تصرّف لأيّ موجود في حكومته المطلقة ، لا أنه كان مستقلاً في العظمة والقدرة أوّل الخليقة ، ثمّ يصبح ممتلكاً لهما من جديد عند المعاد وعودة الموجودات ؛ وإذا ما ظهرت في غضون ذلك نقوش الكائنات وارتدت الماهيات رداء الوجود ، فإنّ قدرته وعظمته ستقلان ، أو أنّ استقلاله سيتصدّع وينهار ، أو أن غيره في صدد منازعته ومشاركته في هذه الصفات . ثمّ إنّ تلك الشركة ستُفسخ عند الرجوع والعودة ، فتستبدل المصالحة بالمنازعة .

ليس الأمر كذلك أبداً ، وإن كانت أذهان العوامّ مشحونة بهذا المعنى ، لكنّ هذا يمثل شركاً يجب تصحيحه ؛ ولقد كانت جهود الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين لمحاربة أمثال هذا الشرك ، وعندما كانوا يدعون الإنسان إلى هذه النقطة من التوحيد ، فإنّه كان يفرّ ويتمرد ويهرب هنا وهناك .

نفس اژدرهاست او کی مرده است از غم بی آلتی افسرده است<sup>١</sup>  
وقد يحدث أحياناً أنّ الفأر يتورّط ويقع ذنبه في شرك المصيدة ، فيقول «سَلَمْنَا وَآمَنَّا» ، ويكلُّ أموره إلى الله ، لكنه بمجرد أن يُفرج عنه ويُرفع عُسرهُ فإنّه يرجع إلى حالته الأولى في الغفلة .

إنّ الإنسان يتوجّه نحو التعاليم الدينيّة دفعاً للآفات والعاهات ، فيقرّ بوحديّة الله ويقول مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ . أمّا في القيامة حيث يزال الستار عن هذه الحقيقة ، فإنّه يقرّ بمالكيّة الله وملكيّته بروحه وسرّه وعقله ولسانه ونفسه ويقول : آمَنَّا وَصَدَّقْنَا .

١- يقول : النفس كالتنين ، فمتى ماتت يا ترى ؟ لقد كانت خاملة كثيبة للفاقة وانعدام

الوسيلة .

نحن اليوم نرى بعضنا بعضاً أولاً، ثم نرى الله، وننظر إلى الموجودات والآثار بادئ بدء ثم نستدلّ على وجود الله وإتقان صنعه . أمّا هناك فالأمر على العكس . حيث يقع النظر على الله وصفاته أولاً . ثم يقع بالتبع على الموجودات . وسيكون مشهوداً أنّ الأرض في قبضة الله تعالى ، وهي إذ ذاك أرض مشرقة نورانية . كما سيكون مشهوداً أنّ السماوات مطويات في يد قدرته . أي : أنّ الملك والملكوت ، والأرض والسماء ، وعالم الغيب والشهادة ، والظاهر والباطن ، والدنيا والآخرة ، والجسم والروح كلّها جميعاً في قدرة الله مقهورة مشهودة بالمقهورية .

إنّ الامتحانات والابتلاءات التي يبتلي الله سبحانه بها الناس هي من أجل الإقرار والاعتراف بهذه المسألة ، لا من أجل أن ينكشف لله أمرٌ ما .  
 أَلَمْ \* أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ .<sup>١</sup>  
 إنّ الناس سيُمتحنون ويُفتنون ليتّضح لهم أنّ القول باللسان دون اعتقاد وإيمان قلبيّ ليس مثمراً .

فجلّيّ لله وواضح من هو المؤمن ومن هو الكافر ؟ ، فلا حاجة له في الابتلاء ، ولكنهم يُمتحنون ويُفتنون من أجل أن لا يدّعوا الإيمان الكامل ، ولئلاّ يعدّوا أنفسهم في مصافّ سلمان الفارسيّ أو في مرتبة جهاد عمّار بن ياسر وأبي ذرّ الغفاريّ ، ولتتّضح لهم درجاتهم ومنزلتهم وتصبح مشهودة لديهم . كذلك فإنّ ظهور سائر أسماء الله وصفاته في القيامة هو من أجل إقرار واعتراف المنكرين ، لا لتحقيق هذه الصفات نسبة إلى نفس ذات البارئ تعالى شأنه العزيز .

إنّ الإنسان محبوس في هذه الدنيا خلف الحجب الظلمانيّة والنورانيّة ،

١- الأيتان ١ و ٢ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

لكنه حين يتحرك ويتعرف على موجودات العالم العلوي ، ويأنس بتلك الصور العارِية عن المواد العالِية عن القوة والاستعداد ، فإنه سيرى أن ذلك العالم كله نور . فهو أولاً نور أزلي وأبدى أشرق على الموجودات ؛ أي : على تلك الموجودات الملكوتية التي هي روح محض بلا صورة ، والأعلى من الكَم والكيف . ذلك أن الصورة تتعلق بعالم المثل والبرزخ ، أما هناك فعالم لا صورة فيه يفوق عالم المثل . هناك عالم ذو معانٍ مجرّدة وبسيطة وحقائق بحتة وصرفة .

ثم إن ذلك النور تنزل من هناك وجاء إلى عالم الصورة ، فصار مشهوداً للإنسان كيف قد أشرق النور على الأسماء الجزئية ، ومن ثم على الأسماء الأقل جزئية ، ووصل إلى جميع ملائكة عالم الصورة ، حيث كان للعوالم : الواحد بعد الآخر حظ من نور الله تبعاً لسلسلة مراتبها المنظمة ، ثم انتشر من العوالم العلوية إلى النفس الإنسانية ، ومنها إلى العوالم الأدنى . وهنا يتجلى لنا كلام مولى الموالي في هذا الحديث الشريف الذي سبق ذكره :

وَإِذَا اعْتَدَلَ مِرَاجُهَا وَفَارَقَتِ الْأَضْدَادَ فَقَدْ شَارَكَ بِهَا السَّبْعَ الشُّدَادَ .  
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ  
 لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً .<sup>١</sup>  
 ويُستفاد منه أن القصد من خلق السماوات والأرض معرفة الإنسان وإقراره بسعة قدرة الله وإحاطة علمه تعالى شأنه .

١- الآية ١٢ ، من السورة ٦٥ : الطلاق .



الجلس الثاني والثلاثون

الكهَّارُ وَالْفُجَّارُ مَحْبُوبُونَ فِي الْقِيَامَةِ  
فِي عَيْنِ النُّورِ وَالْإِشْرَاقِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم  
وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين  
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :  
وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ  
وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

إلى قوله تعالى :

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ  
وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ .<sup>١</sup>

دار البحث في أنّ ذلك العالم هو عالم الإشراق وعالم النور ، لذا فإنّ  
أياً من موجوداته ليس محجوباً عن الموجود الآخر ، وأنّ كلّ شيء ظاهر  
وبارز لكلّ شيء .

ويُثار هنا سؤال مفاده : ما هي حال أهل المعصية والشقاء والكفر  
الذين يرحلون عن هذه الدنيا إلى ذلك العالم ، ويحلّ عليهم هناك غضب الله  
فيبتلون بنار جهنّم جزاءً وفاقاً على أعمالهم ؟ هل يكون وجودهم نورانياً  
ومشرقاً ، أم مظلماً مع أنّ العالم هناك عالم النور والإشراق ؟

---

١- الآيات ٦٧ إلى ٦٩ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

وإذا كان وجودهم نورانياً فما الذي سيعنيه العذاب والابتلاء والوقوع تحت تأثير أسماء الله الجلالية ؟

وإذا كان وجودهم ظلمانياً ، مع فرض أنّ سنخ ذلك العالم نور وإشراق وظهور وبروز ؛ فكيف يكون لوجودهم الظلمانيّ سنخية مع عالم النور والإشراق ذلك ؟

والإجابة عن هذا السؤال هي :  
أنّ الأفراد الذين يرحلون عن هذه الدنيا ، يرحلون عنها بما اكتسبوا فيها :

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ .<sup>١</sup>  
وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى .<sup>٢</sup>  
ومن ثمّ فإنّ أيّ درجة ينالها الإنسان في ذلك العالم ، إنّما ينالها إثر الأعمال التي قام بها هنا . كلّ ما في الأمر أنّ تلك الأعمال قد ظهرت وبرزت هناك جليّة . وإذا ما كان للإنسان ترقّي في عالم البرزخ أيضاً ، أو كُتب في صحيفة أعماله شيء بعد موته ، فإنّه في آخر المطاف نتيجة أعمالٍ قام بها في الدنيا وكان لها آثار واقعيّة ؛ وإلاّ فإنّ ذلك العالم في حدّ نفسه ليس عالماً للعمل .

الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ .  
فالإنسان كان له عمل في الدنيا ، سواء كان عملاً صالحاً أم طالحاً ، فإنّ كلّ نية كانت له ، وكلّ غريزة تسوقه إلى جهةٍ ما ، وكلّ عقيدة ضمّ عليها جوانحه كلّ أولئك سيكون قابلاً للتغيير إلى وقت الموت ، أمّا حين يموت

١- مقطع من الآية ٢٨٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- الآيتان ٣٩ و ٤٠ ، من السورة ٥٣ : النجم .



القرآن الكريم يقول: إِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ المجلس ٣٢

فإن نفسه تُختَم ، وكتاب عمله يُغلق ، فيحاسب هناك على أساس ما عمل في الدنيا .

أما الذين لم يتجهوا في هذه الدنيا بحثاً عن المعارف الإلهية ، ولم يعرفوا الله سبحانه ، وتحركوا في اتجاه معاكس للغرائز والفطرة الموهوبة من قبل الله تعالى ، وساروا في جهة منحرفة كانوا من أهل الشقاء والظلم والذنوب ، وكما كانت روحهم ظلماتية عديمة النور محجوبة عن الحقيقة في هذه الدنيا ، فستكون هناك أيضاً بلا نور .

وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ١.

ومن كان بلا نور ، فما له من نور ؛ وأنّ «زيد بن عمرو هو زيد بن عمرو» سواء كان في المسجد أم الشارع أم المنزل أم مكان آخر .

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٢.

وليس المراد بالعمى عمى العين الظاهرية ، إذ ليس لهذه الأعين عمى يوم القيامة ، فقد جاء في كتاب المعارف الإلهية : القرآن الكريم أنّ هؤلاء الأفراد العمى هنا لا يُعدّون هناك عُمياناً :

إِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ٣.

إلى أيّ درجة الإبصار المعنوي مهمّ جداً ، وذلك العمى مهمّ أيضاً ، بحيث إنّ بصيرة القلب والإبصار الأخرويّ وذلك العمى الروحيّ والعمى الأخرويّ أمور يؤبه لها ، ولا يعدّ هذا العمى الظاهريّ عمىّ قياساً بذلك العمى .

١- المقطع الأخير من الآية ٤٠ ، من السورة ٢٤ : النور .

٢- الآية ٧٢ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٣- النصف الثاني من الآية ٤٦ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

يقول القرآن الكريم إِنَّ هَذِهِ الْأَعْيُنَ لَا تَعْمَى ، بَلْ إِنَّ الْعَمَى يُصِيبُ ذَلِكَ الْقَلْبَ الَّذِي فِي الصُّدُورِ ، وَهُوَ الَّذِي فَقَدَ - أَثَرَ انْغِمَاسِهِ فِي الشَّهَوَاتِ - إدراكاته ومعارفه ونظراته الواقعية ، فصار أعمى .

العمى للقلب الذي لا يدرك الحقائق والأمور الواقعية ، ويتخبط في الأوهام والأباطيل . لذلك فَإِنَّ مَنْ كَانَ أَعْمَى الْبَصِيرَةِ فِي الدُّنْيَا ، فَهُوَ أَعْمَى الْبَصِيرَةِ فِي الْآخِرَةِ أَيْضاً .

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى .

إِنَّ مَنْ لَمْ يَكْحَلْ عَيْنِي بِصِيرَتِهِ بِكُحْلِ الْهَدَايَةِ ، وَلَمْ يَدْرِكْ أَسْرَارَ الْعَالَمِ ، وَلَمْ يَرْتَبِطْ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَلَمْ يَعْتَمِدْ عَلَى الذَّاتِ الْأَزَلِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَسَارَ نَحْوَهُ هَوَسَ النَّفْسِ وَالْهَوَاجِسِ الْوَهْمِيَّةِ ، فَأَعْمَى بِذَلِكَ بِصِيرَةَ قَلْبِهِ هُنَا ، فَهُوَ هُنَاكَ أَعْمَى وَمَحْجُوبٌ أَيْضاً .

أُولَٰئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ١ .

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ٢ .

كَلَّا لَيْسَ كَمَا يَتَخَيَّلُونَ أَنَّ آيَاتِ اللَّهِ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ وَخِرَافَاتِ السَّابِقِينَ ، وَلَيْسَ كَمَا يَكْذِبُونَ بِحَقَائِقِ الْآيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَيَعْدُونَهَا كَذِباً وَافْتِرَاءً ، بَلْ إِنَّ أَعْمَالَهُمُ الْقَبِيحَةَ وَسُلُوكَهُمُ السَّيِّئَ عَلَى تَوَاتُرِ الْأَيَّامِ سَبَبَا الْكَدْرِ وَالْدَّنَسِ وَالرِّينِ عَلَى قُلُوبِهِمْ .

كَلَّا ، لَيْسَ كَمَا يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ لَهُمْ مَقَامَ الْقَرَبِ فِي الْآخِرَةِ كَذَلِكَ ، وَأَتَتْهُمْ حِينَ عَاشُوا فِي هَذَا الْعَالَمِ عَيْشَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَسَيَعِيشُونَ بِالْمَلَاظِمَةِ

١- المقطع الأخير من الآية ٤٤ ، من السورة ٤١ : فصلت .

٢- الآيتان ١٤ و ١٥ ، من السورة ٨٣ : المطففين .

في رفعة ورفاهية هناك . بل هم محجوبون عن ربهم يومئذ ، محجوبون وعُميان . والعلّة في ذلك غلبة الرين على قلوبهم . والرّين بمعنى الدنس واللوث ، فهذا الرين هو الذي حجب قلوبهم فمنعها من لقاء الله تعالى ، وحبسها في المحجوبة .

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا<sup>١</sup> .

هذه الأقفال تمنع التدبّر والتفكّر وإدراك المعاني الحقيقية للقرآن ، وهي حجاب وستر يطبق على القلوب فيمنع ظهور الحقائق وتجليها فيها . إنّ الأقدار حين تغطّي المصباح ، فإنّها تمنع نفوذ النور الباطني إلى الخارج ، فيحبس ذلك النور الداخلي الباطني ، ومع أنّ المصباح يكون مضيئاً ، إلّا أنّ البيت - مع ذلك - سيبقى مظلماً معتماً .

وهكذا الحال بالنسبة إلى مصباح قلب الإنسان ، إذ يُحجب ويُستر ويتسخ إثر الهوى والهوس والمعاصي والأفكار الشيطانية ، فلا يدع القلب يفكر ويتدبّر في الآفاق والأنفس ، أو يعتبر من عالم الخلق ، أو يفتن من الآيات الإلهية إلى وجود الصانع الحكيم .

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى<sup>٢</sup> .

والمعيشة الضنكى هي المعيشة الشاقة العسيرة المقرونة بالابتلاء ، وهي عاقبة الإعراض عن ذكر الله سبحانه . ومهما امتلك الإنسان أموالاً وثروة طائلة ، إلّا أنّ حياته مقرونة بالقلق وتشويش البال والابتلاءات

١- الآية ٢٤ ، من السورة ٤٧ : محمد .

٢- الآيات ١٢٤ إلى ١٢٦ ، من السورة ٢٠ : طه .

وانعدام بركة العمر والثروة والولد ، إذ يبتلى المرء بضغوط الاضطرابات الروحية وهجوم الخواطر المزعجة والأفكار الشيطانية .

ولعله يمتلك قدرة وإمكانية وثروة تعادل الملايين ، إلا أنه لا يتمكن من تناول طعام هائئ بلا تشويش ، ولا أن ينام نوماً مريحاً بفرغ بال ، أو يتنفس نفساً مريحاً هادئاً ، وهذا كله من نتائج الإعراض عن ذكر الله تعالى . إن من يُعرض عن الارتباط بالله وذكره سبحانه ، ويشيح عن الاعتماد عليه تعالى ؛ فإن معيشته الدنيوية تتمخض بالمحن والمصائب ؛ هذا في الدنيا .

أما في الآخرة فإن العمى سيكون نصيبه ، لذا يخاطب الله تعالى في مقام السؤال أو الاعتراض : لقد كنتُ بصيراً في الدنيا ، فلمَ حشرتني أعمى هنا ؟

بيد أن هذا المسكين لا يعلم أن هذا العمى الأخروي هو غير عمى العين المبصرة في الدنيا ، إذ يتصور أن كل من كانت له في الدنيا عينٌ ظاهرة ، فإنه ينبغي كذلك أن يكون في الآخرة بصيراً . لذا يسأل مثل هذا السؤال متعجباً . فيجاب بأن تلك العين المادية والبصر الواقع في الرأس غير هذه العين المعنوية والبصر الواقع في القلب .

أن باطنك أعمى اليوم ، لأنك أعميته في الدنيا ، ونحن لم نتجنّ عليك ، بل حشرنا بصيرتك العمياء عمياء . ولقد أتنك آياتنا فنسيته ولم تفتح عين بصيرتك لترأها ، فما هي اليوم عين بصيرتك مغلقة محجوبة ، فأنت في زمرة العميان .

وكما لم تتقبل بقلبك آياتنا ، ولم تفتح بصر قلبك عليها ، ولم تُزل صدأ قلبك وأوساخه ورينه بالعمل الصالح والإيمان والاعتقاد بالله تعالى ، فبقيت أخيراً في حجاب وفي عمى عن إدراك الحقائق ، فإن نتيجة العمى

والإعراض ستكون عمى في هذا اليوم .

ويستفاد من هذه الآية بجلاء أنّ من لم يرتبط بالله تعالى في الدنيا ، ولم يخضع لأوامره وتشريعاته ، ولم يسجد للحق ، ولم يرتدّ رداء ذلّ العبوديّة ، فجاءه الموت على هذه الحال ، فإنّه سيكون هناك أيضاً في عمى وظلمة وحجاب . فما الذي سيعود على هذا الأعمى لو كان عالم القيامة كلّه إشرافاً وضياءً ؟ ومثله تماماً كمثّل العميان في هذه الدنيا ، إذ ماذا يفيدون منها لو كانت جميعها مشرقة بنور الشمس ؟

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا<sup>١</sup>.

وستنحدث بحول الله وقوّته حديثاً وافياً عن تفسير هذه الآية المباركة في فصل الأعراف الذي سيأتي لاحقاً ، إلّا أننا سنتكلّم عنها باختصار يناسب مقامنا وبحثنا الحالي .

سيأتي يومٌ ترى فيه يا رسولنا نورَ المؤمنين والمؤمنات يسعى ويُسرّع أمامهم وعن أيّمانهم ، وهو بالطبع نورهم الذي يسعى أمامهم حيثما ذهبوا ، فيستضيئون به في ظلمات طرقات القيامة وعقباتها ، ويُنيرون به مواطني أقدامهم .

وكما قدّم المؤمنون إلى الآخرة أعمالهم التي فعلوها في الدنيا ثمّ أتبعوها بأنفسهم ، فإنّ هذا النور سيسعى أمامهم هو الآخر يوم القيامة يمثلّ تجلّي الأعمال . وسيبشّر ملائكة الرحمة المؤمنين بأنّهم سيردون اليوم

١- الآية ١٢ والنصف الأوّل من الآية ١٣ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

جئات غناء متشابكة الأغصان ، تجري الأنهار في أرضها ، فيخلدون هناك ، وذلك هو الفوز العظيم .

يومذاك يقول المنافقون والمنافقات للمؤمنين : انظرونا نقتبس من نوركم قبساً ننتفع به ، فيقال في جوابهم : ارجعوا إلى الوراء فالتمسوا هناك نوراً .

إنّ المنافقين لا نور لهم في الآخرة ، وذلك أنّ الذين جاءوا بنورهم إلى الآخرة ، فإنّما جاءوا به من هذه الدنيا . ويُطلق لفظ المنافق على من غاير قلبه لسانه ، فهو يُظهر الإيمان بلسانه ويُبطن الكفر بقلبه ؛ لسانه يقول : أنا خادمكم (مخاطباً أحد العلماء) ، روعي فداكم ، إنّ استقرار الإسلام من بركات السادة العلماء . لكنّ قلبه يقول : أيّها اللئيم . (يقصد العالم المخاطب) .

لسانه يقول : صلّوا على محمّد وآل محمّد من أجل سماحة آية الله ! لكنّ قلبه يقول : أهلكه الله ، فهو إنسان ستّي .

إنّ المنافقين أسوأ من الكفار والمشرّكين ، لأنّ الكافر والمشرّك يقولان علناً نحن كفّار لا نقبل الإسلام ولا نعتقد بشريعة محمّد صلّى الله عليه وآله ، فيعلم المسلمون واجبههم تجاههم ، أمّا المنافقون فيتشدّقون بالحديث عن الإسلام ، ويتحدّثون دوماً عن الإيمان والقرآن والعدل ، إلّا أنّهم لا عقيدة لهم في الباطن ، بل هم في صدد تخريب الإسلام وهدمه .

يأتي المنافق إلى المسجد فيقف في الصفّ الأوّل خلف الإمام وقريباً منه ، فيخلع رداءه ويضع العباءة على منكبيه ، ويصلّي النافلة باستمرار . ويقرأ الأدعية في كتاب «المفاتيح»<sup>١</sup> ، ويقرأ سورة الواقعة في صلاة الوتيرة ،

١- كتاب «مفاتيح الجنان» كتاب دعاء معروف . (م)

إلا أنه يركّز سمعه وفكره وجميع قواه الباطنية في متابعة ما يدور في المسجد ، محاولاً معرفة مَنْ يلتقي بإمام الجماعة ، وما الذي يقوله الإمام لهم ، ما رأيهم ونظرة بشأن الحكومة ؟ فيركّز هذه الأمور كلّها في ذهنه ليأخذها إلى أعداء الإسلام ويكشفها لهم باعتباره جاسوساً لهم . يأتي في الظاهر فيقبل يد الإمام وينحني إجلالاً له وتقديساً ، لكنّه يخطّط في باطنه لسجنه وإعدامه .

وعلى هذا الأساس فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مَا أُودِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُودِيَتْ ، لأتته كان في غاية الانزعاج والأذى من المنافقين في الداخل .

ولقد كان المنافقون يأتون إلى مسجد رسول الله فيصلّون ، ويعدّون أنفسهم شركاء للمسلمين ، فإذا جئهم الليل جلسوا حول بعضهم إلى الصباح يخوضون في سيرة رسول الله ويسخرون من أعماله ويهزأون به ويخطّطون في السرّ ضدّ الإسلام ، ويتعاونون مع الكفار والمشرّكين سرّاً .  
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا<sup>١</sup>.

وعلى هذا الأساس جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :  
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ<sup>٢</sup>.  
هم يوم القيامة في ظلمات محضّة ، وفي عقبات مظلمة معتمّة ، قد ابتلوا بمتاهات وسبل وعرة عسيرة ، متاهات ما إن تزلّ فيها أقدامهم حتّى

١- الآية ٨١ ، من السورة ٤ : النساء .

٢- النصف الأوّل من الآية ١٤٥ ، من السورة ٤ : النساء .

ير تظلمون بقعر وادي جهنم وساء لهم منزلاً . فلا نور الخارج يهديهم سواء السبيل ، ولا نور الباطن فيهدتوا بضياؤه .

ظَلَمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ ¹.

ويقول هؤلاء المنافقون والمنافقات للمؤمنين والمؤمنات :  
أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ؛ فيأتي الجواب : قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا .

هنا لا يأتي أحد بالنور ، ومن كان له نور ، فإنما جاء به من الدنيا ، وكان ينبغي أن يكون لكم نور ، لكنكم لا تملكونه الآن ، وهؤلاء المؤمنون والمؤمنات ذوو النور الذين ترونهم قد جاءوا بنورهم معهم من الدنيا ، فهو نورهم لا نور غيرهم ؛ وبينما يسبح المؤمنون في بحار من مياه رحمة الله ، يلهث المنافقون ظمأً إلى جرعة من ماء .

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ².

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ³.

لما كان المنافقون لا يؤمنون بكلام رسول الله ، ولجأوا - من جهة أخرى - إلى التخريب والإفساد بالاحتيال والمكر ، فإن مكانهم في الدرك الأسفل من النار ، ومهما طلبوا نوراً فإنّ أحداً لن يأبه لهم .

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَإِنَّ لَهُمْ أَجْرَهُمْ وَنُورَهُمْ ⁴.

نورهم وأجرهم معهم دوماً ، وكلّ منهم يتمتع بعالم النور المتناسب

١- مقطع من الآية ٤٠ ، من السورة ٢٤ : النور .

٢- النصف الثاني للآية ١٨٢ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٣- النصف الثاني للآية ١٥ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٤- مقطع من الآية ١٩ ، من السورة ٥٧ : الحديد .



مع مقدار إيمانه . ذلك أنّ النور كالماء ، له نهر وشطّ وبحيرة وبحر ومحيط ؛ فالمؤمنون أصحاب اليقين يغوصون في بحار النور ومحيطاته .

نُورٌ عَلَى نُورٍ .<sup>١</sup>

جميع الأنوار متراكمة شقافة ؛ فالنور على النور يشمل المؤمنين

ويسعهم .

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .<sup>٢</sup>

أي : أنّ الكافرين سعداء يُخَيَّلُ إليهم أنّ لهم نوراً ، لكن الأمر ليس كذلك ، فهم في الظلمات ، ولقد زُيِّنَتْ لهم أعمالهم فهم يتخيلون الفهم والبصيرة . وتوضح هذه الآية أنّ الإيمان نور وحياة ، وأنّ من آمن بالله وعمل صالحاً كان حيّاً ، أمّا باقي الناس فأموات غير أحياء . الحياة عبارة عن حياة العلم والوجدان ؛ الحياة ارتباط بربّ العالم وقيومه . فالذين آمنوا يمشون بين الناس بنور الله ، ويشاركون في شؤون المجتمعات ويعاشرون وينكحون ويتاجرون ويزرعون ويصنعون ويسافرون وينامون ويستيقظون ، فجميع أعمالهم هذه إنّما هي بنور الله تعالى ، وبقلب يقظ وعين مُبصرة ، وهم يمارسونها ببصيرة ووعي قلبي ووجداني .

خلافاً للأعمال التي يقوم بها سائر الناس الذين يمارسون الأعمال نفسها : يسافرون ويمسكون المسحاة ويزرعون ويتاجرون ويشغلون بالأُمور الصناعية وينكحون وينجبون الأولاد ويرسلونهم إلى المدارس ، إلّا

١- مقطع من الآية ٣٥ ، من السورة ٢٤ : النور .

٢- الآية ١٢٢ ، من السورة ٦ : الأنعام .

أنّ كلّ هذه الأمور تحصل في الظلمة ، فقد ضرب ستار من الجهل وعدم البصيرة وفقدان اليقين على قلوبهم وضمايرهم ، فهم يمارسون هذه الأعمال بلا هدف أو قصد وهي مشوبة بالشك والريب .

فَهُمْ فِي رَيِّبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ<sup>١</sup>

يتردّدون في عالم الشك والاحتمال والظنّ ، فلا يضعون أقدامهم على مسير عالم العلم واليقين : أمّا المؤمنون بقلوبهم المشرقة وصدورهم المنشرحة وفكرهم المنفتح ، كالبصير الذي يفعل ما يفعله عن تروّ وتأمّل ، فيُقدّم على القيام بالأمور المهمّة بفكر متين وعزم راسخ .

فهل يستوى من كان له مثل هذا النور ومن هو في الظلمات لا يخرج منها ؟ وهل يستوي من كان مرتبطاً برّبه ومن يزحف في سجن الوهم والتخيل ، فيرى هذا العالم - مع ما فيه من الجمال والسعة - منفصلاً ومتفرّقاً لا ارتباط له بالله ؟ إنّ الذي لا يعرف ربّه عدوّ للعالم ومنفصل عنه ، وعدوّ للأُمّ والأب ، والزوجة والولد ، وعدوّ لسائق السيارة ، ولساعي البريد ، وللرفيق والشريك ، وللعالم والجاهل ، وللشيخ والشاب ؛ لأنّه ينظر إلى الموجودات بنظر التفرقة . وبدلاً من أن ينظر إليها كلّها بنظر ألفة وأنس لارتباطها واتّحادها بأصل الخلقة ، فإنّه ينظر إليها بنظر الاثنيتيّة والانفصال والعداء ، فيبقى في سجن الظلام المليء بالجهل .

ومهما حاول إخراج نفسه من هذا السجن فإنّه سيعجز ، إذ لا عين له فيبصر بها ، ولا معرفة له بمحلّ الخروج والخلاص ، فهو أشبه بمن يغرق في البحر فتغمره اللجج العظيمة ، كلّما تختبّط في جهة ما زاد انغماره فيها ، حتّى يكتنفه الهلاك المحض . وهذه هي عاقبة الجهل والغفلة والخيانة

١- المقطع الأخير للآية ٤٥ ، من السورة ٩ : التوبة .

### والجناية في الدنيا .

إنّ الله تعالى ينمي كل عمل يفعله الإنسان ، فإن سار الإنسان في سبيل الخير وفي مسير النور ، فإنّ الله سيقوّي ذلك وينمّيه ؛ وإن تحرك في مسير الظلمة ، والشرّ ، فإنّ الله سينمي ذلك أيضاً .

ولو زرع الإنسان بذور نبات البطيخ الأحمر الحلو ، لحصل على البطيخ الأحمر الحلو ، أمّا لو زرع بذور الحنظل لما جنى غير الحنظل .

كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا<sup>١</sup>.

إنّا سنعطي كلّ فردٍ ما شاء ، فإن شاء أحدٌ الدنيا أعطيناها من نشاء ، وإن شاء أحدٌ الآخرة وسعى لها وكان مؤمناً ، فإنّا سنعطيه إياها ، فنحن نمدّ الجميع ونساعدهم .

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا<sup>٢</sup>.

لقد هدينا الإنسان السبيل ، فإمّا يختار سبيل الجنة والسعادة ، أو سبيل جهنم والشقاء . ولذا يستفاد من هذه الفقرة من الآية :

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا<sup>٣</sup> ، أنّ هناك جماعة في الظلمات لا يمكنهم الخروج منها ، قد تسرّبت الظلمات إلى قلوبهم وترسخت فيها ، فصارت جوارحهم وأعضاؤهم مظلمة ، وصارت الظلمة تكتنفهم وتحيط بهم أينما اتجهوا ؛ الظلمة في قبورهم ، فإن خرجوا منها وجدوها أمامهم ؛ والظلمة في المحشر ، والصراط ، والميزان وسائر

١- الآية ٢٠ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢- الآية ٣ ، من السورة ٧٦ : الإنسان .

٣- الآية ١٢٢ ، من السورة ٦ : الأنعام .

المواقف ، فهم يواجهونها في المواطن بأسرها . قال تعالى :  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى  
الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>١</sup> .  
وهذه الآية بعد قوله تعالى :

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .  
ومن الجلي أن المراد بالنور والظلمة ليس هذا النور والظلمة  
الطبيعيين الخارجيين ، بل المراد بهما النور والظلمة المعنويان الروحانيان ،  
والأنوار النفسانية والظلمات النفسانية التي تلازمهم وتقترب بهم .  
على أن أي عمل يفعله المؤمن سيقوده إلى عالم النور ، فيوجب  
ازدياد نوره ، وسيكون الله سبحانه ربّه ومدبره ، حتّى يدخله في حريم أمنه  
وأمانه .

كما أن أي فعل يفعله الكافر المعرض عن الله تعالى إنّما يخطو به  
خطوة في الظلمات ، فالأفراد الذين اعتمدوا على أنفسهم وعلى علومهم  
التجريبية ، أنكروا الله تعالى وتردّوا في وادي الإنكار والإلحاد ، لأنّهم  
لم يروا الله تعالى عياناً ، ولم يشاهدوه بالعلوم التجريبية ، ولم يلمسوه  
تحت مبضع الجراحة ؛ فأولياؤهم الطاغوت .

أي : أنّهم ذوو الطغيان ، طغيان القدرة وطغيان العلم وطغيان المال  
والهوى والهوس ، فهؤلاء يريدون - إذن - أن يتنصّلوا من المسؤولية  
والالتزام ، إلّا أنّهم لا يعلمون أنّهم يفرون من الله إليه . مثلهم كمثّل  
الحجل الذي يهرب من يد الصياد فيدفن رأسه تحت الثلج . فهو لم يفّر ، بل  
أسلم نفسه لذلك الصياد ، وأسدل حجاب الغفلة والجهل على عينيه

١- الآية ٢٥٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

كُلَّ عمل للمؤمن هو ورود في عالم النور ، وكُلَّ عمل للكافر ورود في الظلمات المجلس ٣٢

وأغمضها ودفن رأسه في الثلج كي لا يراه الصيِّاد ، فهو بعمله هذا لا يرى الصيِّاد ، لكن الصيِّاد يراه .

وهكذا فإنَّ الحَجَلَ لم يُخرج نفسه - في عالم الواقع ومتن الخارج - من سيطرة الصيِّاد وقبضته ، بل جعل نفسه طعمة سائغة له على أساس من الجهل وإسْدال حجاب على فهمه وبصره .

وهكذا فإنَّ الذين يَفَرُّون من يد الله تعالى يتصوِّرون أنَّهم يدخلون عالماً من البهجة واللذة والمسرة ، إلَّا أنَّهم يجهلون أنَّهم خرجوا من الرحمة ودخلوا في البلاء والنكبة والنقمة . وأنَّ الطاغوت ، ونعني به الأُمراء والحكَّام الجائرين المستكبرين الجاهلين بالله ، سيدخلونهم في الظلمات ، ويسلبونهم ذلك القدر الذي كان لهم من النور ، فيغوصون في الظلمة والحلكة تدريجياً إثر متابعة الطاغوت ، حتَّى يصلوا إلى محض الظلمة المطبقة ، فيخلدوا هناك .

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

ذلك أنَّ جهنم من مظاهر البُعد عن رحمة الله وقربه ، فمن كان مخلداً فيها كان مخلداً في الظلمة .

إذن يستفاد من هذه الآية أنَّه على الرغم من أنَّ القيامة هي عالم النور ، إلَّا أنَّ هناك شِردمة يعيشون مخلدين في الظلمة . وقد عرضنا سابقاً نظير هذا المطلب في موضوع الحجب، وقلنا: إنَّ العالم ليس بعالم الحجاب ، بل هو عالم الظهور والبروز والتجلِّي ، إلَّا أنَّ البعض - في الوقت نفسه - محجوبون عن البعض الآخر ، وأنَّ الكفار محجوبون ، فهذه المحجوبيَّة من لوازم محدودية وجودهم ، فقد حدِّدوا وجودهم وضيَّقوه في الدنيا ، فصارت هذه المحدودية موجبة لحجابهم وبُعدهم ، وصاروا لا يستطيعون الخروج من ذلك التعيّن والتقيّد .

كما نقرأ في القرآن الكريم مثل هذا المعنى ، في أنَّ المخفيات تظهر يومئذٍ ، وأنَّ هناك عالم السرِّ والحقيقة ، فليس لأحد - من ثم - قدرة على الكذب ، كما لا يمكن لأحد أن يجيب منكر ونكير كذباً حين يسألانه : مَنْ ربُّك ؟ فلا يمكنه الكذب للخلاص من عذابهما ، ولا يسعه إلا التصريح بما كان يعبدّه ويجعله إلهه ومعبوده في هذه الدنيا . كما لا يمكن لأحد يوم القيامة - وهي يوم الجمع ويوم الشهود - أن يظهر خلاف عقائده .

بيدَ أنه وردت - في الوقت نفسه - بعض الآيات التي تذكر أنَّ الأفراد الذين كانوا في الدنيا من أهل الكذب ، يحاولون هناك أيضاً تخليص أنفسهم بالكذب . قال تعالى :

أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .<sup>١</sup>

فهم يقولون هناك : والله ربنا ما كنا مشركين . فانظر (أيها النبي) كيف كذبوا على أنفسهم وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون .

فَأَلْقُوا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ .<sup>٢</sup>

وحين يأتي الملائكة الشداد الغلاظ لقبض أرواح الظالمين وسوقهم إلى جهنم ، فإنَّ هؤلاء الظالمين يحاولون مسالمتهم وخداعهم بالحيلة والمكر للخلاص من أيديهم ، وتخفيف شدة سكرات الموت وألم نزع أرواحهم . لذا يقولون مسالمين : ما كنا نعمل من سوء في هذه الدنيا .

بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .<sup>٣</sup>

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ

١- الآية ٢٤ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢- مقطع من الآية ٢٨ ، من السورة ١٦ : النحل .

٣- تتمة الآية ٢٨ ، من السورة ١٦ : النحل .

أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ<sup>١</sup>.

فهذا الحلف الكاذب هو ظهور حيلتهم في الكذب والافتراء الذي يظهر يومئذٍ ، فمن كان الكذب سجّيته ، لازمته سجّيته هذه واصطحبها حين يرد المحشر .

إنّ اللصّ يحبّ السرقة على الدوام ، فإنّ نام رأى في المنام أنّه يسرق . فهو في اليقظة يسرق خفية بعد ملاحظة ما يحيط به ، ويتكتم على سرقة لئلاّ يطّلع عليها أحد ، أمّا حال النوم حيث لا يرى سرقة أحد ، فإنّه يسرق دونما مبالاة .

والأمر صادق بالنسبة إلى المحتكرين الذين يجنون الأرباح الطائلة ، فإنّهم يرون في النوم أنّهم يحتكرون ويبيعون بأثمان مرتفعة فيلتذّون برؤياهم هذه ، ثمّ يستيقظون فيتحسّرون لأنّ ذلك كان مجرّد رؤيا ، ولأنّ ذلك الاحتكار للأرزاق لم يكن له وجود خارجي .

وهكذا الأمر بالنسبة إلى الإنسان المتهتك الغارق في الشهوات ، فهو يرى في المنام المناظر الشهويّة ، فيرى نفسه ملكاً ، ويرى أنّه يأمر وينهى ويضرب ويسلب . أمّا العالم فيرى رؤيا تدور حول المطالعة والتدريس ، كما يرى العابد رؤيا تحوم حول العبادة والصلاة والركوع والسجود . وهذا أمر مسلم تصدّقه التجربة وتشهد عليه بشواهد صادقة ، وقد بيّنت علته في الفلسفة الإلهيّة .

إنّ بعض الأفراد يكذبون إجمالاً ، لكنّ فيهم من ينسج الأكاذيب ويلقّقها بمهارة وحنكة ، فهم يختلقون أمام الإنسان قصّة كاذبة دون أدنى تأمل أو تروّ سابق فيخدعون بها . فمثل هؤلاء الأفراد قد تحجّرت خليقة

١- الآية ١٨ ، من السورة ٥٨ : المجادلة .

الكذب القذرة في أنفسهم ، فهم يرحلون عن الدنيا بهذه النفس الكاذبة ، ويردون المحشر بها ، ويحاولون هناك أيضاً أن يخدعوا الله تعالى ، فيختلقون الكذب ويحلفون افتراءً وينكرون كفرهم وشركهم وظلمهم وجنایاتهم أيما إنكار . ومثلهم كمثل سارقي الجيوب الذين إذا ما أمسك أحد بأيديهم حال تلّبسهم بالسرقة ، فإنّهم سينكرون ذلك مع أن أيديهم في جيوب الناس . وما أكثر ما شوهد أنّهم يُعتقلون ومعهم الأموال التي سرقوها ، فيلقون التهمة على من أمسك بهم ويتهمونونه أنّه سرق تلك النقود من جيبيهم ؛ نعوذ بالله .

وإذا ما حضر هؤلاء يوم القيامة ، فإنّهم يحاولون إلقاء التبعة على الله تعالى ، وتحميله المسؤولية وإدانته .

وبناءً على ما قيل في باب ظهور السجايا والمَلَكات ، فإنّ سوق كذب الكاذبين وإنكار المنكرين وحجاب المحجوبين ستكون رائجة يوم القيامة . فكيف - ترى - ستقع هذه المخالفات مع أنّ العالم هناك هو عالم الحقيقة المجضة والصدق الخالص والنور والإشراق ، وعالم الظهور والبروز ؟

سيُتضح الأمر بإيراد مقدّمة مختصرة ، وهي أنّ ذلك العالم ، على الرغم من كونه عالم النور ، إلّا أنّ مراتب النور متفاوتة متغايرة .

افترضوا أنّ الشمس قد طلعت فأشرقت في الوهلة الأولى على سقف بلوريّ ، ثمّ إنّها عبرت من هناك إلى سقف بلوريّ آخر أسفل منه ، وهكذا تعبر من الطبقات البلوريّة المتعدّدة للعمارة لتصل إلى أرضيّة الغرف وإلى داخل البناية السفلى .

فإذا كان لكل واحد من هذه السقوف والبلّورات إجمالاً شخصيّة وأُنانيّة ، فإنّ ذلك سيؤثّر في النور العابر خلاله ، وحينئذٍ سيفقد لونه قدراً من إشراقه عند عبوره من كلّ بلّورة ، فإذا وصل إلى الطابق الأسفل كان لونه



معتمداً متفاوتاً كل التفاوت مع اللون المشرق الشفاف للطابق الأعلى .

وهكذا سيرى الشخص الجالس في الطابق العلوي نور الشمس وينعم بضياؤها وإشراقها ، إلا أن الأمر يختلف كثيراً بالنسبة إلى الجالس في الطبقة السفلى ، إذ إنه يتمتع بإشراق الشمس أيضاً ، لكنه إشراق ضعيف مز من الحجب وزادت عليه التعينات الإمكانية حجاً جديدة .

ولا ريب في أن الواردين إلى القيامة أولو درجات مختلفة في الإيمان والعلم والتقوى ، وأن العاصين والمذنبين هم أيضاً في درجات متباينة . وهذا الاختلاف سيوجب قلة الحجب أو كثرتها . ونتيجة ذلك أن المنغمسين في المعصية والمصرين المعاندين على الشرك والكفر والإنكار والجحود ، هم في مراتب بعيدة نائية عن الرحمة ، وأن حجبهم أكثر والنور الذي يصلهم أقل وأندر ، فهم بالملازمة في الظلمة والعتمة المبهمة .

أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ<sup>١</sup>

أما المقربون الذين يتمتعون بالمرحلة الأولى للنور ، فيكتسبون به بلا غش ولا رين ولا تلوث . وهكذا يتلقى الأنبياء والأئمة عليهم السلام الفيض من الذات المقدسة للحضرة الأحديّة ويستجلبون النور بلا واسطة ؛ أما باقي الأفراد من المقربين وأهل الإخلاص والأبرار والأخيار وأصحاب اليمين ، فكلّ منهم نور حسب درجته ومقامه ومنزلته .

وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ<sup>٢</sup>

وأن أصحاب الشمال هم أيضاً في درجات متنوعة ، لأن درجة شقاؤهم متفاوتة . ومن ثم فإنّ الأشقياء في عالم النور ، ولكن من وراء

١- المقطع الأخير من الآية ٤٤ ، من السورة ٤١ : فصلت .

٢- الآية ١٦٤ ، من السورة ٣٧ : الصافات .

حجاب وتحت غطاء الأسماء الجلالية .

المؤمنون والمقربون والأبرار والأخيار تحت إشراق النور والأسماء الجمالية ، والأشقياء والكفار تحت إشراق النور والأسماء الجلالية ، وشتان بين هذين الأمرين . فحين يوزع الملك في يوم معين صلاته العامة على الجميع ، فإنه يكرم أهل خدمته كما يستحقون ، ويجزي أهل العصيان بالعذاب والسجن والعقوبة حسب ما يستحقون . الجميع يرون الملك وهو بمرأى منهم ومسمع ، إلا أن المطيعين في ظل ألطافه وعناياته ، والعاصين والمتمردين تحت سطوته وغضبه وقهره .

وهكذا سينعم المؤمنون ذوو العمل الصالح يوم القيامة بالأنوار الجمالية واسم الرحيم والرؤوف والودود وذو المن والكرم ؛ بينما سيرزح الكفار والمجرمون تحت الأنوار القاهرة الجلالية ، وتحت اسم شديد العقاب والجبار والقهار وأعظم المتجبرين . فهم بأجمعهم في النور والإشراق ، والإقرار والاعتراف ، وعدم إمكان التمرّد والإنكار ، وكلّ منهم حسب مرتبته ودرجته في المقامات والكمالات ، وفي حجب متفاوتة حسب القرب والبعد ، وتبعاً لظهور مراتب القرب والبعد من الجنة أو من جهنم .

لذا فإنّ الفرق بين المؤمن وغير المؤمن سيّضح بجلاء ، إذ إنّ العالم هناك عالم الصدق وعالم النور والإشراق والظهور والبروز . ولما كان للمؤمنين في الدنيا صدق غير مشوب بكذب ، ونور غير مشوب بكدر وظلمة ، فإنّ هذه المعاني التي تتجلّى لهم يومئذٍ توجب دخولهم في الإشراق والنور المحض . وأمّا الكافرون فلما كانوا معروفين بالكذب والعتمة والكدر ، فإنّهم يصيرون في شبكات النور محجوبين بالحجب والأستار .

وتلك الجماعة المجبولة على الظلم والجور ، التي عُجنت أرواحها بالكذب والافتراء ، وُخلطت بالشقاء والقسوة ، موجودة هناك في شبكات نورية بعيدة وضعيفة جداً ، وممزوجة بظلمة الحجب الظلمانية ؛ وأنّ بلّور قلوبهم المخلوط بالرين والشين سيجعل ذلك النور الإلهي المجرد الطاهر البسيط في شبكات القلب المظلمة والعفنة الملوثة في هيئة نور خافت ومعتم يدخل في قلوبهم . وذلك أنّ البلّور المعتم يجعل النور معتماً ، والبلّور الداكن يجعل اللون داكناً .

فأمرهم من حيث إشعاع النور غير قابل للإنكار ، أمّا من جهة تلوّثه بالهواجس النفسية وحجب الإدراك والبصيرة الباطنية ، فإنّهم سيصبحون في العتمة والحجاب ومظاهر البعد .

وجاء في «نهج البلاغة» ما نصّه :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ (وَقَدْ سَمِعَهُ يَرَاجِعُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَلَامًا) : دَعُهُ يَا عَمَّارُ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا ؛ وَعَلَى عَمْدٍ لُبْسٍ عَلَى نَفْسِهِ ؛ لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَازِرًا لِسَقَطَاتِهِ ١ .

وهذا الوصف من الإمام للمغيرة ممّا يثير العجب ، أن يصل امرؤ إلى الحدّ الذي يتخذ فيه - عالماً عامداً - ستاراً من الشبهات للدعاوى الباطلة ، كي يجعل لباس الشبهة ذلك وجهه الموجه يوم المحاكمة وفي أوساط الناس .

وتمثل هذه الحالة نفاقاً باطنياً شديداً ، إذ يتجاهل الإنسان ويظهر عدم الاطلاع متعمداً مع علمه وبصيرته وتنوّره ووعيه ، ويحاول الفرار من مؤاخذه الناس حفظاً لكرامته ، وذلك بحمل أعمال الناس على وجه

١- «نهج البلاغة» الحكمة ٤٠٥ ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ؛ طبعة عبده - مصر .

غير صحيح مع علمه أنها صحيحة ، أو بحملها على وجه صحيح مع علمه بخطئها وعدم صوابها . وباتخاذها موارد الشبهة تلك مستمسكاً لعمله . وهذا نوع من الظلمة في عالم النور ، ونوع من العمى في عالم الإبصار ، وسيظهر في عالم القيامة على هذا النحو والكيفية .

وهناك أفراد كثيرون من هذا القبيل في المجتمع ، من الذين يجعلون الدين آلة لنيل الدنيا ، فيصلّون ويخطبون خطباً خادعة ليحكموا في الدنيا . وقد استخدم سيد الشهداء عليه السلام استعارة لطيفة للتعبير عن أهل الدنيا وكيفية استخدامهم الدين للوصول إلى نواياهم ومقاصدهم الدنيوية ، وذلك في خطبة قصيرة له خطبها في «ذي حسم» عند مسيره إلى كربلاء ، جاء فيها كما في «تحف العقول» :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَسِيرِهِ إِلَى كَرْبَلَاءَ :  
إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَذْبَرَ مَعْرُوفُهَا ؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا  
صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْأَنْاءِ ؛ وَخَسِيسٌ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَيْلِ .  
أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُنْتَهَى عَنْهُ ، لِيَرْغَبَ  
الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ حَقًّا . فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ  
الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا .

إِنَّ النَّاسَ عِبِيدُ الدُّنْيَا ، وَالدِّينَ لِعِقٍّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، يَحُوطُونَهُ مَا  
دَرَّتْ مَعَائِشُهُمْ ، فَإِذَا مُحْصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ .<sup>١</sup>

١- أورد خطبة الإمام كل من ابن شعبة الحراني في «تحف العقول» ص ٢٤٥ ؛  
والمجلسي رحمه الله في «بحار الأنوار» روضة البحار ، المجلد ١٧ ، ص ١٤٨ ؛ وفي الطبعة  
الحديثة ج ٧٨ ، ونقل السيد ابن طاووس في «التهذيب» هذه الخطبة عن الإمام عليه السلام في  
«عذيب الهجانات» وهو أحد المنازل بين المدينة والكوفة وقال : فورد كتاب عبيد الله بن  
زياد إلى الحر بن يزيد يأمره بالتضييق على الحسين عليه السلام ، فقام الحسين عليه  
☞

﴿ السلام خطيباً ... ﴾ (اللاهوف) ، ص ٦٩ .

كما نقلها الطبري عن الإمام عليه السلام أنه خطبها في «ذي حسم» ، وذلك في تأريخه ضمن وقائع سنة ٦١ .

ويبدو أن «ذا حسم» و «عذيب الهجانات» اللذين ذكرهما السيد محل واحد ، لأن هاتين الخطبتين ذكرتا بعد ورود الحرّ . (تاريخ الطبري) ج ٥ ، ص ٤٠٣ و ٤٠٤ ، طبعة محمد أبي الفضل إبراهيم) . ونقلت هذه الخطبة في «ملحقات إحقاق الحق» ج ١١ ، ص ٦٠٥ ، حيث أوردها صاحب الكتاب المشار إليه عن كتب التأريخ والحديث المهمة لأهل السنة مع ذكر أسانيدها .



الجلس الثالث والثلاثون

قيام الإنسان في ساحة الله عز وجل ومحضره





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم  
 وصلى الله على محمد وآله الطاهرين  
 ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* وَالذَّارِبِ ذَرَوْا \* فَأَلْخَمَلِيتِ وَقُرًا \*  
 فَأَلْجَرِيتِ يُسْرًا \* فَأَلْمُقَسِّمِيتِ أَمْرًا \* إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ  
 لَوَاقِعٌ ۝<sup>١</sup>

قسماً بالرياح التي تذرّو التراب وتفرّقه ؛ وقسماً بالسحب التي تحمل  
 المياه الثقيلة ؛ وقسماً بالسفن التي تجري في البحار رخاءً ميسرة ؛ وقسماً  
 بالملائكة التي تقسم أمر الله في العالم ، فتأخذ الأمر الواحد للحضرة  
 الأحديّة من عالم اللاهوت ، حسب اختلاف مقاماتها ومراتبها ، وتبعاً  
 لسعة ماهياتها أو ضيقها ، فتقسم ذلك الأمر على العوالم الأخرى ؛ إنّ ما  
 توعّدون وما أنذرتكم به صادقٌ وواقع ، وإنّ الجزاء والثواب لأمر واقع  
 ولازم .

يروى عليّ بن إبراهيم في تفسيره ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن  
 جميل بن درّاج ، عن الإمام الصادق (ع) في تفسير هذه الآيات على النحو

---

١- الآيات ١ إلى ٦ ، من السورة ٥١ : الذاريات .

### الذي ذكرناه<sup>١</sup>.

كما خرّجه السيوطي على هذا النحو الوارد في التفسير المذكور ، في تفسير «الدر المنثور» عن عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وحارث بن أبي أسامة وابن جرير وابن منذر وابن أبي حاتم وابن الأثير في «المصاحف» ؛ وعن الحاكم في «المستدرک» وصحّحه ؛ وعن البيهقي في «شعب الإيمان» ، جميعاً عن علي بن أبي طالب<sup>٢</sup>.

وقال الفخر الرازي في تفسيره : والأقرب أن هذه صفات أربع للرياح ، فالذاريات هي الرياح التي تنشئ السحاب أولاً ؛ والحاملات هي الرياح التي تحمل السحب التي هي بخار المياه التي إذا سحّت جرت السيول العظيمة ، وهي أوقار أثقل من جبال ؛ والجاريات هي الرياح التي تجري بالسحب بعد حملها ؛ والمقسّمات هي الرياح التي تفرّق الأمطار على الأقطار<sup>٣</sup>.

ويشهد على التفسير المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن هذا القسم المتكرّر إشارة إلى عامّة التدبير ، حيث ذكرت أنموذجاً ممّا يدبّر به الأمر في البرّ وهو : **وَالَّذَرِيَّتِ ذُرُوءًا** ؛ وأنموذجاً ممّا يدبّر به الأمر في البحر وهو : **فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا** ؛ وأنموذجاً ممّا يدبّر به الأمر في الجوّ وهو : **فَالْحَمَلَتِ وَقْرًا** ؛ وتمّ الجميع بالملائكة الذين هم وسائط التدبير : **فَالْمَقْسِمَتِ أَمْرًا**<sup>٤</sup>. ومجمل الأمر أن الله تعالى يقسم بهذه الأمور التي هي

١- «تفسير القمي» ص ٦٤٦.

٢- «الدر المنثور» ج ٦ ، ص ١١١.

٣- «تفسير مفاتيح الغيب» طبعة دار الطباعة ، ج ٧ ، ص ٦٥٤.

٤- «تفسير الميزان» ج ١٨ ، ص ٣٩٦.

من أهم الأمور ثم يقول: **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَقَّعُوا**  
 إن يوم الجزاء صادق وواقع، وليس أمراً تخيلاً وموهوماً جاء به  
 الأنبياء كفرضية ونظرية لإسكات نفوس البشر، وإلجام أجيال البشرية  
 المتمردة والمتعدية، ورتبوا أمر القيامة والجزاء والثواب وقدموه إلى  
 الناس ليحدثوا بهذه الوسيلة من الاعتداءات.

المعاد عبارة عن عودة الإنسان ورجوعه إلى الله سبحانه، لأن المعاد  
 بمعنى محلّ الرجوع أو زمنه أو أصله، فبواسطته يتحقق عود الإنسان  
 ورجوعه إلى الله تعالى. ويستخلص منه أن مجيء الإنسان يجب أن يكون  
 من عند الله تعالى، ليكون عوده ورجوعه إليه، فالسير في طريق لم يسبق  
 للإنسان سلوكه وطّيه لا يدعى رجوعاً. فنحن - لهذا - قد جئنا من عند الله  
 سبحانه، وعلينا أن نعود إلى حيث كنّا وإلى المكان الذي قدمنا منه.

**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ<sup>١</sup>**

**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ<sup>٢</sup>**

كما بدأنا أول خلق وأنزلناه من نقطة نزوله الأولى، فأقمنا هذا العالم  
 وخلقناه، فإننا سنعيد هذا الخلق ونرقى به ثانية إلى تلك النقطة.  
 ومن هنا فإن هناك معاداً للإنسان والحيوانات والموجودات جميعاً،  
 وستعود إلى حيث كانت بداية خلقها، والإنسان أحد الموجودات  
 والمخلوقات وله معاد أيضاً.

ولما كان الإنسان قد نزل بجميع وجوده ومراتبه، فعليه أن يصعد  
 ويعود ثانية بجميع وجوده وأرجائه، وإلا لما تحقق معاده كما ينبغي. لقد

١- المقطع الأخير للآية ٢٩، من السورة ٧: الأعراف.

٢- مقطع من الآية ١٠٤، من السورة ٢١: الأنبياء.

نزل الإنسان بوجوده كله فظهر في عالم الكثرة وارتدى لباس الطبع والمادة ، وعليه أن يعود بهذه المجموعة التي هي عبارة عن البدن والمثال والنفس ، والظاهر والباطن ، والمُلك والملكوت . وإلا فإن تقرر أن يبقى هنا قسم من الإنسان ويعود القسم الآخر منه ، لما كان قد عاد بوجوده كله .

ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١

إنّ العالم الذي نعيش فيه ليس عالم العبث والجزاف واللعب ، فأعمال الإنسان تدوّن وتسجّل ، سواءً تجاهل الإنسان ذلك أم لا ، بل إنّ هذا التجاهل نفسه سيسجّل ويدوّن أيضاً .

لذا فإنّ الإنسان ليس بمعزل عن الحساب والمحاسبة ، فإن تكلم رأى أنّ جهاز التسجيل يسجّل كلماته حرفاً حرفاً ، وإذا ما قلب صفحات كتاب أو أوراق ما ، لسجّل صوت تلك الورقة والصفحة أيضاً .

ومن ثمّ فإنّ الإنسان لا يمكنه أن يُخفي شيئاً في عالم الكون والتكوين ، وستكون عودته إلى الله الذي سيطلع على جميع أفعاله وسيرته .

لقد كان لقمان من الحكماء الكبار ، وكان له منصب النبوة على ما في بعض الروايات ، وكان من بين نصائحه ومواعظه لابنه ، قوله :

يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ \* فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ٢

وحينما لا تخفى على الذات الأحديّة ولا تخرج من دائرة علمها

١- النصف الثاني للآية ١٥ ، من السورة ٣١ : لقمان .

٢- الآية ١٦ ، من السورة ٣١ : لقمان .

\* الخردل : نوع من الفلفل ، له بزور سوداء صغيرة ذات طعم حادّ .

إعلان المعاد من قبل الأنبياء لم يكن لإخافة الناس وإفزاعهم

المجلس ٣٣

وقدرتها وإحاطتها الوجودية والحياتية حبة من خردل في صخرة أو خلف جبل أو في أعماق بحر أو في الفضاء أو في السماوات ، وكذلك كل موجود بقدر هذه الحبة وزناً ، فكيف يمكن للإنسان الادعاء بأن وجوده وأفعاله وعقائده وصفاته خارجة عن دائرة علم الله وقدرته ؟ وكيف يُنكر وجوده وحياته مع أن من المعلوم أن هذا الوجود الفعلي في عالم التكوين ملازم ومستلزم للتسجيل والتدوين وتحقق المعاد ؟

إن الله تبارك وتعالى مقتدر ، وسيبعث الإنسان ويُحييه ، فيفهم آنذاك أن هذه الدنيا لم تُخلق عبثاً ، بل خلقت وفق حساب دقيق . وسواءً أنكر الإنسان المعاد أم لم ينكره ، أو قال إنَّ أحداً لم يذهب إلى ذلك العالم الذي أخبر الأنبياء به فيأتينا بالخبر اليقين . ولو تساءل : من سافر - ترى - إلى الآخرة ليخبرها ؟!

إن الإنسان يرى من منظار الإدراك الحسي أنه يموت ويُدفن تحت التراب ويصبح رميماً ، كما أن روحه ليست بالشيء المرنِّي لنقول إنها لا تزال حية . فحقيقة الإنسان - إذن - هي بدنه العنصري الذي يتلاشى ويتبدد ، وليس هناك خبر عن الروح أيضاً ، فلا معاد ولا خبر حينئذٍ . هذه هي مقولة الماديين والدهريين .

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ<sup>١</sup>

وبناءً على ذلك فإن ما قاله الأنبياء إنما كان من أجل مصلحة المجتمعات البشرية وتنظيمها ، ولمنع الناس من الاعتداء على بعضهم البعض ، لذا كانوا يضعون فزاعة على مرأى ومسمع من الناس تتمثل بعذاب عالم الآخرة وجزائها ويظهرونها أمام قواهم المتخيلة والوهمية ليحدوا من

١- الآية ٣٧ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

سبعيتهم وبهيميتهم نوعاً ما ، مثلهم في ذلك كمثّل الفلاحين والمزارعين الذين ينصبون فزاعة ليُخيفوا بها الطيور والغربان كي لا تهاجم الثمار والأزهار والحبوب .

لقد تصوّر الأنبياء أنّ الله والقيامة هي الوسيلة الأفضل لإخافة البشر ، فكانوا يلقّنون الناس أمر وجود الله والمعاد لإيقافهم عند حدّهم ومنعهم من الاعتداء على أموال الغير وأعراضهم ونفوسهم . أمّا حقيقة الأمر فليس هناك شيء من هذا ، إذ إنّ المطالب والأحكام الطويلة والعريضة لا تعتمد على أساس المعاد الواقعي ولا على أساس الإله الحقيقي .

وإذا مات الإنسان وتلاشى بدنه وصار رميماً واضمحّل تحت الأرض وفنى ، فكيف يجمع الله هذه الذرّات ويمنحها الحياة من جديد ؟ كيف يتأتّى ذلك ؟!

هذا هو حصيلة كلام الطبيعيّين الذي عرضوه منكرين على الإلهيّين إيمانهم بالمعاد . والجواب هو أنّكم لم تذكروا شيئاً غير الظنّ والاستبعاد وترتيب مقدّمات شعريّة مشوبة بالأخطاء .

فأين العجب يا ترى ؟ انظروا إلى أصل خلقكم وبدايته وانظروا أيّ شيء كنتم ؟ فهل هناك قصّة أعجب وأغرب من قصّة خلق الإنسان ؟ لقد قلت يوماً لأولادي : إنّني كلّما فكّرتُ في الآيات الآفاقية لربّ العزّة تعالى لم أتحيّر كحيرتي في تفكيري بالجنين في بطن أمّه .

إنّ أصل الإنسان من نطفة ، ثمّ يصبح علقة ، ثمّ مضغة ، ثمّ عظماً تُكسى لحماً ، وهذه هي المراحل التي لا بدّ للجنين من طيّها في رحم الأمّ ليصير إنساناً كاملاً يتنفّس ويمتلك الشعور والعقل ، فيخطو إلى العالم ، وما أعجبها من أمور ! ثمّ بعد ذلك يبدأ في الكلام فيرتفع منه صُراخ «أنا رجل» .

إن هذه التحوّلات والتطوّرات عجيبة وغريبة بحيث إذا ما حاول الإنسان أن يفكّر فيها ، وأن يتدبّر في المدارج والمعارج الصعوديّة والتكاملية لهذه النطفة ، فإنّ عقله سيشلّ عن التفكير ، ولسانه سيخرس عن النطق .

وعلى الرغم من أنّ الموجودات جميعها عجيبة ، لكن لا حدّ للعجب في طيّ المراحل التكاملية للنطفة . ولذا فإنّ الله سبحانه حين ذكر في مواضع عديدة من القرآن الكريم قصّة خلق الجنين ، فإنّه أشار إليها بعنوان العظمة ، ويقول في موضع من تلك المواضع :

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ<sup>١</sup>

إنّ مثل هذه اليد التي تخلق هذا الخلق طافحة بالبركة والجود حقّاً ! فالنطفة هي ذرّة لا تراها العين المجردة ، ولا عقل لها ولا شعور ، ولا يد ولا رجل ، ولا سائر الأعضاء والجوارح ، وهي مبدأ خلقه الإنسان . وحين تُقسّم قطرة من نطفة إلى أربعة ملايين جزء ، فإنّ جزءاً واحداً غير مرئيّ منها هو أصل النطفة (أي الحويمن) ، أي لا شيء في الحقيقة .

وهكذا فإنّ الله تعالى يخلق من هذا اللا شيء عيناً وأذنّاً وقلباً وكبدّاً ورثّة وكلية وعروقاً وشحمّاً ، ويخلق عظاماً وعضروفاً وعضلات وأعصاباً ، ويخلق في كلّ يد خمسة أصابع ، ولكلّ إصبع مفاصل عديدة لها جميعها أعصاب متصلة كلّها بالمخ . فهناك أعصاب للحس وأعصاب للحركة ، وهناك مواضع فيها أعصاب للحركة وليس فيها أعصاب للحس ، فأمعاء الإنسان تتحرّك إلّا أنّها بدون حسّ ، أي : أنّ إحساسها ضعيف . وهكذا فإنّ معدتنا وكليتنا في حركة دائمة دائبة ، إلّا أنّنا لا نحسّ بتلك الحركة ،

١- الفقرة الأخيرة للآية ١٤ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

وهذه أمور تبعث على العجب .

فكيف خلقت هذه الأعضاء كلّها من حويمن واحد صغير ؟ ذلك الحويمن البالغ في الصغر حدّاً لا يرى معه بالعين المجردة . فتلك الذرة الصغيرة يجب أن توضع تحت المجاهر القويّة لتصبح قابلة للرؤية . وعلى كلّ حال فهي ذرة وجزء صغير لا تُشاهد فيه هذه الأعضاء أبداً ولو بعنوان الاندماج .

كيف تمتلك هذه النطفة حركة في جوهرها وكيونتها ؟ وبأيّ سرعة عجيبة تغتير نفسها ؟ فتتقدّم في كلّ لحظة ، وتصبح علقّة ، ثمّ تصبح في هيئة موجود أكثر إتقاناً وإحكاماً ، أي : مضغّة من لحم ، ثمّ تظهر على سطحها نقاط صفراء عديدة أشبه بالبقع الصغيرة ، فيقال إنّ هذه النقاط والبقع هي المخّ والكبد والقلب . ثمّ تتحرّك نحو تكاملها بسرعة . فإن شاهد الإنسان تلك البقع ، لما أمكنه أن يدرك أنّها عيون وقلوب . تماماً كما تضعون بالقلم نقاطاً صفراء على ورقة ما ؛ أفيمكن القول إنّ تلك النقاط عين وقلب وكبد ؟ أيمكن القول إنّ هذا هو البطين الأيمن وذلك هو البطين الأيسر للقلب ؟

وإنّ هذا هو دهليز القلب ! وإنّ ذلك هو مدخل القلب ؟ ما هو المخّ ؟ وما فيه من الأمور ؟ ما الذي تمتلكه كلّ من القوّة الحافظة أو الذاكرة والقوّة المفكّرة والقوّة المتخيّلة والقوّة الواهمة والحسّ المشترك ، من أجهزة ومن أشرطة تسجيل ؟ وما أطول أشرطة التسجيل في مخّ الإنسان ! ومن أين صنعت ؟

إنّنا نرى ظاهرها فنحار ونبقى مبهورين خرساً وبكماً لما نشاهده من صنع الله المتعال ، ويتوقّف عقلمنا عن الحركة والتفكير ، ناهيك عمّا يحصل لنا لو أدركنا باطنها . لقد كانت هذه الأمور جميعاً من تلك الذرة غير المرئية ؛



## سُبْحَانَ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ الْحَكِيمِ .

أف هذه الأعمال من صنع الله أم لا ؟ أيمكننا الإنكار يا ترى ؟  
 أفلا يمكن للرب الذي يفعل هذه الأمور أن يحيى الموتى ،  
 ولم يستكثر على الله إحياء الموتى ؟ ولم يستبعد ذلك من قدرته تعالى ؟  
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ  
 ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ  
 فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ  
 وَمِنْكُمْ مَّنْ يُمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ  
 شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَبْتَتْ مِنْ  
 كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ \* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ  
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي  
 الْقُبُورِ ١ .

نعم ، إن هذه الحوادث والوقائع كافة دليل على وحدانية وحقانية ذاته  
 المقدسة . افترضوا أنكم موجودون في عالم الوجود وحدكم ، دون أن يكون  
 معكم موجود آخر وافترضوا أن ليس هناك من معاد ؛ لكن وجودكم نفسه  
 أمر لا يمكن إنكاره ، فأنتم موجودون ولا يمكنكم إنكار وجودكم . فماذا  
 كنتم سابقاً ؟ أكنتم تراباً ثم صرتم نطفة ؟

إن أصل النطفة من الدم ، والدم هو جوهر الغذاء الذي تناوله  
 الإنسان ، وكان ذلك الغذاء إما لحماً أو حبوباً أو خضراً أو فواكه . فأصل  
 الإنسان - إذن - من التراب ، لأن المادة الأصلية لهذه المواد هي التراب .  
 ولقد تبدل هذا التراب علقه ودماً متخثراً ، ثم تحولت النطفة تدريجياً إلى

١- الآيات ٥ إلى ٧ ، من السورة ٢٢ : الحج .

مادة كمثل المضغعة من اللحم ، ثم صارت عظماً . وما أعجب العظام التي خلقها ربنا ! عظام القدم ، وعظام اليد ، وعظام الصدر . ولم يحصل في خلق الله وصنعه أيّ خطأ ، كأن يضع عظام الصدر في القدم مثلاً أو بالعكس . ولم يخلق العظام حادة الحافات فتؤذي اللحم ، ولم يضعها بحيث تخرج من اللحم والعضلات ، بل صنعها كما لو كانت قد صُقلت وبُردت بالمبرد . والعجيب أن بين هذه العظام تزييتاً دائماً يحول دون تأكلها الناتج من احتكاك بعضها ببعض .

إنّ رجال الصناعة الذين يعملون بآلات خراطة المعادن وصقل سطوحها ومكائن التفريز وأشباه ذلك يعتمدون إلى تشحيم تلك الآلات لئلا تتآكل نتيجة دوران العجلات والعجلات المستننة واحتكاك بعضها ببعض ، ممّا يولّد أصواتاً عند احتكاكها ويفضي ذلك إلى عطب الآلات وتوقفها عن العمل . وهكذا فإنّ هذه العجلات يجب أن تكون مزيتة باستمرار لتعمل جيّداً .

وحين يتحرّك إصبع الإنسان ، أو تتحرك مفاصل الإصبع أو المعصم أو المرفق أو العمود الفقريّ ، أو كلّ مفصل يتحرّك فيه العظامان المتصلان معاً ، فإنّ ذلك المفصل يتزيّت بنحو تلقائيّ بمجرد إرادة الإنسان ومشيهته لتحريك ذلك المفصل ، فتتزيّت أطراف العظام على أفضل صورة . والعجيب أن الإنسان عندما يريد حثو إصبعه فإنّ تلك المادة الزيتيّة اللزجة اللاصقة تترشّح في تلك النقطة المعيّنة ، فإذا أوقف الإصبع أو أوقفت سائر المفاصل عن الحركة ، توقّف معها عمل التزييت .

أفنحن الذين نقوم بهذا العمل ؟! خسننا ! خسننا حقاً !

إننا لو أردنا أن نعمل على آلة ما ، فقد يحدث أن نفقد علبة الشحم أو مادة التزييت فنبحث عنها ساعة هنا وهناك ، ولعلنا لا نعثر عليها في

الأعم الأغلب . فأتى لنا أن نتمكن من ذلك ! ناهيك عن أن نقوم في آن واحد بتزييت أكثر مفاصل العظام أو جميعها . وقد قيل إنَّ بدن الإنسان يحتوي على أربعمئة وستين عظماً ونيّف . وهذه العظام تتزيّت في مواضعها عند الضرورة والحركة .

لماذا تستقرّ هذه العظام في كلّ بدن بلا زيادة أو نقصان ؟ وكلّ واحد منها في موقعه ومكانه ، عظم الجمجمة والمخّ في موضعه ، وعظام الوجه في مواضعها ، وعظام الرقبة ، والعمود الفقريّ كلّ في موضعه ، فلم يحصل أيّ خطأ في هذا الهيكل العظميّ كلّ لدى أفراد البشر جميعهم<sup>١</sup> .

١- وما أجمل الأبيات التي أنشدها الشيخ سعدى في كتاب «بوسستان» بهذا الشأن ،

فقال :

ببین تا یک انگشت از چند بند	به صنع الهی به هم در فکند
پس آشفنگی باشد و ابلهی	که انگشت بر حرف صنعش نهی
تأمل کن از بهر رفتار مرد	که چند استخوان پی زد و وصل کرد
که بی گردش کعب و زانو و پای	نشاید قدم برگرفتن ز جای
از آن سجده بر آدمی سخت نیست	که در صُلب او مهره یک سخت نیست
دو صد مهره بر یکدیگر ساختست	که گل مهره‌ای چون تو پرداختست
رگت بر تنت ای پسندیده خوی	زمینی در او سیصد و شصت جوی
بَصّر در سر و رای و فکر و تمیز	جوارح به دل ، دل به دانش عزیز
بهایم برو اندر افتاده خوار	تو همچون الف بر قدم ها سوار

(«بوسستان» ، ص ٢٠٧ ؛ عن «کلیّات سعدی» طبعة فروغی)

يقول : انظر إلى الإصبع المكوّن من عدّة مفاصل ، فقد خلق الله مفاصلها جنباً إلى

جنب في صنع الهی .

إنّ من الألفن والبلاهة أن يقدح المرء بما خلق الله .

تأمل سير الإنسان ومشيه ، كيف خلقه الله من عدّة عظام وصل بعضها ببعض .

وكيف لا تخطو القدم خطوة دون دوران الكعب والركبة والرجل !

☞

بأني سرعة مذهلة ومحيرة للعقول تتكوّن العظام ؟ يقال إنّ الطفل يلبث تسعة أشهر في بطن أمّه ، فهذه المدة خاصّة بالإنسان ، أمّا بيضة الدجاجة فإنّ هذه التحوّلات والتغيّرات الوجوديّة جميعها تحصل فيها خلال بضع وعشرين يوماً .

وإنّ الأشهر التسعة في بطن الأم قصيرة جداً ، إذ إنّ حركة الجنين في غاية السرعة . فإذا ما شاء هذا التراب أن يتبدّل إنساناً ، فإنّه يتطلّب ملايين السنين من الزمن . وإذا ما أراد هذا التراب بسرعه الذاتية وحركته الجوهرية أن يتحرّك باتجاه صيرورته نطفة ، ثمّ باتجاه صيرورته علقه ، ثمّ مضغة ، ثمّ إنساناً ، لاحتاج إلى ملايين السنين . ولا يمكننا في الواقع أن نوضّح ذلك من منظار العلوم الطبيعّية ، ولكنكم ترون أنّ النطفة في بطن الأم تطوي هذه المراحل البعيدة في تسعة أشهر ، فيولد منها طفل ذو شعر ذهبي فنقول : ( ما أحسن هذا ! لقد رزق الله فلاناً طفلاً ) . لا نزيد على ذلك شيئاً ، ولا نعلم أيّ أسرار وألغاز ، وأيّ عجائب وغرائب ، وأيّ نكات ودقائق قد أودعتها اليد المقتدرة المباركة لأحسن الخالقين في هذا الطفل .

لِنُسَيِّنْ لَكُمْ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى .

إنّ هذه الأمور جميعها هي لمعرفة الإنسان وعلمه ، كي يقترب من الله سبحانه ، ويسلك - بالتفكير والتأمّل والتدبر - طريق الخلوّص والتقرب . إنّ الجنين يستقرّ في موضعه من رحم الأم ، فتنام الأم وتستيقظ ،

وليس عسيراً على الإنسان السجود ، إذ لم يكن في صلبه فقرة متصلّبة واحدة . فقد ركب مائتي فقرة بعضها على بعض ، ليصوغ منها فقرة طينية مثلك . والعروق في بدنك أيّها المغرور ، أشبه بأرض جرت فيها ثلاثمائة وستون ساقية . البصر في الرأس والرأي والفكر والتمييز ، والجوارح في القلب ، والقلب بالعلم عزيز . البهائم ساقطة منحنية ذليلة ، وأنت كحرف الألف سائر على قدميك !

وتتناول طعامها وتتحرك ، وتغتسل وتسير في الظلمة والنور ، وفي الماء وعلى اليابسة ، وتركب إحدى وسائل النقل ، وتجلس في الباخرة أو الطائرة ، لكن رحم الأم يبقى في كل الأحوال كالمهد ، يحتضن الطفل في حجره الحنون . ويهزه أحياناً بينما يحافظ على استحكامه واستقراره ولا يطراً عليه أيّ تزلزل وخلل أبداً . ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً .

ثُمَّ نخرجكم من رحم الأم في هيئة طفل قد نبت شعر رأسه وظهرت أصابعه وأظفاره وخطّ بنانه ، ونمت رموش عينيه . طفل تتلأأ عيناه وتومضان كمصباحين متألّقين ، يبكي ويعلن بكائه جوعه ، وتبحث شفثاه عن الثدي لامتصاص الحليب .

ندفع هذا الطفل باتجاه كماله دائماً ، ونسوقه إلى فعلية درجات القابلية والاستعداد :

ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ .

فنصل بكم إلى مقام إحكامكم واستحكامكم في القوى الظاهرية ، ونبلغ بكم درجة شدة الشباب وقوته وبلوغه والنبوغ في العقل والأحاسيس والنشأة . وكمال قوى التفكير وسائر القوى الباطنية ، وقدرة الهيكل الجسمي وعظمته . وإجمالاً أنكم قد وصلت إلى مراحل فعلية القوى الكامنة لديكم .

وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا .

ثُمَّ إِنَّ البعض منكم يُتَوَفَّونَ قبل أن يصلوا إلى مرحلة الشيخوخة ، والبعض الآخر يردّون إلى أَرْذَلِ العمر والعيش ، فيفقدون قواهم بأجمعها وينتابهم العجز بحيث لا يُبقي لهم أيّ بهجة ونشاط ، ويغلب عليهم النسيان بعد كلّ مراحل العلم والمعرفة ، حتّى كأنّهم لم يعلموا شيئاً أساساً .

وكما يُلَفّ الطفل الرضيع في القماط وينظّف من الأقدار ، فإنّ هنا العجوز الطاعن في السنّ يجب تعاهده وتنظيفه على الدوام . وهكذا فإنّ تلك العظمة والقدرة ، وذلك النشاط والحركة ، وذلك الإحساس والرأفة ، وذلك العقل والكياسة ، وذلك العلم والبصيرة ، سيطوي ملفّه ويودّع وداعاً أبدياً ويرحل ، فلا يبقى منه أيّ أثر .

لقد دُفنت الدراية والذكاء في تراب النسيان دفعةً واحدة ، وعاد المرء لا يميّز يده اليمنى عن اليسرى ، ولا يفرّق بين يوم الجمعة ويوم السبت . لقد كان قبل سنين يستمي نفسه (أعلم العلماء) ويضفي على نفسه ألقاباً فذة تفرد بها على وجه الأرض ، وكان يحفظ في صدره كتباً فلسفية واستدلالية وفقهية . وها هو قد بلغ أمره درجة أنّه إذا خرج إلى مكان ما ، نسي محلّ عودته إلى منزله فيبقى حائراً ؛ وإذا غمس إصبعه في العسل ، فإنّه يضع إصبعه الآخر في فمه فيلعه سهواً .

وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً .

أيّها الناس ! إنكم ترون الأرض هامدة ساكنة لا حراك فيها ، ويايسة لا طراوة فيها ، كأنّها فقدت أيّ أثر للحياة ، وهي تظهر في فصل الشتاء على هيئة ميت لا أثر له ، وعلى هيئة جذور شجرة لا أثر فيها لساق وأوراق وأزهار وثمار . فمن يحتمل - يا ترى - أن تكون فيها حياة جديدة ؟

فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ .

فإذا أنزلنا عليها الماء من السماء اهتزّت وتحركت واكتسبت الحياة ، ونمت فأنبتت من كلّ زوج بهيج من أقسام الأعشاب والأشجار والإنسان والحيوان ، وصارت تفيض جميعها بالبهجة والقوة والنشاط .

الأشجار جميعها خضراء ، ومتحركة . ليس بهذه الحركة الظاهرية ، بل إنّ لها حركة في داخلها وفي جوهرها وكيانيتها . فهي متحركة في الكمّ

والكيف وفي (أين) و(متى) ، وفي ظلّ سائر الأعراض . ومتحرّكة في جوهرها وذاتها مع تغيّرات وتبدّلات سريعة .

ولو وضعنا ورقة شجرة تحت المجاهر القويّة لرأينا أنّ في داخلها خلافاً وفتحات كثيرة ، كالأنهار التي تطفو فيها الأسماك ؛ والموادّ الغذائيّة تتحرّك فيها باستمرار وهي تماثل حركة أشياء طافية داخل هذه الأنهار . وهذه الورقة متحرّكة على الدوام<sup>١</sup> .

إنّنا ننظر إلى هذه الأوراق نظراً ساذجاً عابراً ، وقد نقطفها حين نريد تناول العنب والتوت وأمثالها ، فنضع هذه الأوراق في إناء ونضع عليها العنب والتوت مثلاً ؛ إلّا أنّنا لا نعلم ماذا في هذه الأوراق . إنّ الأشجار جميعها متحرّكة في ذاتها ، جذورها ، وجذوعها ، وسياقها وفروعها وأوراقها . الخلايا جميعها في حركة ، وهي ذات قوّة لتناول الغذاء وللنموّ والهضم والإفراز ، وتميّز بين العدوّ والصديق ، وهي في صدد كسب المنافع لنفسها ودفع الضرر عنها ما وسعها ذلك . ثمّ إنّ كلّ ورقة شجرة لا تفقد خواصّها

١- يقول الشيخ سعدي الشيرازي في («بوستان» ص ٤٠٧ ، نقلاً عن «كليات سعدي» طبعة فروغي) :

شيوه نرگس ببین نزد بنفسه نشین      سوسن رعنا گزین زرد شقایق بیار  
خیز و غنیمت شمار جنبش باد ربیع      ناله موزون مرغ بوی خوش لاله زار  
هر گُل و برگ که هست یاد خدا می کند      بلبل و قمری چه خواند یاد خداوندگار  
برگ درختان سبز پیش خداوند هوش      هر ورقی دفترست معرفت کردگار  
يقول : انظر طبع زهرة النرجس ، واجلس عند زهرة البنفسج ، واختر السوسن الجذابة ، وهات الشقائق الصفراء .

انهض واغتنم هبوب نسيم الربيع ، وحنين الطيور الموزون ، وعطر روضة الورد .  
كلّ وردة وورقة موجودة تذكر الله ؛ وما شدا البلبل والقمرى كان ذكراً للخالق .  
وكلّ ورقة شجرة خضراء عند أولى الألباب ، هي دفتر لمعرفة الخالق المتعال .

الأولية ، بل تحتفظ بها باستمرار ، وتحافظ على وجودها ولا تختلط بخواص سائر الأوراق المزروعة في مزرعة ما . فمن ذا الذي صنع ذلك ؟ من الذي خلق هذه الحياة من الأرض الميتة الهامدة الجامدة الصامتة ؟ أيّ رسّام أبدع هذه اللوحة المدهشة لرياض الأزهار والأوراد ؟ من الذي برأ الإنسان والحيوان من هذه الأرض الميتة ؟ من خلق الطاووس الجميل ؟ من أنشأ الزاغ والغراب الأسود ؟ من ذرأ العصفور والصقر ؟ من أوجد البعوضة والفيل ؟ ومن وضع غصن الورد وشجرة الدُّلب وشجرة الصفصاف ؟

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اعلموا ، ولا تسقطوا إنسانيتكم بإسدال ستار الغفلة على فهمكم ودرايتكم ، أن الله قد فعل ذلك ، وأنها جميعها معتمدة على الله وقائمة بذاته سبحانه وتعالى .

ولقد كانت هذه الأمثلة التي أوردناها ، والنماذج التي فصلناها من أجل أن تعلموا أنه هُوَ الْحَقُّ ، وأنه يُحْيِي الموتى بهذه الطريقة والكيفية وبمتمهي السهولة واليسر ، وأنه على كل شيء قدير .

فما الذي يعنيه إنماء الورد من الطين والتراب ؟ وما الذي يعنيه خلق البلبل من التراب والرمل والطين ؟ وما الذي يعنيه بث التغايد الفتانة في البلبل ؟ وما الذي يعنيه إيجاد الحماس والإحساسات ؟ وما الذي يعنيه العشق والجذبة والمناجاة ؟

اين همه نقشِ عجب بر در و دیوار وجود

هر کجہ فکرت نکند نقش بود بر دیوار<sup>١</sup>

١- يقول: كل هذه الرسوم العجيبة مبثوثة في أرجاء الوجود ، فمن لم يعمل فكره ⇨



في تفسير الآية : ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى

المجلس ٣٣

يأتي البرد القارس فيهدد الأرض في فصل الشتاء ، ويسقط الثلج فيجعلها مكتتبة ، وتعصف الرياح الباردة القاسية اللاذعة من كل صوب وحذب (مع أنها من آيات الله الكبرى أيضاً وهي لا تختلف عن تلك الوردة والبلبل حقاً) ، أما في فصل الربيع فتخضر الروضة ، وتنمو الأوراد والأزهار ، وتعبق العطور والنسائم المنعشة المبهجة للرياحين والورود من كل جهة ، وماذا تفعل البلابل وطيور الكناري والبيغاوات ؟

ومن الذي صنع هذا كله ؟

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى .

إنَّ الله سبحانه يُحيي الموتى باستمرار ، وهذه الأمور هي دوماً خلج ولبس ، وموت وحياة ، فظهور الثلج والمطر والبرد اللاذع القارس ، وذراً الأوراد والبلابل والرياض والمروج هي بأجمعها إحياء للموتى . وليس إحياء الإنسان وبعثه من القبور شيئاً غير هذا ، بل إنه جزء من أجزاء هذا القانون والناموس العام والقدرة اللامتناهية .

وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

أفتشكون في حياتكم أنتم ؟ أليست هذه حياة ؟ ألم تكن هذه ميتة فأحيها الله ؟ ألم يكن ميتاً ذلك الإنسان الذي كان نطفة أو تراباً بلا حس ولا حركة ؟ فلا تدعوا تلك النطفة إنساناً أصلاً ! إذ إنها لم تكن شيئاً ، بل كانت عدماً ، كانت عدماً محضاً . ثم إنَّ الله جاء بالإنسان من كتم العدم إلى الوجود . وهذه البلابل وطيور الكناري ، وهذه الحيوانات ذوات الإحساس والشعور التي لم تكن موجودة ، كانت ميتة وعدماً أيضاً .

وهذه الأوراق والسيقان والأشجار ، وهذه المياه والثمار والنسائم ،

فيها كان كالرسم على الجدار .

كانت كتبها ميتة، وهكذا الأمر في الأرض التي كانت ميتة هامة كئيبة. فمن  
الذي نفتح في هذه الأرض؟ وأي قدرة وعلم وتدير وحكمة كوّنت هذه  
المنظر، بحيث بُعثت الأرض ومحتوياتها فاكستبت حياة جديدة،  
وتحركات بفعالية، فظهر في كل شبر منها آلاف مؤلفة من  
الحياة، وتحركات آلاف الموجودات الحية وفق نظام صحيح للبدء  
وبرنامج معين ومشخص للموت والحياة والسير الواضح المعلوم،  
من القابلية إلى الفعلية، من الاستعداد إلى الكمال، بلا تفاوت  
وإلا اختلاف، وتحركات كل بعوضة وذبابة نحو كمالها أيضاً بإتقان وكمال  
جند.

يسار بسی پرده از در و دیوار در تجلی است یا اولی الأبصار  
نسمع جوئی و آفتاب بلند روز بس روشن و تو در شب تار  
گسّر ز ظلمات خود رهی بینی همه عالم مشارق الأنوار  
کوروش قائد و عصا طلبی بهر این راه روشن و هموار  
چشم بگشا به گلستان و ببین جلوه آب صاف در گُل و خار  
ز آب بیرنگ صدهزاران رنگ لاله و گل نگر در آن گلزار

١- من جملة أشعار السيّد أحمد هاتف الإصبهانيّ، نُقلت من «ديوان هاتف».  
يقول: إنّ الحبيبَ السافر يا أولي الألباب في تجلّي.  
أتشدّد الشمع والشمس في وسط السماء؟! إنّ ضوء النهار شديد وأنت في ليلٍ بهيم!  
فإن وجدت خلاصاً من ظلماتك، لرأيت العالم كلّ مشارق الأنوار.  
أفتطلب عصاً ودليلاً كالعميان، لتسير في هذا الدرب المضاء الرحب؟!  
افتح عينيك وتطلّع إلى البستان، وانظر تجلّي الماء الصافي في الورد والأشواك!  
وانظر في تلك الروضة مئات الآلاف من ألوان أوراد الشقائق والأزهار، من ماءٍ لا لونَ

له!

پا به راه طلب نه از ره عشق      بهر این راه توشه‌ای بردار  
 شود آسان ز عشق کاری چند      که بود نزد عقل بس دشوار  
 یار گو بالغدوّ والآصال      یار جو بالعشیّ والإبکار  
 صد رَهَت لَنْ تَرانی ارگوید      باز می‌دار دیده بر دیوار  
 تا به جانی رسی که می نرسد      پای اوهام و پایۀ افکار  
 بار یابی به محفلی کانجا      جبرئیل امین ندارد بار  
 این ره آن زاد راه آن منزل      مردِ راهی اگر بیا و بیار  
 ور نه ای مردِ راه چون دگران      یار می‌گوی و پشت سر میخار  
 هاتف ارباب معرفت که گهی      مست خوانندشان و گه هشیار  
 از می و بزم و ساقی و مطرب      وز مُغ و دیر و شاهد و زُنّار  
 قصد ایشان نهفته اسراریست      که به ایما کنند گاه اظهار<sup>۱</sup>

۱- فضع على طريق الطلب قدمك بواسطة العشق ، وتزوّد لهذا الطريق زاداً .  
 فطالما تيسّر بالعشق عملٌ كان شاقّاً عسيراً على العقل .  
 وناد الحبيب بالغدوّ والآصال ، واطلب الحبيب بالعشيّ والإبكار .  
 فإن قال في دريك مائة مرّة (لَنْ تَراني) ، فاحبس البصر على الجدار .  
 حتّى تصل إلى حيث لم تصل قدم الأوّهام ، ولا أساس الأفكار .  
 وحتّى يؤدّن لك بالتشرف في محفلٍ لم يكن لجبرئيل الأمين إذن لوروده .  
 هذا هو الدرب ، وذاك الزاد ، وذاك المنزل والهدف ، فإن كنت سالكاً فهلّم .  
 وإن لم تكن سالكاً (درب التوحيد) كالأخرين ، تتشّدّق باسم الحبيب وتكرع الكأس في السرّ .  
 يا هاتف (وهو اسم الشاعر) إنّ أصحاب المعرفة يُدعّون ثمالی طوراً وصاحين طوراً آخر .  
 إنّ قصدهم من الخمر والحفل والساقى والمطرب ، ومن المجوسيّ (كناية عن العارف ووليّ الحقّ) والدير والشاهد والزُنّار .

پی بری که به رازشان دانی که همینست سِرِّ آن اسرار  
که یکی هست و هیچ نیست جز او وَخُدَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ<sup>١</sup>  
بلی ، يتصاعد هنا تلقائياً من فم كل عبد موحد نداء :  
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ .

فحصر الحقائق في الذات المقدسة لله تعالى شأنه دليل على حصر  
الصفات والأسماء فيه جميعها سبحانه . إنَّ الإنسان يتصور أنَّه يمتلك وحده  
هدفاً ومسيراً ، لكنَّ الأمر ليس كذلك .  
توحيد گوئی او نه بنی آدمند و بس

هو بلبلی که زمزمه بر شاخسار کرد<sup>٢</sup>  
وهكذا فإنَّ لكلَّ ذبابة هدفاً ، ولكلَّ بعوضة هدفاً ، فهذا البعوض الذي  
يحطُّ على الورد له هدف ومقصد وآمال ، وله تناكح وتناسل ، وله زوجة  
وأولاد ، وله عشق ومناجاة ، وله مسير ، وله حياة وموت وله معبود  
وعبادة .

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا  
فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ<sup>٣</sup>  
إنَّ هذه الموجودات جميعها لها أثر وخاصية ، في وجودها على  
أساس من المصلحة والحكمة .

١- يقول : أسرار خفيّة يُشيرون إليها تارة ، ويُظهرونها تارة أخرى ؛ فإن أدركت سرهم  
حيناً علمت أنَّه سرّ تلکم الأسرار .

وأنَّه واحد ليس شيء عداه ، وهو وحده لا إله إلا هو .

٢- يقول : إنَّ القول بالتوحيد لا يقوله بنو آدم وحدهم ، بل يقوله كلُّ بلبل مغرّد على  
الفن .

٣- الآية ٣٨ ، من السورة ٦ : الأنعام .

أرأيتم العنب الياقوتي ؟ إنّ حبّاته مهما تراصّت فإنّ هناك حشرة صغيرة تتحرّك على هذه الحبّات وتنفذ أحياناً إلى داخل العنقود ، ونحن نسمّي هذه الحشرة حشرة الدعسوقة (الرقاء) ، وهي حشرة صغيرة ذات أجنحة حمراء منقّطة بنقط سوداء ، ومن الطبيعيّ أن لا شأن لهذه الحشرة بالعنب الياقوتيّ فحسب ، بل إنّها موجودة على غالب الخضراوات والاسباناخ والأعناب الأخرى ، لكنّها تكثر على العنب الياقوتيّ خاصّة وتحبّ الدخول بين حبّاته . وهي حشرة سامّة يُقال إنّ أكلها خطر ، ولو أنّ الإنسان أكل منها اثنتين لمات .

ذهبتُ ذات ليلة أيام صباي مع المرحوم والدي إلى مجمع علميّ كان قد دُعي إليه . فجرى الحديث حول هذا الموضوع هناك ، وقيل إنّ الكتب العلميّة ذكرت بأنّ هذه الحشرة سامّة يكفي اثنتان منها لإهلاك الإنسان ، وقيل خاصّة أنّ على الإنسان أن يتناول العنب الياقوتيّ حبّة حبّة لئلا تؤكل معه حشرة الدعسوقة المختفية في طيّاته .

فخطر في ذهني سؤال حول الحكمة من خلق الله تعالى هذا الكائن السامّ ، وجعله في مكان حسّاس كهذا ، ليؤدّي بالنتيجة إلى موت الإنسان ، أو ليختفي في الخضراوات والاسباناخ فيسبب الخطر ، ثمّ تبين لي في أيام شبابي بعد البحث والتدقيق أنّ هذه الحشرة ليست من جنس الحشرات السامّة .

ولقد خلقها الله سبحانه لدفع السموم عن النباتات ، وأنشأها للقضاء على المكروبات ، وهي في حركة دائبة دائمة فوق حبّات العنب وفوق سيقان الخضراوات ، تصعد من الأسفل إلى الأعلى ، وتهبط من الأعلى إلى الأسفل ، فتلتهم كلّ حشرة وموجود مجهريّ فوقها ؛ ويصبح بدنها نتيجة ذلك محلاً لتجمّع السموم . فهي تقوم بتعقيم العنب والخضراوات لنا ،

وتقضي على المكروبات الموجودة فيها .

نحن نرقد في الليل براحة تامة ، لكن هذه الحشرة يقطعة تحرس سيقان الاسباناخ والكراث والحلبة والبقدونس ، وتلتهم السموم وتنقي النبات وتسلمنا إياه معقماً .

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ١ .

وقد رأيتُ في بعض المزارع أنّ الفلاحين لا يقتلون هذه الحشرة ويقولون إنها مفيدة لدفع الآفات .

إذن ، لهذه الحشرة وظيفة تؤدّيها ، فهي تكثر في النباتات التي تكثر سمومها ، وهكذا فإننا نرقد وترقدون في الليل ، ثم نذهب صباحاً إلى دكان بائع الخضراوات لشراء الخضراوات والعنب الياقوتي ، فنجد أنّ حشرة الدعسوقة قد قامت في الليلة السابقة بتعقيم هذه الخضراوات وهذا العنب من وجود البكتريا والمكروبات .

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ .

إنّ كلّ من يرقد في جوف الليل ثمّ يستيقظ صباحاً فقد كان له موت وحياة ، لا شك في هذا الأمر ، موت وبعث جديد ، ولا أعجب من النوم والاستيقاظ ولا أغرب منهما . إنّنا نواجه طوال يومنا ملايين العجائب والغرائب التي يصل كلّ منها إلى حدّ الإعجاز ، حتّى أنّ كلامنا هذا واستماعكم وإدراككم كلّ ذلك معجزة ، فنزول المطالب والمعاني من صقع النفس وعالم الذهن إلى عالم الألفاظ معجزة ، وصعود الألفاظ بواسطة الاستماع إلى عالم المعنى في الذهن ، ثمّ إلى جهة النفس معجزة أيضاً . وهناك الآلاف من هذه المعجزات تحصل كلّ آن ، إلّا أنّنا لا نعدّها معجزة

١- الفقرة الأخيرة للآية ١٤ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

أصلاً .

إنّ الدم الذي يجري في أبداننا يقوم بوظيفته في تبديل وتحليل ما يتحلّل من ذرّات كلّ نقطة بما يتناسب معها هو معجزة ، والحركة الدائمة للقلب دون لحظة واحدة من فتور وتوقف معجزة ، وعمل الكلية وهذا الجهاز المعقّد والمختبر السيّار معجزة . وعمل المخّ معجزة ، وكلّ خلية مشغولة بعملها وفق الأمر الإلهيّ في عدم تغيّرها وكيفيّتها ، وهذا بحدّ ذاته قصّة عجيبة ومعجزة .

وهذا الهواء ، وهذا الفضاء ، وهذا الماء ، وهذا النبات ، وهذه الشجرة ، وهذا الحيوان ، وهذا الإنسان ، كلّ أولئك معجزة ؛ غاية الأمر أننا نرى هذه الحوادث يومياً ، لذا صرنا ننظر إليها نظراً عابراً عادياً ، فالمشابهات قد تخطّت لدينا أمر العجب والغرابة ، أمّا لو حصل شيء ما خلافاً للمعتاد ، وليس له شبيه ، لعدّدناه معجزة ولأدعّنا آنذاك واعترفنا بقدرة الله تعالى . وهذا الأمر ناشئ من استغراب الأمور غير الواقعة والنوادر من الوقائع والحوادث ، لا من حيث تعلّق قدرة الله بالأمور غير العادية . فقدّرتة سبحانه لا تتفاوت بالنسبة إلى الأمور العادية وغير العادية .

ولكن إذا زرّعنا بذرة في الأرض وسقيناها بالماء ، وأشرق عليها الشمس فتفتّحت وصار القسم الأسفل منها جذراً والأعلى ساقاً وأوراقاً لما أوليناها أدنى اهتمام ، ولاعتبرنا ذلك أمراً اعتيادياً ، ولما عدّدنا ذلك من المقدورات بقدرة الله عزّ وجلّ ، ولما جلسنا عند هذا النبات والورد للتدبّر والتفكّر والمشاهدة لساعة ، ولما تأملنا هذه المعجزات بحذافيرها بحيث نرى فيها تجلّيات ذات الحقّ نصب أعيننا ، لذا فإنّنا نستخطّها بنظر عابر ساذج .

نحن نمزّ على مزرعة الحنطة التي تُعدّ كلّ بذرة فيها معجزة ،

فنتجاوزها بلا اهتمام ، إذ لا نأخذ منها العبر ، أما لو فرضنا أننا بذرنا بذرة في الأرض فنمت معكوسة ، بحيث امتدت ساقها وأوراقها وأزهارها وثمارها إلى الأسفل في داخل الأرض ، وارتفع جذرها من الأرض إلى الأعلى ، لصرخنا فوراً: لقد حدثت معجزة ، لقد حدث شيء مخالف للعادة ! وهكذا نقوم بنشر هذا الخبر في وسائل الإعلام ، فيهجم المراسلون والمصورون من أطراف العالم وأكنافه يتساءلون عن الخبر ، لقد ارتفع الجذر إلى الأعلى واتجه الساق إلى الأسفل .

ما الخبر ، لقد وُلد إنسان له رأسان وأربع أيدي !

هل هو أعجب من هذا الإنسان العادي ؟ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً . كم من العجائب والغرائب في هذا الطفل ذي الشعر الذهبي الذي يولد من رحم أمه ؟

انظر إلى تفاحة واحدة تشتريها من بائع الفواكه «مشهدي حسن» فتأكلها ، كم هي مشحونة بالعجائب ؟ إنَّ ليلنا ونهارنا عجائب ، ولقد أحاطت بنا المعجزات والعجائب من كل صوب ، فنحن نواجه كل لحظة آلاف العجائب ، ونلتقي بآلاف المظاهر من علم الله المتعال وقدرته فلا نأبه لأتْي منها ؛ فإذا وجدنا في زاوية ما شيئاً مخالفاً للمعتاد اجتمعنا حوله فصرنا نتحدث عن قدرة الله سبحانه . وهو أمر يرجع إلى قصور فكر الإنسان ، وإلا فإنَّ أحداً لو أراد حقاً البحث عن قدرة الله ومشاهدة تلك القدرة عياناً ، فإنَّ العالم جميعه وكل واحد من ظواهره وموجوداته قدرة الله سبحانه . العالم برمته قدرة ، وعلم ، وحكمة . أين نذهب فيكون ذلك المكان خارج علمه وقدرته وحكمته ، ثم نريد أن نعثر عليه هناك ؟! أين المكان الذي لا علم فيه ؟ وأين المكان الذي لا قدرة فيه ؟ وأين المكان الذي لا حياة فيه ، لنذهب هناك ونعثر على الله سبحانه ؟! نحن نرى هذه



الأُمُور في حياتنا اليومية ولا نعجب ، ثم نقول حينئذٍ : أنسى يُحيى الله الميّت ؟ هنا تتعثر خطى الإنسان فيعترض آلاف الاعتراضات على قدرة الله ، ويؤلف المادّيون الكتب ، ويُنكر الدهريّون ، ويُثيرون الصخب والضجيج ، وينفخون في النفير . أن : كيف يبعث الله ميّتاً تلاشى تحت الأرض ، وعظماً صارت رميماً ورماداً ؟ .

علماً أن الإشكالات التي يثيرها المادّيون هذه الأيام ليست بالشيء الجديد ، بل هي نفس الاستبعاد الذي كان المادّيون يتذرّعون به قبل عدّة آلاف من السنين .

وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ \* قُلْ يَتَوَفَّنَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ١ .

لقد تلاشت أبدانكم تحت الأرض ، لكنّ حقيقتكم لم تتلاش بعدُ ، ولقد كانت لكم أطوار معيّنة : كنتم تراباً ، فصرتم نطفة ، ثم علقة ، ثم مُضْغَة ، ثم عظماً ، ثم أنشئتم خلقاً آخر واكتسبتم قوّة النطق وروح الإنسانيّة فخرجتم طفلاً ، ثم وصلتم إلى مقام القدرة والشدّة وحزتم حدّ النصاب . وها أنتم قد انتقلتم من الدنيا إلى البرزخ ، فصار بدنكم تحت الأرض ، لكنّ وجودكم لم يذهب ولن يذهب تحت الأرض . لأنّ ملك الموت يقبض وجودكم وحقيقتكم ، فيُيقونكم في البرزخ . وحين تقوم القيامة يُجمع بين الروح والبدن ويؤلف بينهما ، فتحضرون بأجسامكم هذه في القيامة .

إنّ عود الروح إلى البدن أيسر على الله من شربنا الماء ، وينبغي ألا

١- الآيتان ١٠ و ١١ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

نعدّ هذا العمل غريباً ممتنعاً ونحن نشاهد قدرة الله وعظمة ذاته القدسيّة  
اللا محدودة واللامتناهية ، وألّا يُعدّ محالاً بمجرد الاستبعاد ، وسنبيّن  
إن شاء الله تعالى فيما بعد كيف يكون إحياء الموتى أيسر من شرب الماء .  
إنّ هذا الإنسان الميت يُبعث : ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (تتمّة الآيات مورد  
البحث) .

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ<sup>١</sup>

نحن ملك مطلق لله تعالى ، وسنعود إليه لا محالة .

از جمادی مُردم و نامی شدم و ز نما مُردم به حیوان سر زدم  
مُردم از حیوانی و آدم شدم پس چه ترسم کی ز مردن کم شدم  
حمله دیگر بمیرم از بشر تا برآرم از ملائک بال و پر  
و ز مَلَك هم بایدم جستن ز جو کَلّ شئی هَالِك إِلَّا وَجْهَهُ  
بار دیگر از مَلَك قربان شوم آنچه اندر وَهْم ناید آن شوم  
پس عدم گردم چون ارغنون گویدم : إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ<sup>٢</sup>  
إنّ الإنسان لن یقرّ قراره ما لم یصل إلى موطنه الأصليّ ، وموطن  
الإنسان حرم الله تعالى ، فهناك محلّ استقرار القلب وهدوئه . ولقد قدم

١- النصف الثاني للآية ١٥٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- «مثنوی» طبعة میرخانی ، المجلّد الثالث ، ص ٣٠٠ .

یقول : مُتُّ من الجماد وصرت اسماً ، ثُمَّ مُتُّ من النّموّ فصرت حیواناً .

ثُمَّ مُتُّ من الحيوانیّة فصرت بشراً ، فَلِمَ الخوف - إذن - من النقصان بالموت ؟

إنّ هی إِلَّا هجمة أخرى لأموت من الآدمیّة ، فأخذ من الملائكة ریشاً وجناحاً !

ثُمَّ إِنَّ عَلَيَّ أَنْ أَقْفَزَ مِنَ الْمَلَك ، إِذْ : کَلّ شئی هَالِك إِلَّا وَجْهَهُ .

عَلَيَّ أَنْ أَضْحِي مَرَّةً أُخَرى من مرحلة الْمَلَك ، لأصبح ما لا یناله الوهم والخیال .

فلاکُن عدماً ، عدماً کالآرغن ، قائلاً : إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

الإنسان إلى الدنيا للكسب والعمل وتحصيل زاد المعرفة ، ثم إن عليه الرجوع . وعليه العودة بثروة وخلّاق .

دلا تاکی در این چرخ مجازی

کنی مانند طفلان خاک بازی

توئی آن دست پرور مرغ گستاخ

که بودت آشیان بیرون از این خاک

چرا از آن آشتیان بیگانه گشتی

چو دونان مرغ این ویرانه گشتی

بیفشان بال و پر ز آمیزش خاک

بپر تا کنگره ایوان افلاک<sup>۱</sup>

خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ<sup>۲</sup>.

إنّ الإنسان لا يفنى مبدئياً ، وليس للعدم المحض سبيل إليه . فالموت والبعث خلُق ولبس ، والحركة إلى البرزخ إلى القيامة هي المسير الكمالی للإنسان وصعوده إلى الله المتعال ، وهي قابلية الحضور في محضر العلم والقدرة والحياة اللامتناهية . فالموت - إذن - هو كمال الإنسان لا فتوره وضعفه ونقصانه .

۱- يقول : إلى متى تلهو - أيها القلب - في هذه العجلة المجازية كطفل يلهو بالتراب ؟

أنت أيها الطائر المروض الجسور الذي كان عشّه خارج هذا التراب .

لَمْ صرْتَ غريباً عن عشك ذاك ، و صرت طائر هذه الخربة كالسفلة ؟

فانشر جناحك عن مازجة التراب ، و حلّق إلى شرفات أيوان الأفلاك !

۲- رسالة مخطوطة في المعاد باسم «الإنسان بعد الدنيا» تأليف العلامة الطباطبائي ،

ص ۲ ، وقد نقله عن المرحوم الصدوق وغيره ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه قال :

مَا خُلِقْتُمْ لِلْفَنَاءِ بَلْ خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ وَإِنَّمَا تَنْقَلِبُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ .

وما أروع الأبيات التي أنشدتها الإمام سيد الشهداء عليه السلام في الموت إذ قال :

لَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً  
فَدَارُ ثَوَابِ اللَّهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ  
وَإِنْ كَانَتْ الْأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ تُنْشَأَتْ  
فَقَتْلُ امْرِئٍ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ  
وَإِنْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ شَيْئًا مُقَدَّرًا  
فَقِلَّةُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي الرِّزْقِ أَجْمَلُ  
وَإِنْ كَانَتْ الْأَمْوَالُ لِلتَّرَكِّ جَمْعُهَا  
فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الْمَرْءُ يَبْخَلُ<sup>١</sup>

١- «إحقاق الحق» الملحقات ، ج ١١ ، ص ٦٣٧ ، نقله عن أبي الفداء في «البداية والنهاية» (ج ٨ ، ص ٢٠٩ طبعة القاهرة) ؛ وكذلك عن أبي الفداء في كتاب «أهل البيت» (ص ٤٤٠ ، طبعة القاهرة) . وأورده في هذا الكتاب بلفظ :  
(فَقِلَّةُ حِرْصِ الْمَرْءِ فِي السَّعْيِ أَجْمَلُ) بدلاً من (فَقِلَّةُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي الرِّزْقِ أَجْمَلُ) .

لِلْجُلُوسِ الرَّابِعِ وَالثَّلَاثُونَ

إِنْكَارَ الطَّيِّعِينَ لِأَمْرِ الْمَعَادِ لَا يَسْتَنْدِ  
عَلَى أُسُسٍ عَلَيْهِمْ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم  
وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين  
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :  
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ  
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ  
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ \* لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ \* وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا  
مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ١  
إنّ استدلال المادّيين والدهريّين على عدم وجود المعاد لا يرتكز  
على مسألة علميّة ، ولا يتجاوز مجرد الاستبعاد كما سلف .

إنّ قولهم هو : كيف يحيى الله الموتى ويخلق عليهم رداء الوجود بعد  
العدم ؟

إذ إنّ هذا الأمر أمر بعيد لا يوافق العقول - بزعمهم - والشبهات التي  
يشيرونها غير مبنيّة على مقدّمات علميّة وبراهين منطقيّة . ذلك أنّ من  
الجليّ والمبرهن عليه في علم المنطق والميزان أنّ مقدّمات الاستنتاج في

---

١- الآيات ٣ إلى ٥ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

المسائل اليقينية للعلوم يجب أن تكون يقينية أيضاً .

ولكي يمكن للإنسان أن يحصل على نتيجة يقينية من مقدمات الاستدلال ، فإن جميع المقدمات الواردة في تلك المسألة ينبغي أن تكون يقينية . وحينئذٍ فإن ذلك الاستدلال يُسمى القياس والبرهان ، وتُجعل نتيجته مبدأً ثابتاً يُستفاد منه ويُستدلُّ ويُستشهد به في العلوم ، وتُبنى سائر المسائل العلمية عليه .

أما لو لم تكن مقدمات مسألة ما أو إحداها يقينية ، بل كانت مبتنية على أساس الخرص والتخمين من الظنّيات والشكّيات والوهميات ، فإن تلك النتيجة لن تصبح نتيجة البرهان والقياس .

وهكذا فإن المقدمات التي يقيمها الطبيعيون لإثبات عدم وجود المعاد لا تتعدى كونها نوعاً من المقدمات التخيلية والشعرية ، لذا فإنها ليست مسألة برهانية ، بل مسألة شعرية أو خطابية لا قيمة لها في العلوم . إن القياس والبرهان يجب أن يتألف من إحدى المقدمات اليقينية الست ، وهي : الأوليات ، المشاهدات ، الفطريات ، التجريبات ، المتواترات والحدسيات ؛ وإلا فإن النتيجة ستكون تابعة لأخس المقدمتين ، وستكون بالمآل وهمية أو ظنّية ، ولن تجد لنفسها موضعاً في الكتب العلمية . وقد أُشير في القرآن الكريم إلى إنكار منكري المعاد بوصفه مسألة ظنّية :

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ<sup>١</sup>

كما يعدّ القرآن الكريم في كثيرٍ من آياته اتّباع الإنسان منوطاً بالعلم

١- الآية ٢٤ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .



واليقين فحسب وينهى بقوة عن اقتفاء الأمور المشكوكة والمظنونة ،  
فيقول :

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ  
كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا<sup>١</sup>.

وَأَنْ تُطِيعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا  
الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ<sup>٢</sup>.

إن آذان أهل جهنم وعيونهم وجلودهم تشهد على أعمالهم ،  
فيعرضون على شهادة جلودهم فتجيبهم : لقد أنطقنا الله الذي أنطق كل  
شيء . فيخاطبهم الله تعالى :

وَمَا كُنتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا  
جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ \* وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ  
الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ<sup>٣</sup>.  
وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا  
السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ<sup>٤</sup>.

وهو خطاب للكفار الذين يذهبون يوم القيامة إلى جهنم .  
وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
بِمَا يَفْعَلُونَ<sup>٥</sup>.

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ

١- الآية ٣٦ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٢- الآية ١١٦ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٣- الآيتان ٢٢ و ٢٣ ، من السورة ٤١ : فصلت .

٤- الآية ٣٢ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .

٥- الآية ٣٦ ، من السورة ١٠ : يونس .

سُلْطَنَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ١.

وكان الخطاب في هذه الآية للمشركين الذين كانوا يعبدون اللات والعزى وأشباههما من الأصنام.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى \* وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ٢.

والعجيب أن الله سبحانه أمر بعد هذه الآية بالإعراض تماماً عن الذين تصوّروا أن غاية علمهم هي الوصول إلى الماديات وإشباع الغرائز الجنسية والعيش الدنيوي، فأعرضوا بذلك عن ذكر الله سبحانه.

فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى ٣.

والخلاصة أن الآيات القرآنية تُجمع على لزوم العلم واليقين، وعلى عدم جواز اتباع الظن والحدس، سواءً في العقيدة أم في الأفكار، أو في العمل والسلوك.

إن الماديين والدهريين لا يمتلكون دليلاً على عدم الإمكان الذاتي للقيامة أو عدم إمكان وقوعها، فالذريعة التي يتوسّلون بها في الكتب والمباحث لا تعدو الاستبعاد ونسج المطالب الشعريّة والخطابيّة. وبشكل عام فإنهم قد تخطّوا بنظر ساذج جميع هذه الآيات الأنفسية والآفاقية الإلهية التي ملأت السماء والأرض، فلم يعتبروا بها ولم يتفكّروا فيها. فلم تكن

١- الآية ٢٣، من السورة ٥٣: النجم.

٢- الآيتان ٢٧ و ٢٨، من السورة ٥٣: النجم.

٣- الآيتان ٢٩ و ٣٠، من السورة ٥٣: النجم.

هذه الآيات العريضة الطويلة التي طبقت الأرجاء - عندهم - إلا آلة للهو واللعب .

وَكَايِّنَ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ.<sup>١</sup>

كم من آية في السماوات والأرض لتوحيد الله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وآيات القيامة ونظائرها من الموت والحياة والخلع واللبس وغيرها يمرّون عليها فيضربون عنها صفحاً !

ومن هنا فإنّ أساس قبول الآيات القرآنية ونيل الحقائق والأُمور الواقعية يتمثّل في حالة إذعان القلب وتسليمه ، وعدم التجبّر والاستكبار الباطنيّ والتحصّن والتخندق مقابل الحقّ تعالى ، فهذا الانقياد وسلامة القلب يجعلان الأدلة والبراهين العلمية والآيات الوجدانية الإلهية تستقرّ على أرضية الذهن والنفس ؛ وإلا فإنّ الأدلة والبراهين الفلسفية والآيات الإلهية جميعها ستكون بلا نتيجة وأثر للشخص المعاند والمنكر .

وعلى هذا الأساس ، وكما ورد في سورة الأحقاف ، فإنّه حين نفر من الجنّ طائفة إلى رسول الإسلام واستمعوا للقرآن ، فإنّهم أذعنوا واعترفوا وأسلموا ، وما أن عادوا إلى قومهم حتّى دعوهم إلى قرآنٍ جاء بعد كتاب موسى مصدّقاً للكتب السماوية الأخرى وهادياً إلى الحقّ والصراط المستقيم ، وقالوا لهم : أجبوا داعي الله هذا ، وصدّقوا برسالة رسول الله هذه وآمنوا بها . ذلك أنّ من لا يُجب دعوته من صميم قلبه فلن يكون له في الأرض ولي ولا نصير ، وسيلحقه الذلّ والصغار وينغمس في الضلال المبين .

١- الآية ١٠٥ ، من السورة ١٢ : يوسف .

يَقُولُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَعْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِكُمْ  
مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ  
لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١.  
ثم إن أولئك النفر المسلمين من الجن يقولون لقومهم عن المعاد  
ويوم القيامة :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ  
بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢.  
وقد جاء في آيات قرآنية كريمة جمّة أن كثيراً من الأمم السابقة  
لم تؤمن بالرغم من مشاهدة البرهان والمعجزة اللذين عرضهما أنبياءهم ،  
وأنّ حس الغرور والعجب لديهم كان مانعاً من قبول الحق والإذعان لواقع  
الأمر .

وهكذا كان الأمر بالنسبة إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، فإن  
أشراف قريش وأعيانهم لم يؤمنوا بسبب تكبرهم ونخوتهم مع أنهم كانوا  
أناساً أذكياء ذوي فطنة يُعَدُّون من ذُهاة العرب . ولقد كانوا يرون من  
رسول الله الآيات البينات والمعجزات الواضحة غير القابلة للتأويل ، إلا أنّ  
الاستكبار والتعالي - مع ذلك كلّهُ - كان يُغلق أمامهم الطريق إلى الحق ، لأنّ  
نفوسهم لم تكن تسمح لهم أن يخضعوا لمحمد صلى الله عليه وآله الذي  
كان بلا ثروة ولا سلطان ولا جاه ولا اعتبار دنيوي ، فالدهاء والكياسة  
لا ينفعان في هذا الموضع ، والذكاء والفكر المتين لا طائل فيهما هنا ؛ بل إنّ  
ما يلزم المرء هنا هو الطهارة والنزاهة وصفاء القلب . فإن كان القلب مدّساً

١- الآيتان ٣١ و ٣٢ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

٢- الآية ٣٣ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

قدراً ، جعل آلافاً من الأفكار المتينة الصائبة هباءً منثوراً وأسلمها إلى طوفان الفناء ، وصيّرها أشبه بالحشائش المتقصّفة والتراب الذي تذروه الريح ، وأحرق ما ينبته حقل الذهن واستأصله كما تحرق النار العشب فتجعله هشيماً ، ولقق للمعجزات والكرامات تأويلات وتفسيرات باطلة غير مقبولة ، وسخر بالعلم واليقين والبرهان وهزأ بها . ولقام في النهاية بجمع شرذمة من الناس حوله بألف حيلة ومكر وخداع للعوام ، وفعل كما فعل ذلك الماكر المحتال الذي رسم على الأرض صورة الحيّة ، ثمّ اتهم بالجهل ذلك العالم والمفكر الذي كان قد كتب اسم الحيّة على الأرض . وسعى في إفساد سوق ذلك العالم وترويج سوقه هو ، وذلك في مجتمع جاهل يتخبط في الظلمة والجهالة . ولقام بكتمان دعوة الحق في زوايا الخفاء ، ونشر أباطيله وأراجيفه الفكرية تلك وجعلها هي الحاكمة .

لقد كان الوليد بن المغيرة من شيوخ العرب وكبارهم ، وكان يُشار إليه بالبنان في الفطنة والذكاء ، وكانت له ثروة ومكنة وأموال وافرة في بسط مكة وجزيرة العرب ؛<sup>١</sup> لكنّه مع ذلك حين سمع آيات من القرآن تلاها رسول الله نفسه ، فقد غرق في التفكير والتأمل ، ولم يجد مفرّاً في النهاية

١- الوليد بن المغيرة هو أحد الرجلين العربيّين العظيمين اللذين كان كفّار مكة وفريش يقولون عنهما : لولا أنزل القرآن على أحدهما : وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ (الآية ٣١ ، من السورة ٤٣ : الزخرف) . وفي «الاحتجاج» عن العسكري ، عن أبيه عليهما السلام قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان قاعداً ذات يوم بقناء الكعبة ، إذ قال له عبد الله بن أمية المخزومي : لو أراد الله أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجلاً من فيما بيننا مالاً وأحسنه حالاً ، فهلاً نزل هذا القرآن الذي تزعم أن الله أنزله عليك وابتعثك به رسولاً ، على رجلٍ من القرية عظيم : إمّا الوليد بن المغيرة بمكة ، وإمّا عروة بن مسعود الثقفي بالطائف . («الميزان» ، ج ١٨ ، ص ١١١) .

إلا أن يعدّه سحراً مُبيناً يؤثر وقال : هذا الكلام سحر ، وهذا الرجل ساحر ؛ سحرٌ قويٌّ مبين وساحر ماهر لا يُغلب .

وقد ورد في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي في سورة المدثر أنّ الآيات الواردة في التهديد في قوله تعالى : ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ، نزلت في الوليد بن المغيرة ، وكان شيخاً كبيراً مجرباً من دهاة العرب ، وكان من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقعد في الحجرة [أي حجر إسماعيل] ويقرأ القرآن ، فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة فقالوا : يا أبا عبد الشمس ما هذا الذي يقول محمّد ، أشعرٌ هو أم كهانة أم خطب ؟! فقال : دعوني أسمع كلامه . فدنا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا محمّد أنشدني من شعرك ، قال : ما هو شعر ولكنته كلام الله الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه . فقال : اتلْ عَلَيَّ منه شيئاً . فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله حمّ السجدة ، فلما بلغ قوله : فَإِنْ أَعْرَضُوا (يا محمّد - أعني قريشاً) .

فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ . قال : فاقشعر الوليد وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته ، ومزّ إلى بيته ولم يرجع إلى قريش من ذلك ، فمشوا إلى أبي جهل فقالوا : يا أبا الحكم ! إنّ أبا عبد الشمس صبا إلى دين محمّد ، أما تراه لم يرجع إلينا ؟ فغدا أبو جهل فقال له : يا عمّ ! نكست رؤوسنا وفضحتنا وأشمت بنا عدوّنا وصبوت إلى دين محمّد .

فقال : ما صبوت إلى دينه ولكنتي سمعتُ منه كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود . فقال له أبو جهل : أخطيبٌ هو ؟ قال : لا ، إنّ الخطب كلام متّصل وهذا كلام منشور ولا يشبه بعضه بعضاً .

قال : أفشعرٌ هو ؟ قال : لا ، أما إنّي قد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورمليها ورجزها ، وما هو بشعر .

قال : فما هو ؟ قال : دعني أفكر فيه .

فلما كان من الغد قالوا : يا أبا عبد شمس ، ما تقول فيما قلناه ؟

قال : قولوا هو سحر فإنه أخذ بقلوب الناس .

فأنزل الله على رسوله في ذلك : ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ؛ وَإِنَّمَا سَمِّيَ وَحِيدًا لِأَنَّهُ قَالَ لقريش : أنا أتوحد بكسوة البيت سنة ، وعليكم في جماعتكم سنة . وكان له مالٌ كثير وحداثق ، وكان له عشر بنين بمكة ، وكان له عشر عبيد عند كلِّ عبد ألف دينار يتجر بها ، وتلك القنطار في ذلك الزمان . ويُقال إنَّ القنطار جلد ثور مملؤ ذهباً . فأنزل الله ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا - الآيات ١ .

وهذه الآيات التي نزلت بشأن الوليد في سورة المدثر : السورة الرابعة والسبعين من القرآن الكريم هي عشرون آية ، ابتداءً من الآية الحادية عشرة إلى الآية الثلاثين :

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا \* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا \* وَبَنِينَ شُهُودًا \* وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا \* ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ \* كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِسْتِنَا عَنِيدًا \* سَاءُ رِهْقُهُ صُعُودًا \* (أي سآخذه بعنف وشدة وأبتليه بالعبور من العقبات الضيقة الصعبة العبور) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ \* فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ نَظَرَ \* ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ \* ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ \* فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ \* إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ \* سَأُضْلِيهِ سَقَرَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ \* لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ \* لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ \* عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرِ .

أي : أنه فكر في آيات القرآن ثم قدر على أساس تفكيره ، أي : أنه نظر في نظم القرآن والمعاني الواردة فيه من تقديم وتأخير ، ووضع

ورفع ، لاستنتاج غرضه المقصود من التقدير ، ثم أراد أن يستنتج شيئاً من تفكيره وتقديره بحيث يُرضي معاندي القرآن ومُنكريه ، فقدّر قائلاً : أشعرُ هو ، أم كهانة ، أم أساطير الأولين وخرافات القدماء ؟ أم هذيان وكلام لا طائل فيه ؟ ثم استقرّ به التفكير على أنه سحر من كلام البشر ، وأن أثره المغناطيسي كأثر سحر السحرة الذي يؤثر في النفوس فيفترق بين المرء وزوجه ، وبين الرجل وأهله وأبنائه ، وعلى هذا المنوال فهو سحر يؤثر في النفوس فيجذبها إلى معانيه ونكاته ، إلّا أنه سحرٌ قد أُثر .

يقول القرآن : لقد أجلى الوليد فكره وقدر ، فقتل على تقديره ، ثم قُتل كيف قدر ؟ ثم إنه نظر فتجهم وجهه وعبس وتمثلت في وجهه حينذاك ملامح الكره والرفض جليّة ، ثم إنه أعرض عن معاني القرآن تماماً ، ونأى بجنبه عن حقائقه ، وتجلّى استكباره وعُجبه للعيان ، فقال : إن هذا القرآن إلّا قول البشر ، وليس هذا القرآن إلّا سحر يؤثر .  
يقول الله تعالى : سَأُضْلِيهِ سَقَرَ .

أفتعلم يا رسول الله ما سقر ؟ النار التي لا تذر أحداً ، والتي تبتلع الجميع فلا تُبقي على أحد ، النار التي تلوّح بشرة الأبدان وتحرقها ، وهناك تسعة عشر ملك من ملائكة العذاب مأمورون بالمحافظة عليها .

وقد روي عن ابن عباس أنّه لما نزلت : عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ، قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة (يقصد رسول الله) يُخبركم أن خزنة النار تسعة عشر ، وأنتم الدهم . أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجلٍ منهم ؟ فقال أبو الأسعد ابن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش : أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين<sup>١</sup> .

١- «تفسير الميزان» ج ٢٠ ، ص ١٧٠ .



وهكذا تحول روح التنمر والتمرد في البشر دون التسليم والانقياد للحقائق، وما لم يُعالج هذا الضعف، فإن إنكار المنكرين سيبقى على حاله. إنّ الوليد بن المغيرة وأبا جهل وأبا لهب وأبا سفيان وأمّثالهم لم يكونوا من العامة، بل كانوا أناساً مطلقين مجرّبين خبروا الدنيا، وكانت لهم أسفارهم إلى إمبراطوريتي فارس والروم، وكانوا من الناحية الاجتماعية والسياسية من رؤساء العرب وساستهم وفي طليعتهم ومن أصحاب الرأي فيهم، إلا أنّ التسليم لرسول الله ومتابعته وتفويضه صلوات الله عليه وآله الأمور السياسية والاجتماعية والحكومة والولاية على الناس - وهي من نتائج وفروع الإيمان بالله والتوحيد - لم يكن ليتفق وينسجم مع روحياتهم الاستكبارية.

وكان ذلك هو السبب في تمردهم وعدم انقيادهم، وشنّهم الحروب وتحريضهم الأحزاب والجماعات ضدّ رسول الله. وكانوا يقولون: لماذا يكون رسول الله من طائفة البشر؟ أي: أته يجب أن يكون ملكاً ملكوتياً ليكون لاثقاً وجديراً فنخضع - نحن البشر - لأوامره وحكومته الإلهية. ولو شئت أن تروّض هذه الروح المستكبرة، وهذه النفس المغرورة بألف برهان ومنطق ومعجزة وآية لما أمكنك ذلك.

ولو كفّ رسول الله صلّى الله عليه وآله يده عن كلامه التوحيديّ، فعمل وفق آرائهم وأفكارهم، سلّموا إليه جميعاً دون شك ولو لم يأت لهم بمعجزة واحدة.

ومادامت فيهم هذه الروح الاستكبارية، فإنّهم لن يخضعوا للحق ولن يسلموا إليه، حتّى لو جاءهم رسول الله بمئات الأضعاف من المعجزات التي جاء بها من قبل. حتّى ولو شقّ لهم القمر والشمس كلّ يوم، وعبر أمامهم على الماء والنار كلّ يوم، وأحيا الموتى وأبرأ الأكمه

## والأبرص .

ولقد جاء في شأن النبي عيسى ابن مريم أن قومه كانوا يحملون المعجزات التي أتاهم بها - ومنها إحياءه الموتى - على السحر .  
وقد ذكر الله سبحانه ذلك في سورة المائدة :

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ  
أَيْدُتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَانَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي  
فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ  
الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١ .

ونقرأ في سورة آل عمران أن الله سبحانه قال بعد أن بين هذه المعجزات جميعها عن عيسى عليه السلام علاوة على إخباره بما يأكله الناس وما يذخرون في بيوتهم ، وبعد أن أحس عيسى منهم الكفر وآمن به الحواريون فقط :

وَمَكُرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكِرِينَ ٢ .

وحصيلة القول ، فإن نسبة السحر والخداع إلى الأنبياء لم تكن بالأمر الجديد ، إذ ابتلي الأنبياء جميعهم بهذه الصعاب التي انبعثت كلها من حس الطبع المتعالي المعبر عنه في القرآن الكريم بالعلو والاستكبار .  
لقد كان وجود رسول الله صلى الله عليه وآله وحركاته وسكناته ومنطقه وسكوته معجزة . وهذا القرآن الذي في أيدينا اليوم ، القرآن الذي

١- الآية ١١٠ ، من السورة ٥ : المائدة .

٢- الآية ٥٤ ، من السورة ٣ : آل عمران .

نتلوه صباحاً ومساءً ، هو نفس القرآن الذي كانوا يتخيلونه في ذلك الزمان سحراً . فيعدّون رسول الله بسببه ساحراً ؛ فأَيُّ آيةٍ فيه من السحر يا ترى ؟ هذا القرآن الذي بين أيدينا اليوم هو أكبر وأعجب معجزة من معجزات الرسول الأكرم والأنبياء السابقين كافة من حيث دقائق المعاني ولطائف النكات ، وإتقان القوانين والآداب والسنن ، ومن حيث الحقائق العرفانيّة وبيان درجات توحيد الباري تعالى شأنه ، وانطباق أخبار الأنبياء السابقين وأممهم على متن الواقع وحقيقة الأمر . وحقاً فكلّما اتسعت دائرة علومنا ومعارفنا ، زاد إدراكنا بإعجاز هذه التحفة الإلهيّة الفريدة ، معجزة رسول الله الباقيّة إلى يوم القيامة .

إنّ إعجاز القرآن لا ينحصر في فصاحته وبلاغته ، لأنّ القرآن لم ينزل للناطقين بالعربيّة فحسب ، بل نزل لعموم العالم . فكيف - والحال هذه - يمكن اعتبار فصاحته وبلاغته كلّ إعجازه ؟ كما أننا لا نجد آية أو رواية تشير إلى أنّ القرآن تحدّى الناس أن يأتوا بمثله من هذه الوجوه ، بل إنّ إعجاز القرآن هو هذه المعاني والحقائق الواقعة تحت مدلول الألفاظ ، التي تتكفّل بهداية المجتمعات البشريّة جميعها ، أبيضها وأسودها ، وحضرّيها وبدويّها ، وعالمها وعاميّها في أيّ نقطة من أرجاء العالم إلى يوم القيامة ، وتتعهّد بإراءة الطريق والإيصال إلى مقام التوحيد للحضرة الأحديّة عزّ وجلّ ، هذا من جهة إعجاز القرآن الكريم نفسه .

وأما من جهة إعجاز وجود رسول الله فقد خطر في بالي مطلب جدير بالتأمّل ، وهو مطلب لم يسبق أن سمعته من أحد أو شاهدته في كتاب .  
أنتنا نعلم أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان حافظاً للقرآن بلا زيادة أو نقصان لحرف واحد ، وكان يقرأ منه في الصلوات الواجبة والنوافل وخاصّة في ركعات صلاة الليل . وجاء في الرواية أنّه صلوات الله

عليه وآله كان يقرأ المسبّحات الخمس (أي : سور الحديد ، والحشر ، والصف ، والجمعة والتغابن) كلّ ليلة قبل أن يرقد .

وحين سئل عن سبب قراءته لهذه السور أجاب : أنّ في كلّ سورة منهنّ آية أفضل من ألف آية . وعلى هذا الأساس فقد ورد في الرواية أنّ من يقرأ المسبّحات ليلاً قبل أن يرقد ، فإنّه لا يموت حتّى يرى الرسول الأكرم فيُريه محلّه ومقامه في الجنّة .

ولقد كان حفظ القرآن بالنسبة إلى رسول الله معجزة ، لأنّه يختلف عن حفظ سائر الناس . ذلك أنّه صلوات الله عليه وآله لم يعرف الكتابة ؛ وكان نفسه لا يكتب الآيات التي توحى إليه ، ولا شكّ ولا تردّد في هذا الأمر أبداً . إذ لم يُشاهد أحد رسول الله طول حياته وهو يُمسك القلم والورق ، فضلاً عن أن يكتب آية واحدة . بل كان يرجع إلى كتاب الوحي فيكتبون له ، وكان رسول الله يقرأ عليهم فيكتبون .

وهذه المسألة تثير العجب ، إذ إنّ رسول الله مع أنّه لم يعرف الكتابة ، ولم يكتب الآيات ، إلّا أنّه كان يقرأ هذه السور وسائر سور القرآن بعد نزولها ، وبعد مرور الشهور والسنين ، بل بعد عشرين سنة أو أكثر ، دون أن يزيد أو ينقص كلمة واحدة . فما أقواها من ذاكرة ! أو يمكن أن نسَمّي أصولاً هذا الضرب من الحفظ قوّة الذاكرة ؟

وهل شوهده أمر مثل هذا على مرّ تأريخ البشرية ؟ أيمن لأمر الخُطباء وأقواهم حفظاً ، إذا لم يسجّل خطابه على الورق أو شريط التسجيل ، أن يُعيد لدقيقة واحدة عين عباراته التي أنشأها خلال الخطاب أو بعده دون أن يزيد أو ينقص أو يقدّم أو يؤخّر منها حرفاً واحداً ؟

لقد كان المسلمون يومئذٍ يقرأون آيات القرآن عند رسول الله ، فكان صلوات الله عليه وآله يصحّح أخطاءهم ، حتّى لا تصبح الواو فاءً أو

الفاء واواً ، ولكي لا تُقرأ كلمة (ويعلمون) (فيعلمون) .  
وهو أمر عجيب في غاية الغرابة كلما زاد التأمل في أطرافه وجوانبه  
صار إعجازه أكثر شهوداً وجلالاً .

وقد عرضت هذه المسألة على أستاذي الكريم : العالم الفذّ والفقير  
النبيل آية الله الأستاذ العلامة الطباطبائي ، فقال : بلى ، إنّ الأمر على ما  
تقولون . إذ كان رسول الله يقرأ آيات القرآن دون أن يقدم أو يؤخر فيها  
حرفاً واحداً ، حتّى أنه كان يُعيد في مواقع الحاجة عين العبارات التي كان  
قد قالها قبل سنوات عديدة ، وكأنته يقولها الساعة .

وعندما دنا أجله صلوات الله عليه وآله كانت فاطمة سلام الله عليها  
في غاية الحزن والتأثر ، تذرف الدموع وتندب (وا سوأتاه وا سوأة أبي) ،  
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : يا فاطمة ... قولي كما قال أبوك  
على إبراهيم : الْقَلْبُ يَحْزَنُ ، وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا حَقًّا ، وَإِنَّا بِكَ  
يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ .

فانظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في سكرات الموت وقد  
غلب عليه المرض وتبدلت حاله ، كيف يعيد في تلك الحال الشديدة الصعبة  
عين العبارة التي قالها قبل سنوات عند موت إبراهيم ، وهي معجزة عجيبة .  
أجل ، هذه هي الإحاطة بالملكوت والسيطرة على عالم المعنى ، ولا علاقة  
للأمر بقوة الذاكرة والمسائل المادّية - انتهى كلام الأستاذ دام ظلّه .

وأقول هنا : شتان بين هذا الكلام الذي يحكي عن متن الواقع وبين  
قول عُمر حين طلب رسول الله دواة وقرطاساً ليكتب للناس كتاباً لا يضلّوا  
بعده أبداً فقال : قد غلبه الوجع ، إنّ الرجل ليهجر !

### قصة أصحاب الكهف والرقيم :

من جملة الآيات الإلهية الدالة على المعاد ، قصة أصحاب الكهف والرقيم . وهي من القصص المشهورة بين أهل الملل والنحل والتواريخ . وقد أورد القرآن الكريم تفصيلها بالقدر الذي يكون شاهداً على مسألة المعاد ، حيث وردت جملة هذه الآيات في السورة ١٨ : الكهف ، اعتباراً من الآية السادسة إلى الآية السادسة والعشرين . يقول تعالى في بيان هذه القصة التي استغرق أصحابها في نوم عميق امتد ثلاثمائة وتسع سنين ، ثم استيقظوا :

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا .<sup>١</sup>

ويقول تعالى في بدايتها :

فَلَعَلَّكَ بَخِخُ نَفْسِكَ عَلَى ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا \* إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا \* وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا .<sup>٢</sup>

ثم يشرع بذكر متن قصة أصحاب الكهف ويقول :

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا .<sup>٣</sup>

ثم يشرح هذه القصة : لقد كان أصحاب الكهف والرقيم فتية عاشوا وترعرعوا في مجتمع وثني فشت فيه عبادة الأوثان والأصنام . وحين أمكن دين التوحيد طريقه إلى ذلك المجتمع ، آمن به هؤلاء الفتية وعبدوا

١- الآية ٢١ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٢- الآية ٦ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٣- الآية ٩ ، من السورة ١٨ : الكهف .

الله خالق السماوات والأرض وحده ، وتمردوا على عبادة الطواغيت .  
إلا أن الناس ضيقوا عليهم في المعاملة وتشددوا معهم وعذبوهم  
ليجبروهم على ترك دين التوحيد والإعراض عن عبادة الإله الواحد  
والعودة إلى عبادة الأوثان ، فكانوا يقتلون من كان يصبر على مخالفتهم  
بأبشع صورة .

وكان هؤلاء الفتية قد آمنوا بالله عن هدى وبصيرة ، فزادهم الله  
هدى ، وفتح لهم أبواب العلم والمعرفة مُسرعة في وجوههم ، وكشف لهم  
الأنوار الإلهية بحيث صاروا من أصحاب اليقين ، وجعل قلوبهم مرتبطة به  
سبحانه بحيث ما عادت تخاف موجوداً سواه ، وبحيث إنَّ الحوادث المؤلمة  
والمصائب الشديدة لم تكن تخيفهم أو تفرعهم .

ولقد كانوا يعلمون أنهم إن عاشوا في مجتمع جاهلي مستكبر كذلك  
المجتمع ، فلن يكون أمامهم من مناص إلا السير بسيرة أعضائه ، وعدم  
التفوه بالحق وعدم سلوك شريعة الحق . ولما كانوا قد اهتدوا إلى سبيل  
التوحيد وهجروا الشرك ، فقد علموا أن السبيل الوحيد للنجاة يتمثل في  
الاعتزال عن ذلك المجتمع الجاهلي . لذا فقد امتنعوا عن مسaire ذلك  
المجتمع المشرك الجاهلي ونهضوا بقلوب قوية وإيمان راسخ لا يُثنِيهم شيء  
لإعلان توحيد الحق تعالى وتقديسه ، فأصحروا جهاراً في ردِّهم على القوم  
قائلين :

رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا  
شَطَطًا \* هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ  
بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .<sup>١</sup>

١- من الآيتين ١٤ و ١٥ ، من السورة ١٨ : الكهف .

ثم قالوا فيما بينهم :

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا<sup>١</sup>.

وهكذا دخلوا الكهف فجلسوا في متسع منه وبسط كلهم ذراعيه في وصيد الكهف ، وكانوا يعلمون حق العلم أن قومهم لو علموا بمكانهم لعذبوهم وقتلوهم ، لذا دعوا ربهم تعالى :

فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا \* فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا<sup>٢</sup>.

فناموا ونام كلهم معهم ، ناموا مدة ثلاثمائة وتسع سنين قمرية تعادل ثلاثمائة سنة شمسية : ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا<sup>٣</sup>.  
إلى أن يقول :

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ<sup>٤</sup>.

ثم يستمر القرآن الكريم في القصة حتى يصل إلى قوله :  
وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا<sup>٥</sup>.

ويستنتج منه أن قصة أصحاب الكهف واختفائهم فيه ، ونومهم ثلاثمائة وتسع سنين ثم استيقاظهم بعد هذه المدة الطويلة ، والمجيء إلى

١- الآية ١٦ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٢- الآيتان ١٠ و ١١ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٣- من الآية ٢٥ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٤- الآية ١٩ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٥- الآية ٢١ ، من السورة ١٨ : الكهف .



المدينة لشراء الطعام وإطلاع الناس على هذه القصة كان بأجمعه من أجل إعلان المعاد وكيفيته وعدم استبعاده . وقد ذكر شتى أصحاب التفسير والروايات خصائص القصة ، ونورد هنا تفصيلها وفقاً للرواية الواردة في تفسير علي بن إبراهيم القمي :

يقول علي بن إبراهيم : حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام ، قال : كان سبب نزولها ، يعني سورة الكهف ، أن قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران ، النضر بن الحارث بن كلفة ، وعقبة بن أبي معيط والعاص بن وائل السهمي ليتعلموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فخرجوا إلى نجران إلى علماء اليهود فسألوهم فقالوا : سلوه عن ثلاث مسائل ، فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق ، ثم سلوه عن مسألة واحدة فإن ادّعى علمها فهو كاذب . قالوا : وما هذه المسائل ؟ قالوا : سلوه عن فتية كانوا في الزمن الأول فخرجوا وغابوا وناموا ، كم بقوا في نومهم حتى انتبهوا ؟ وكم كان عددهم ؟ وأي شيء كان معهم من غيرهم ؟ وما كان قصّتهم ؟ واسألوه عن موسى حين أمره الله أن يتبع العالم ويتعلم منه ، من هو وكيف تبعه وما كان قصّته معه ؟ واسألوه عن طائف طاف من مغرب الشمس ومطلعها حتى بلغ سدّ يأجوج ومأجوج ، من هو وكيف كان قصّته ؟ ثم أملوا عليهم أخبار هذه الثلاث مسائل وقالوا لهم : إن أجابكم بما قد أملينا عليكم فهو صادق ، وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تصدّقه . قالوا : فما المسألة الرابعة ؟ قالوا : سلوه متى تقوم الساعة ؟

فإن ادّعى علمها فهو كاذب ، لأنّ قيام الساعة لا يعلمها إلا الله تعالى . فرجعوا إلى مكة واجتمعوا إلى أبي طالب عليه السلام فقالوا : يا أبا طالب ! إن ابن أخيك يزعم أن خبر السماء يأتيه ، ونحن نسأله عن مسائل فإن

أجابنا عنها علمنا أنه صادق وإن لم يجبنا علمنا أنه كاذب . فقال أبو طالب : سلوه عما بدا لكم . فسألوه عن الثلاث مسائل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : غداً أخبركم (على أمل أن يأتي الأمين جبرئيل بالإجابة عنها من جهة ذات الحق تعالى) ولم يستثن .

فاحتبس الوحي عليه أربعين يوماً حتى اغتم النبي صلى الله عليه وآله وشك أصحابه الذين كانوا آمنوا به ، وفرحت قريش واستهزأوا وآذوا ، وحزن أبو طالب . فلما كان بعد أربعين يوماً نزل عليه [جبرئيل] بسورة الكهف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا جبرئيل ، لقد أبطأت ! فقال : إنا لا نقدر أن ننزل إلا بإذن الله . فأنزل :

أَمْ حَسِبْتَ (يا محمد) أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ عَائِلَتِنَا عَجَبًا .

ثم قص قصصهم فقال :

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا .

فقال الصادق عليه السلام : إن أصحاب الكهف والرقيم كانوا في زمن ملك جبّار عاتٍ وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام ، فمن لم يُجبّه قتلّه ، وكان هؤلاء قومًا مؤمنين يعبدون الله عزّ وجلّ . ووكل الملك بباب المدينة وكلاء ولم يدع أحداً يخرج حتى يسجد للأصنام ، فخرج هؤلاء بحيلة الصيد ، وذلك أنهم مرّوا برّاع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبههم ، وكان مع الراعي كلب فأجابهم الكلب وخرج معهم .

فقال الصادق عليه السلام : فلا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثة :

حمار بلعم بن باعوراء وذئب يوسف<sup>١</sup> وكلب أصحاب الكهف .  
 فخرج أصحاب الكهف من المدينة بحيلة الصيد هرباً من دين ذلك  
 الملك ، فلمّا أمسوا دخلوا ذلك الكهف والكلب معهم فألقى الله عليهم  
 النعاس كما قال الله تعالى : فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ،  
 فناموا حتّى أهلك الله ذلك الملك وأهل مملكته ، وذهب ذلك الزمان وجاء  
 زمان آخر وقوم آخرون ، ثمّ انتبهوا فقال بعضهم لبعض : كم نمنا ها هنا ؟  
 فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت ، فقالوا : نمنا يوماً أو بعض يوم .  
 ثمّ قالوا لواحد منهم : خذ هذا الورق وادخل المدينة متكرّراً  
 لا يعرفوك فاشتر لنا طعاماً ؛ فإنّهم إن علموا بنا وعرفونا يقتلونا أو يردّونا في  
 دينهم .

١- إنّ الذئب لم يفترس النبيّ يوسف على نبينا وآله وعليه السلام ، لكنّ الظاهر أنّ  
 المراد بالذئب المذكور في الرواية هو ما ورد في بعض التفاسير من أنّ إخوة يوسف عليه  
 السلام جاءوا أباءهم فقالوا «أكل أخانا الذئب» ، فقال لهم يعقوب عليه السلام : «اذهبوا فأتوا  
 به» . فذهبوا وجاءوا بذئب ، فسأله يعقوب عمّا فعل ، فأطلقه الله تعالى ، فقال : لم أفعل ، فإنّ  
 لحوم الأنبياء وذريّتهم حرامّ علينا .  
 وقد نقلت هذه القصّة في «تفسير أبي الفتوح» ج ٦ ، ص ٣٥١ و ٣٥٢ ؛ وتفسير «منهج  
 الصادقين» ج ٥ ، ص ٢٢ و ٢٣ ؛ وتفسير «الدر المنثور» ج ٤ ، ص ١٠ ؛ كما نقلت في «تفسير  
 سورة يوسف» لأبي حامد الغزاليّ ، ص ٤٥ إلى ٤٧ ، الطبعة الحجرية ، حيث أورد الغزاليّ بعد  
 نقله هذه القصّة روايةً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ سبعة من الحيوانات تدخل  
 الجحّة ، أحدها ذئب يعقوب .

ويؤيّد ذلك رواية أوردتها المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٤١ ، ص ٢٣٨ و ٢٣٩ من  
 الطبعة الحروفية ، نقلاً عن «كشف اليقين» ، جاء فيها أنّ أمير المؤمنين عليه السلام التقى ذئباً  
 فقال في كلامه مع الإمام : أنا ذئب شريف . فسأله الإمام عن علّة قوله ، فقال : لأنّني من  
 شيعةك ، وقد أخبرني أبي أنّي من نسل ذلك الذئب الذي جاء به أولاد يعقوب وقالوا إنّ  
 الذئب أكل أخانا .

فجاء ذلك الرجل فرأى مدينة بخلاف التي عهدها ورأى قوماً بخلاف أولئك لم يعرفهم ولم يعرفوا لغته ولم يعرف لغتهم ، فقالوا له : من أنت ومن أين جئت ؟ فأخبرهم ، فخرج ملك تلك المدينة مع أصحابه والرجل معهم حتى وقفوا على باب الكهف وأقبلوا يتطلعون فيه . فقال بعضهم : هؤلاء ثلاثة ورابعهم كلبهم ، وقال بعضهم : خمسة وسادسهم كلبهم . وقال بعضهم : هم سبعة وثمانهم كلبهم ، وحجبهم الله عز وجل بحجاب من الرعب فلم يكن أحد يقدم بالدخول عليهم غير صاحبهم فإنه لما دخل إليهم وجدهم خائفين أن يكون أصحاب دقيانوس شعروا بهم ، فأخبرهم صاحبهم أنهم كانوا نائمين هذا الزمن الطويل وأنهم آية للناس ، فبكوا وسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا .

ثم قال الملك : ينبغي أن نبني ها هنا مسجداً ونزوره فإن هؤلاء قوم مؤمنون . فلهم في كل سنة نقلتان ، ينامون ستة أشهر على جنوبهم اليمنى وستة أشهر على جنوبهم اليسرى والكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف<sup>١</sup>.

وقال العلامة الطباطبائي بعد نقل هذه الرواية : والرواية من أوضح روايات القصة متناً وأسلمها من التشوش ، وهي مع ذلك تتضمن أن الذين اختلفوا في عددهم فقالوا : ثلاثة أو خمسة أو سبعة هم أهل المدينة الذين اجتمعوا على باب الكهف بعد انتباه الفتية ، وهو خلاف ظاهر الآية . وتتضمن أن أصحاب الكهف لم يموتوا ثانية بل عادوا إلى نومتهم وكذلك كلبهم باسط ذراعيه بالصيد ، وأن لهم في كل سنة تقليبين من اليمين إلى اليسار وبالعكس ، وأنهم بعد على هيئتهم ، ولا كهف معهوداً على وجه

١- «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ص ٣٩٢ - ٣٩٤ .

الأرض وفيه قوم نيام على هذه الصفة.<sup>١</sup>

ونتهي هذه القصّة بذكر عدّة أمور:

١- الكهف: هو المغارة في الجبل إلا أنّه أوسع منها بحيث يمكن للإنسان والحيوان أن يدخله ويعيش فيه براحة. والرقيم بمعنى المرقوم، كالجريح بمعنى المجروح.

وقد دُعي أصحاب الكهف بأصحاب الرقيم لأنّ أسماءهم قد كُتبت ورُقمت في لوح نحاسي أو ذهبي نُصِب في خزانة الملك. أو لأنّها قد رُقمت وحُفرت في داخل الغار. وعليه فإنّ أصحاب الكهف وأصحاب الرقيم هم جماعة واحدة.

أمّا ما ورد في بعض الروايات الضعيفة الدالة على أنّ أصحاب الرقيم هم غير أصحاب الكهف، والتي ذكرت أن ثلاثة من المؤمنين كانوا قد ساروا في الصحراء فألجأهم المطر والظوفان إلى غار، وسقطت صخرة من الجبل فسدّت مدخل الغار تماماً. فدعوا الله تعالى وذكروه بالأعمال الصالحة التي كانوا قد فعلوها، فتحرّكت الصخرة ببركة دعائهم وانزاح ثلثها فبان ثلث من باب الغار؛ فلا يمكن قبوله، إذ يستبعد من سياق الآيات القرآنية المباركة أن تذكر قصّتين مختلفتين فتشرح إحداهما مفصّلة وتُعرض عن ذكر الثانية كلياً.

وقال البعض: إنّ الرقيم اسم الجبل الذي فيه الكهف، أو اسم الصحراء التي يقع الجبل فيها، أو اسم البلد الذي خرجوا منه إلى الكهف، أو اسم الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف، بيد أنّه لا دليل على هذه الادّعاءات. والدليل قائم على أنّ الرقيم بمعنى الكتابة والخطّ وقد عرفوا

١- «تفسير الميزان» ج ١٣، ص ٣٠٠.

بأصحاب الرقيم لأن أسماءهم قد كتبت .

٢- عدد أصحاب الكهف :

ورد عددهم في القرآن الكريم في قوله تعالى :

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا .<sup>١</sup>

ويستشف العلامة الطباطبائي مدّ ظله أن عددهم كان سبعة من عدة

جهات :

الجهة الأولى : أن القرآن الكريم حين يذكر القولين الأولين فإنه

يعقب عليهما بعبارة : رَجْمًا بِالْغَيْبِ ، والرجم هو الرمي بالحجارة ، أي كالرامي بالحجر دونما هدف ، كناية عن أتهما قول بغير علم ولا دليل . إلا أنه حين يقول وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ فإنه لا يعقب عليه شيئاً .

الثانية : أنه ذكر الواو في قوله : سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ، بينما لم يوردها في الفقرتين الأوليين ، وهو دلالة على الثبات والاستقرار . يقول في الكشف : هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة ، كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك : جَاءَنِي رَجُلٌ وَمَعَهُ آخَرٌ ، وَمَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَبِيَدِهِ سَيْفٌ . ومنه قوله تعالى : وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ . وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر . وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا : سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرحموا بالظن كما [فعل] غيرهم . والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين

١- الآية ٢٢ ، من السورة ١٨ : الكهف .

قوله : رَجُمًا بِالْغَيْبِ وَأَتَّبِعَ الْقَوْلَ الثَّالِثَ قَوْلَهُ : مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ .

وقال ابن عباس : حين وقعت الواو انقطعت العدة ، أي لم يبق بعدها عدة عادَّةٌ يُلتفت إليها ، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات - انتهى ما جاء في «الكشاف»<sup>١</sup>.

الثالثة : بدليل الآية المباركة : وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ<sup>٢</sup>.

إذ إنَّ الفاعل في المحاوراة كان جماعتين ، وأقل الجمع ثلاثة ؛ لذا فإنَّ مجموع هاتين الجماعتين مع السائل لا يمكن أن يقلَّ عن سبعة نفر<sup>٣</sup>.

٣ - أسماء أصحاب الكهف : قال العلامة الطباطبائي : قيل في الروايات الإسلامية المنتهية إلى الروايات اليونانية والسريانية إنَّ أسماءهم كالتالي :

Maxi - Milianos

الأول : مكس ميليانوس

Iamblichos

الثاني : اميلخوس - مليخا

الثالث : مرتيانوس - مرطلوس - مرطولس

Martinos - (Martelos)

Dionysios

الرابع : ذوانيوس - دوانيانوس - دنياسيوس

Joannes

الخامس : ينيوس - يوانيس - نواسيس

السادس : اكساكدثو دنيانوس - كسقسطيونس -

١ - «تفسير الميزان» ج ١٣ ، ص ٢٨٧ و ٢٨٨ نقلاً عن «الكشاف» .

٢ - الآية ١٩ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٣ - «الميزان» ج ١٣ ، ص ٢٧٨ .

Exakaustodianos

١ كسقوطوسط - كسقوطط

Antonios

السابع : انطونس (افطونس) اندونيوس - انطينوس

واسم كلبهم قِطْمِير .

ويرى بعضهم أنّ الأسماء العربية مأخوذة عن القبطية المأخوذة عن

السريانية<sup>١</sup>.

٤ - تعيين محلّ الكهف :

إنّ أشهر الكهوف المكتشفة في الدنيا حالياً ، التي ينسب إليها أهل

الكهف خمسة كهوف :

الأول : كهف إفسوس (بكسر الهمزة والفاء) ؛ الثاني : كهف رَجِيب ؛

الثالث : كهف جبل قاسيون ؛ الرابع : كهف البتراء ؛ والخامس : الكهف

الواقع في شبه الجزيرة الإسكندنافية .

ويقع كهف جبل قاسيون في الصالحية في دمشق ؛ ويقع كهف البتراء

في فلسطين ، بينما يقع الكهف الإسكندنافي في شبه جزيرة الإسكندنافية ،

ولا تنطبق الخصائص الجغرافية والشواهد التاريخية على كهف أصحاب

الكهف ، لذا لا نتعرض للبحث عنها .

أمّا كهف إفسوس فيقع في مدينة خربة من مدن تركيا تبعد عن مدينة

إزمير ثلاثة وسبعين كيلو متراً ، ويقع هذا الكهف على بُعد كيلو متر أو أقلّ

من إفسوس الواقعة قرب قرية أيا صولوك على سفح جبل ينايرداغ . وهو

كهف واسع جداً بُنيت فيه مئات القبور بالآجر ، وباب الكهف باتجاه

الشمال الشرقي ، إلّا أنّه لا أثر فيه لكنيسة أو صومعة أو مسجد . ويعتقد

الكثير من المؤرّخين والمفسّرين أنّه هو كهف أصحاب الكهف ، كما يُعدّ

١ - «الميزان» ج ١٣ ، ص ٣٠٩ و ٣١٠ .



من أشهر الكهوف لدى النصارى . وهو عموماً من أشهر الكهوف بين جميع الأمم والأقوام والمعتقدين بقصة أصحاب الكهف .  
بيد أن أستاذنا العلامة الطباطبائي مدّ ظله يعتقد أنه لا يمكن أن يكون الكهف المعني ، وذلك لعدة أدلة :  
أما أولاً : فقد قال تعالى :

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ١ . وهو صريح في أن الشمس يقع شعاعها عند الطلوع على جهة اليمين من الكهف ، وعند الغروب على الجانب الشمالي منه . ويلزمه أن يواجه باب الكهف جهة الجنوب ، وباب الكهف الذي في إفسوس متجه نحو الشمال الشرقي .

وهذا الأمر ، أعني كون باب كهف إفسوس متجهاً نحو الشمال وما ورد من تحديد إصابة الشمس منه طلوياً وغروباً ، هو الذي دعا المفسرين إلى أن يعتبروا يمين الكهف ويساره بالنسبة إلى الداخل فيه لا الخارج منه ، مع أنه المعروف المعمول .

قال البيضاوي في تفسيره : إن باب الكهف في مقابلة بنات نعش ، وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه ، والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب ، وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلّي ثيابهم . انتهى - ونحو منه ما ذكره غيره .

وأما ثانياً : فلأن قوله تعالى : وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ، أي في مرتفع منه ،

١- الآية ١٧ ، من السورة ١٨ : الكهف .

ولا فجوة في كهف إفسوس - على ما يقال - وهذا مبني على كون الفجوة بمعنى المرتفع وهو غير مُسلم ، وقد تقدّم أنها بمعنى الساحة .  
وأما ثالثاً : فلأن قوله تعالى : قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ، ظاهر في أنهم بنوا على الكهف مسجداً ، ولا أثر عند كهف إفسوس من مسجد أو صومعة أو نحوها .  
ورابعاً : على أنه ليس هناك شيء من رقيم أو كتابة أو أمر آخر يشهد ولو بعض الشهادة على ذلك ، خلافاً لسائر الكهوف وخاصة كهف رجب .

ويقع كهف رجب على مسافة ثمانية كيلومترات من مدينة عمّان عاصمة الأردن بالقرب من قرية تسمى رجب ، والكهف في جبل محفوراً على الصخرة في السفح الجنوبي منه ، وأطرافه من الجانبين الشرقي والغربي مفتوحة يقع عليه شعاع الشمس منها . وباب الكهف يقابل جهة الجنوب ، وفي داخل الكهف صفة صغيرة تقرب من ثلاثة أمتار في مترين ونصف على جانب من سطح الكهف المعادل لثلاثة (أمتار) في ثلاثة تقريباً . وفي الغار عدّة قبور على هيئة النواويس البيزنطية كأنها ثمانية أو سبعة .

وعلى الجدران نقوش وخطوط باليوناني القديم والشمودي منمحية لا تُقرأ ، وأيضاً صورة كلب مصبوغة بالحمرة وزخارف وتزيينات أخرى .

وفوق الغار آثار صومعة بيزنطية تدلّ النقود والآثار الأخرى المكتشفة فيها على كونها مبنية في زمان الملك جوستينوس الأول (٤١٨ - ٤٢٧ ميلادية) ، وآثار أخرى على أنّ الصومعة بدلت ثانياً بعد استيلاء المسلمين على الأرض مسجداً إسلامياً مشتتلاً على المحراب والمئذنة

والميضأة .

وكان هذا الكهف متروكاً منسياً وبمرور الزمان خربة وردماً متهدماً حتى اهتمت دائرة الآثار الأردنية أخيراً بالحفر والتنقيب فيه فاكتشفته فظهر ثانياً بعد خفائه قروناً ، وقامت عدّة من الأمارات والشواهد الأثرية على كونه هو كهف أصحاب الكهف المذكورين في القرآن .

وقد ورد كون كهف أصحاب الكهف بعمّان في بعض روايات المسلمين ، وذكره ياقوت (الحموي) في «معجم البلدان» وأن الرقيم اسم قرية بالقرب من عمّان . وبلدة عمّان أيضاً مبنية في موضع مدينة فيلادلفيا التي كانت من أشهر مدن عصرها وأجملها قبل ظهور الدعوة الإسلامية ، وكانت هي وما والاها تحت استيلاء الروم منذ أوائل القرن الثاني الميلادي حتى فتح المسلمون الأرض المقدسة . والحق أن مشخّصات كهف أصحاب الكهف أوضح انطباقاً على هذا الكهف من غيره .<sup>١</sup>

لقد كان بحث أستاذنا في هذا الشأن في غاية المتانة ، إلا أننا نحتاج إلى شرح مختصر لإحدى النقاط . وهي أنه تصوّر - وفقاً للآية الشريفة - أن باب الكهف يجب أن يقابل الجنوب ليقع عليه شعاع الشمس في وقتين ، فتشرق عند طلوعها على يمين فتحة الكهف ، وتصيبه أشعتها عند غروبها على يسار فتحة الكهف . فيرى الجالسون فيه الشمس خلال هذين الوقتين فقط . لذا فقد أشكل على من اعتبروا فتحة الكهف في جهة الشمال وقال : والمعمول في اعتبار اليمين واليسار لمثل الكهف والبيت أن يؤخذ باعتبار الخارج منه دون الداخل فيه .

لكننا نقول إنّ فتحة الكهف لو كانت باتّجاه الشمال ، لكان ذلك

١- «الميزان» ج ١٣ ، ص ٣١٦ إلى ٣٢٠ .

## معرفة المعاد (٥)

إنكار الطبيعيين لأمر المعاد لا يستند إلى أسس علمية

أقرب إلى الاعتبار وإلى دلالة الآية القرآنية دون أن نحتاج إلى تغيير اليمين واليسار عن الاعتبار المعمول نسبة إلى من في داخل الكهف . ذلك أنه لم يرد في الآية القرآنية لفظ يشير إلى أن الشمس كانت تسطع على فتحة الكهف عند طلوعها وغروبها ، بل جاء أنها كانت إذا طلعت تزاور عن كهفهم وإذا غربت تقرضهم .

والتزاور بمعنى الميل والانحراف ، أي أن الشمس إذا طلعت إلى يمين الكهف (أي يمين الجالس في الغار) فإنها تميل وتنحرف دون أن تسطع على داخل الغار ، ثم تعبر من خلف الغار ، ثم تكون عند الغروب قد طوت نصف دائرة من قوس دائرتها ، فتكون عند غروبها إلى جانب الغار الأيسر ثم تغيب .

وهذا المعنى يتناسب مع الغار والكهف الذي تكون فتحته باتجاه الشمال لا باتجاه الجنوب .

يضاف إلى ذلك أننا نعلم أن باب الكهف لو كان جنوبياً لسطعت الشمس داخل الكهف خلال النهار ، وخاصة في فصل الشتاء ، ولأنارت الكهف كله لأنه واقع في المنطقة المعتدلة الشمالية .

أما لو كان باب الكهف باتجاه الشمال فإن نور الشمس لن يصل أبداً إلى داخله فيعقن الأجساد ، لأن سير الشمس سيكون جنوبياً باستمرار بالنسبة إلى الكهف ، ومن المحال أن يسطع نورها على داخل الكهف الواقع في الشمال . ولذلك فإن أصحاب الكهف سيتمتعون بمكان واسع وهواء بارد ونسيم لطيف لا تلسعهم فيه حرارة الشمس .

ولعلّ المرحوم الشعراي قد فسر ذلك في كتابه «نثر طوبى» على هذا الأساس فقال : إن الشمس تنحرف من أصحاب الكهف إلى يمين الواقف في الكهف مقابل بابه ، كما هو المقصود من نظائر هذه العبارة ؛ أي : أن

الشمس تطلع أوّل الصبح فتشرق على الغار ثمّ تنحرف إلى اليمين وتغيب ، ثمّ تعود عند الغروب وتمرّ من اليسار . فإن كان باب الكهف باتّجاه الشمال ، لكانوا أوّل الصبح وعند الغروب مستنيرين بالشمس ، وكانوا في الظلّ وسط النهار . أمّا لو كان باب الكهف باتّجاه الجنوب ، لكانت الشمس تسطع عليه باستمرار . بيّد أنّهم كانوا نائمين في كهف تميل الشمس من على يمينه ويساره دون أن تؤذيهم .<sup>١</sup>

٥ - أيّ زمان عاش أصحاب الكهف .

يمكن القول تقريباً إنّ المفسّرين مُجمعون على أنّ قصّة أصحاب الكهف كانت زمن دقيّوس إمبراطور الروم الذي حكم بين ٢٤٩ - ٢٥١ ميلاديّة ، أو زمن دقيانوس إمبراطور الروم الآخر الذي حكم بين ٢٨٥ - ٣٠٥ ميلاديّة والمسيحيّون أيضاً يدّعون ذلك ويقولون بأنّ الحكّام كانوا يضيقون على دين المسيحيّة ويعذبون الموحّدين بأصناف الأذى والجوع والعطش .

بيّد أنّه لا يمكن قبول هذا الأمر ، لأنّ أوّل من كتب قصّة أصحاب الكهف في كتابه من السريانيّين جيمس الساروغيّ James of Sarug المتوفّي سنة ٥٢١ ميلاديّة ، وقد ألّف هذا الكتاب سنة ٤٧٤ ميلاديّة . وفي ضوء الآيّة القرآنيّة فإنّ أصحاب الكهف كانوا قد ناموا ثلاثمائة وتسع سنين ، ولما كانت سنوات القرآن قمريّة ، وحسبنا الفرق بين السنوات القمريّة والشمسيّة في هذه المدّة لوجب إنقاص تسع سنين ، فتكون مدّة بقائهم في الكهف ثلاثمائة سنة شمسيّة . ولما كانت السنوات الروميّة شمسيّة ، فلا بدّ أن يكون بقاء أصحاب الكهف أسبق بكثير من

١ - «نشرطوبى» مادّة زور ، ج ١ ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ (بالفارسيّة) .

زمن دقيوس أو دقيانوس .

بيد أن المسيحيين لا يعتقدون بالقرآن الكريم ، وهم - من جهة أخرى - يعتبرون زمن استيقاظ أصحاب الكهف هو زمن الملك الصالح تيودوسيوس الذي حكم بين ٤٠٨ - ٤٥١ ميلادية . فيكون بقاء أصحاب الكهف إلى زمن دقيوس مائتي سنة أو أقل .

وقد التفت رفيق وفا الدجاني إلى ذلك في كتاب «اكتشافات كهف أهل الكهف» الذي نشره سنة ١٩٦٤ ميلادية فقال في كتابه : إن الطاغية الذي هرب منه أصحاب الكهف فدخلوا الكهف هو «طراجان الملك ٩٨ - ١١٧ م» لا دقيوس الملك .. ولا دقيانوس الملك . وقد أصدر طراجان في سنة ١١٢ م مرسوماً يقضي أن كل عيسوي يرفض عبادة الآلهة يحاكم كخائن للدولة ويعرض للموت .

ولو فرضنا أن أصحاب الكهف قد لجأوا إلى الكهف في تلك السنة ، فإن ١١٢ + ٣٠٠ = ٤١٢ ، فيكونون قد استيقظوا في سنة ٤١٢ بعد نومهم ثلاثمائة سنة (شمسية) ، وذلك يصادف أيام حكم الملك الصالح العادل تيودوسيوس<sup>١</sup> .

وما يمكن أن نشكله على صاحب هذا الكتاب هو أننا لا نملك دليلاً كافياً على نوم أصحاب الكهف في زمن (طراجان) واستيقاظهم في زمن (تيودوسيوس) . فهذا الرأي الذي أبداه لا يعدو كونه فرضية لا شاهداً تاريخياً . وعلى هذا الأساس فإن العلامة الطباطبائي قد امتنع عن تعيين زمنهم ولم يتابع بحثه مع ما عرضه من البحث والنقد والتحليل . كما أننا نعلم من جهة أخرى أن هذه القصة لو وقعت قبل السيد

١- «الميزان» ج ١٣ ، هامش ص ٣٠٩ ؛ وهامش ص ٣١٩ .

المسيح لكانت مدعاة لفخر اليهود ومباهااتهم ، ولكانوا قد نمّقوها وزيّنوها وذكروها ، بينما نجد أنّ الكتب اليهوديّة تخلو من ذلك . فمعظم المعتقدين بها - عدا المسلمين - هم من المسيحيّين . وقد نقل خواندمير هذه القصّة وذهب إلى أنّها وقعت زمن الملك بلاش بن فيروز الثامن الملك الأشكانيّ<sup>١</sup> .

ويقول حمد الله المستوفيّ بعد أن ينقل أسماء ستّة نفر منهم وإذا ما أُضيف إليهم الراعي يصيرون سبعة ؛ وكان هؤلاء في زمن دقيانوس الذي عاش قبل النبيّ عيسى ، وكانوا ينتمون إلى دين النبيّ موسى ؛ ولمّا لم يتابعوا الملك الظالم ، فقد لجأوا إلى الكهف وناموا ثلاثمائة وتسع سنين ثمّ أحياهم الله بعد ظهور المسيح عليه السلام<sup>٢</sup> .

كما أنّ بلعميّ الطبريّ يذكر قصّتهم مفصّلة وفقاً للآيات القرآنيّة ، ثمّ يذكر أنّ نومهم في الكهف كان زمن دقيانوس . ويعتقد كذلك أنّهم لجأوا إلى الكهف قبل السيّد المسيح بجرم متابعتهم شريعة النبيّ موسى وعدم طاعتهم للآلهة .

ثمّ ظهر عيسى فقصّ قصّة أصحاب الكهف الذين كانوا من بني إسرائيل ، وقال إنّهم سيُبعثون فيراهم الناس ثمّ يموتون من جديد ، وإنّ هذه آية على المعاد والقيامة . ثمّ إنّ أحدهم - واسمه مكسمينا - بُعث حيّاً ، وكان كبيرهم فناداهم فُبُعْثُوا جميعاً ، وبُعث كلّهم فقام على أقدامه . وحين شاهد الناس تلك المسكوكة التي أرسلوا بها أحدهم ليبتاع لهم بها طعاماً ، فقد علموا أنّه من أصحاب الكهف الذين قرأوا قصّتهم في الإنجيل ، فاجتمع علماء الإنجيل ليسمعوا منه القصّة - وكان اسمه يملixa - وأخذوه إلى الملك ،

١- «جيب السير» ج ٢ من المجلّد الأوّل ، ص ٢٦ إلى ٢٨ ؛ طبعة طهران .

٢- «تاريخ گزیده» ص ١٠١ ، طبعة لندن .

فقال له الملك : أيها الفتى ؟ أبشرك بأنّ دقيانوس قد مات وانقضى على عهده ثلاثمائة وتسع سنين حتّى يومنا هذا ، ولقد بعث الله نبياً اسمه عيسى جاء بكتاب من السماء اسمه الإنجيل ذكرت فيه قصّتكم . إنّنا نعبد الله ونحن على دين عيسى ، وكنا نترقب خروجكم من الكهف ... ثمّ يذكر القصّة إلى آخرها .<sup>١</sup>

والخلاصة فلا إشكال على ما نقله المؤرّخون من حيث انطباق الزمن ، إلّا أنّهم ذكروا أنّ ذلك الملك الجائر كان دقيانوس ، ومن البين أنّ عهد حكمه كان بعد قرنين ونصف من ولادة عيسى عليه السلام . وجاء في «لغت نامه دهخدا» [معجم دهخدا] بشأن الكهف : وأصحاب الكهف من الروم على دين المسيح ، وروى ابن قتيبة أنّهم كانوا قبل المسيح .<sup>٢</sup>

ويبدو أنّ ما أفاده آية الله الشعرانيّ في هذا المقام أقرب إلى الواقع ، فقد قال : وقد وقعت هذه القصّة في عصور موعلة في القدم ، حيث نقلها أرسطو الذي عاش قبل ميلاد المسيح بما ينيف على ثلاثمائة سنة . والله أعلم كم سنة كان أصحاب الكهف قبل أرسطو .

وكان الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا يعتقد أنّ أصحاب الكهف كانوا قوماً آخرين ، وأنّ القصّة التي نقلها أرسطو قصّة أخرى غير قصّتهم . يقول في طبيعيات «الشفاء» ص ٧٠ في السطرين ما قبل السطر الأخير :  
وَقَدْ حَكَى الْمُعَلِّمُ الْأَوَّلُ أَيْضاً أَنَّ قَوْماً مِنَ الْمُتَأَلِّهِينَ عَرَضَ لَهُمْ شَبِيهٌ بِذَلِكَ ؛ وَيَدُلُّ التَّارِيخُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ .

١- «لغت نامه دهخدا» [معجم لغويّ بالفارسيّة] مادة «أصحاب كهف» ص ٢٧٤١

و ٢٧٤٢ نقلاً عن ترجمة طبريّ بلعميّ ، مخطوطة في مكتبة «دهخدا» .

٢- مادة «كهف» ص ٤٢٣ .



ولعلّ المسيحيّين بعد بعثة السيّد المسيح عليه السلام نسبوا هذه القصة التي كانت متداولة على الألسن في اليونان ونقلها أرسطو ، إلى المؤمنين بالسيّد المسيح عليه السلام تبعاً للارتكاز الذهنيّ .  
وأنّ أكثر مسيحيّ عصرنا لا يقيمون اعتباراً لقصة أصحاب الكهف ، كما أنّ القرآن لم يصريح بزمنهم ، فلا يُستبعد أن تكون القصة قد وقعت قبل المسيح ، أمّا التفاصيل الأخرى غير الموجودة في القرآن ، فهي اقتباس من المسيحيّين المعتقدين بأصحاب الكهف ، اللهم إلا إذا ثبت عن المعصوم شيء آخر .<sup>١</sup>

٦- هل نام أصحاب الكهف مرّة ثانية بعد استيقاظهم أم أُنتم ماتوا ؟  
الروايات الواردة عن رسول الله وأهل البيت في هذا الشأن متفاوتة ، فلبعضها دلالة على أُنتم ناموا ثانية فهم أحياء إلى اليوم ، وبعضها الآخر يدلّ على أُنتم ماتوا بعد استيقاظهم وإطلاع ملك ذلك الزمان على قصّتهم .  
وورد في رواية نقلناها عن تفسير عليّ بن إبراهيم أُنتم حين علموا أنّ الله تعالى جعلهم آية إلهيّة فإنّهم :

بَكُوا وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُعِيدَهُمْ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ نَائِمِينَ كَمَا كَانُوا .<sup>٢</sup>

وعدّ العلامة الطباطبائيّ مدّ ظلّه هذه النكتة أحد وجوه الإشكال على هذه الرواية فقال : ولا كهف معهوداً على وجه الأرض وفيه قومٌ نيامٌ على هذه الصفة .<sup>٣</sup>

كما قال : ومن ذلك ما في بعض الروايات أُنتم قُبِضَتْ أرواحهم ؛ وفي بعضها أنّ الله أرقدهم ثانياً فهم نيام إلى يوم القيامة ، ويقلّبهم كلّ عام مرّتين ثمّ إنّّه يورد رواية عن «الدّر المنثور» عن ابن عباس يقول فيها :

١- «نشر طوبى» مادّة «رقم» ج ١ ، ص ٤١٥ .

٢ و ٣- «الميزان» ج ١٣ ، ص ٣٠٠ .

غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم ، فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذي ذكر الله في القرآن ، فقال معاوية : لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم . فقال له ابن عباس : ليس ذلك لك ، قد منع الله ذلك عمن هو خير منك فقال : **لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا** . ٢١

والرواية مشهورة أوردها المفسرون في تفاسيرهم ، والكهف الذي في المضيق وهو كهف إفسوس المعروف اليوم ، وليس على هذا النعت . والآية التي تمسك بها ابن عباس إنما تمثل حالهم وهم رقود قبل البعث لا بعده . وقد وردت عن ابن عباس في «الدر المنثور» رواية أخرى عن عبد الرزاق وابن أبي حاتم ، عن عكرمة ورد في آخرها بعد ذكر القصة :

فركب الملك وركب معه الناس حتى انتهى إلى الكهف . فقال الفتى : دعوني أدخل إلى أصحابي . فلما أبصروه وأبصرهم ضرب على آذانهم ، فلما استبطؤوه دخل الملك ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا يبلى منها شيء غير أنها لا أرواح فيها . فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم . فغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فمروا بالكهف فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أهل الكهف . فقال ابن عباس : ذهبت عظامهم أكثر من ثلاثمائة سنة - الحديث . ٣

٧- ما علّة خروج أصحاب الكهف من المدينة ودخولهم فيه ؟  
إنّ الله تعالى يذكر قصّتهم في القرآن الكريم على هذا النحو :

١- من الآية ١٨ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٢- «الميزان» ج ١٣ ، ص ٣٠٥ إلى ٣٠٧ .

٣- «الميزان» ج ١٣ ، ص ٣٠٧ .

إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى \* وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ١.

فيذكر لهم ثلاث صفات :

الأولى : أنهم كانوا فتية .

الثانية : زيادة الهداية إلى الكمال ، فنفس الإيمان والتقوى موجب

لزيادة الإيمان .

والثالثة : انشداد القلب إلى خالقه وارتباطه به ، بحيث يتحرر من

الحيرة والشك والقلق والاضطراب ، فيلازم الحق على الدوام ويحترز من

تجاوز الحد وتخطيه .

إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ

ءَالِهَةً لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا \* هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا

يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ٢.

فقد أظهروا حقيقة إيمانهم وصفاتهم بهذه النهضة والإعلان بأن

ربهم رب السماوات والأرض ، وبأنهم لا يعبدون معبوداً غير الله ، إذ

سيكونون حينئذ قد قالوا شططاً وجزافاً من القول . ثم يحكمون بحجّتهم

على حجة قومهم ويعترضون عليهم اتّخاذهم عبادة الآلهة واتباعهم إيّاها

بلا دليل وبرهان جليّ ، بل بتقليد أعمى . ثم يدعونهم بالظلم والجور في

قولهم :

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .

وهي مقولة مشحونة بالحكمة ، قاموا من خلالها بإبطال ربوبية أرباب

الأصنام من الملائكة والجنّ والمصلحين من أفراد البشر الذين تُثبت فلسفة

١- النصف الثاني للآية ١٣ ومطلع الآية ١٤ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٢- القسم الأعظم من الآية ١٤ والآية ١٥ ، من السورة ١٨ : الكهف .

الوثنية ألوهيتهم . وهي فلسفة تُثبت ألوهية الأرباب ، لا نفس الأصنام والتماثيل التي هي صور وأمثلة لأولئك الأرباب ، وتمثل تلك الحقيقة في هذه الصورة والهيئة .

ولقد بدأ هؤلاء الفتية كلامهم هنا بالتوحيد ونداء رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَأَسَدُوا ربوبية الموجودات جميعها إلى ذات الحق ، الحق الذي لا شريك له تعالى ؛ وأبطلوا الوثنية القائلة بإله ورب لكل نوع من المخلوقات ، مثل رب السماء ، ورب الأرض ، ورب الإنسان .

ثم أكدوا مطلبهم بقولهم : لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، فنفوا بهذه الحقيقة الآلهة التي جعلتها الوثنية فوق أرباب الأنواع كالعقول الكلية ، ويعبدها الصابئة والبراهمة وطائفتا السيوا والوشنو .

ثم أكدوا المطلب الآتي بقولهم : لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا .

فأعلنوا أنَّ هذا الكلام مقرون بالظلم والتجاوز والغلو في حق المخلوق الذي يرقى به إلى درجة الخالق . ثم هاجموا قومهم وأبطلوا فلسفتهم بقولهم : اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ وَجَمَلَةِ الْقَوْلِ إِنَّهُمْ وَقَفُوا فِي وَجْهِ الْوثنيتين الذين كانت لهم فلسفتهم ، وأعلنوا التوحيد جهاراً ، فعرضوا للضرب والقتل والاغتيال ، وأجبروا على الفرار من بلدهم واللجوء إلى الكهف الذي كان مقرّ رحمة الله .

ولقد أكرم الله تعالى قدوم ضيوفه ، فضرب على آذانهم - كما يفعل بالأطفال من أجل هدهدتهم وتنويمهم - بنغمات الشوق وجذبات الرحمة الإلهية ، فناموا في ذلك المكان المرتفع الممتع ، يقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال - كالأم العطوف التي تودّع طفلها المهد ، فتبقى ساهرة عنده تهزّ مهده - وذلك لئلا تبلى أبدانهم ، وكانوا ينشقون النسيم الوارد في الغار بمأمن من الشمس وسطوع أشعتها .

## ٨- ما الحكمة في نوم أصحاب الكهف واستيقاظهم ؟

لقد وردت في هذا الشأن آيات عديدة ، إلا أنها لم تعد قصتهم من الأمور العجيبة . وارتباط هذه الآيات بالآيات السابقة لها الدالة على أن الله قد جعل ما على الأرض زينة لها يأنس بها الإنسان ويميل إليها ويصرف همته كلها في التوجه إليها ، غافلاً عن غيرها تماماً ؛ ثم إن الله يبذل الأرض بعد أيام قلائل ساحة خالية جرداء لا يدع فيها أثراً للزينة والموجودات ، وذلك ليشعرنا أن الحياة الدنيا ليست إلا سراباً ولا تستحق أن يميل الناس إليها وينعطفوا باتجاهها .

كما وقع لأصحاب الكهف ، إذ أنامهم الله ثلاثمائة سنة شمسية ، فلما استيقظوا لم يعدوا نومهم وبقاءهم هذه المدة الطويلة إلا لبث يوم أو بعض يوم .

وهكذا الإنسان ، فإنه يعيش في هذه الدنيا فيميل قلبه إلى زخارفها وزبرجها وزينتها وينصرف عما سوى الأمور الدنيوية ويغفل كلياً ، كما في آية أصحاب الكهف .

ثم إن الله يحيي الموتى ويوقظهم من نومهم الثقيل ثم يسألهم :  
 كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ \* قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .<sup>١</sup>  
 كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ .<sup>٢</sup>  
 فليست قصة أصحاب الكهف بالأمر الجديد ، بل إن ملايين الآيات من نظائرها تتكرر وتجري على الإنسان مادام الليل والنهار .  
 إن الله سبحانه يريد في هذه الآيات أن يقول لنبيه : لعلك لم تظن

١- القسم الأعظم من الآية ١١٢ والآية ١١٣ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

٢- مقطع من الآية ٣٥ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

إلى أن اشتغال الناس بالدنيا وعدم إيمانهم بالقرآن لتعلق نفوسهم بزيينة الأرض آية إلهية تشبه آية أصحاب الكهف الذين ناموا ثم استيقظوا . والناس كذلك إذ يعيشون ، ثم يموتون ، ثم يُبعثون .

ليست قصة أصحاب الكهف عجيبة ، فما يجري للناس جميعهم ، من ابتلائهم وفتنتهم بزيينة الدنيا ، وغفلتهم عن أمر المعاد ، ثم بعثهم يوم القيامة وهم يحسبون أن لبثهم في الدنيا لم يكن إلا قليلاً . هو بأجمعه من هذا القبيل .

لقد أنام الله أصحاب الكهف هذه المدة المديدة ثم أيقظهم ليُفهم مُنكري المعاد الذين هم من المتعبددين بالآلهة وأرباب الأنواع والأصنام ، أن الموت والإحياء كرقود أصحاب الكهف واستيقاظهم تماماً .

فكيف - ترى - قبض الله تبارك وتعالى أرواح أصحاب الكهف في هذه المدة الطويلة ، وعطل إدراكاتهم ، وحواسهم ، وسلب منهم الآثار البدنية ، كالنمو ونمو الشعر والأظفار ، وتغير الشمائل والقسمات ، وظهور آثار الكبر والشيخوخة ؛ وحفظ سلامة ظواهر أبدانهم من التلف ، وملابسهم من الرثاثة والبلى ، ثم أعادهم في الكهف كيوم دخلوه . وتلك هي قصة انتزاع الأرواح من الأجساد بالموت ، ثم إرجاعها بتلك الحال التي كانت عليه في الدنيا .

كلتا القصتين من خوارق العادات ، ولا سبيل إلى رفضهما إلا باستبعاد وقوعهما فحسب .

لقد وقعت قصة أصحاب الكهف في عهدٍ دار فيه نزاع شديد حول المعاد وبعث الموتى بين الموحدين المعتقدين بمفارقة الأرواح للأجساد بالموت وعودتها إلى الأبدان عند البعث ، وبين المشركين الذين كانوا يقرّون بمفارقة الأرواح للأبدان عند الموت ، إلا أنهم كانوا ينكرون البعث

والمعاد وعودة الروح إلى البدن .

ولم يُبقِ وقوع هذه القضية وهذه الحادثة المشابهة من جميع الجهات لموت الخلائق قاطبة وبعثها أي تردد وشك للمنكرين أنها كانت آية إلهية تحققت لإزالة الشك والريب في البعث من قلوبهم ، بدلالة المماثل على المماثل ، ورفع الاستبعاد بواسطة التحقق والوقوع .

وعلى كل حال ، فإن إحياء الموتى وبعثهم ليس بالأمر العجيب ، بل شأنه كشأن سائر الأمور اليومية ، إلا أن الإنسان يستبعده لأنه لم يشاهده . وإلا فما العجب فيه ؟ وما البعد في وقوعه ؟

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَنِ الْغَيْبِ .

الكفر بمعنى التغطية والستر ؛ و«الذين كفروا» أي : الذين ستروا وجه الحق ، ولا يخضعون له ويقولون : لن تكون لنا قيامة . لكنهم يخافون من أنفسهم ، وينكرون القيامة لئلا يقعوا في الفخ . وما عليهم إلا أن يصلحوا أنفسهم ولا ينكروا الحق والواقع .

إن الكفار يسلكون طريق القهقري ، فينغمرون في الكفر والسير السبيطة الطالحة ، وينكرون القيامة ، بدلاً من التزكية والعمل الصالح الذي يقربهم إلى القيامة ، مثلهم كمثل الحجل الذي يدفن رأسه تحت الثلج لينجو من يد الصياد ، ويخيل إليه أنه باستتاره واختفائه قد نجا منه ، لكن المسكين لا يعلم أنه قد سلم نفسه للصياد .

قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ . إن ساعة القيامة ستأتي ، سواء أنكرتم أم لم تنكروا . قسماً بعالم الغيب والمطلع على الأسرار والخفايا لتأتين . لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ

مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ<sup>١</sup>.

كُلُّ ما في عالم الوجود مدوّن مسجّل . فيا أيّها الكافر ، كيف تحاول إخفاء نفسك وسيرتك عن ربّك ؟ أفيمكنك الاختفاء بالإنكار ؟!

يقول لقمان لابنه :

يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ<sup>٢</sup>.

كُلُّ ما هو موجود في كتاب مبين وفي عالم الواقع . وعالم الواقع عين العلم الحضوريّ للذات القدسيّة للحقّ تعالى . وعليه فإنّ الموجودات جميعها في عالم الكون والواقعيّة حاضرة عند الله تعالى . فهو ليس محيطاً بها إحاطة علميّة فحسب ، بل إحاطة عينيّة وواقعيّة أيضاً .

إنّ علم الله بالموجودات علم حضوريّ لا حصوليّ ، ومعنى العلم الحضوريّ حضور نفس المعلوم والحقيقة المعلومّة عند العالم . وهكذا فإنّ عين إيمان المؤمن وعمله الصالح ، وعين كفر الكافر وعمله الطالح حاضران عند الله تعالى :

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ.

وهذا الحضور والشهود عند الله تعالى للموجودات بأسرها ، حتّى الذرّات منها ، هو من أجل أن يجزي الله المؤمنين ذوي العمل الصالح ، وأيّ جزاء !!

مغفرة من الله ورزق كريم لا أذى فيه ، رزق ممتع هانئ رفيع .

١- الآية ٣ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

٢- الآية ١٦ ، من السورة ٣١ : لقمان .



وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ .  
أما الذين يقفون في الجانب الآخر مقابل المؤمنين ، فلا يعترفون  
بحقانية الله تعالى ، ويسعون في محو آياتنا والقضاء عليها ، ويريدون  
إخضاع المؤمنين وجرهم إلى الذل والهوان . وهم يسعون حقاً لاستباق أمر  
الله ، فجزأؤهم عذاب من رجز أليم .

بلى ، إن الذين يسعون لإطفاء نور المؤمن وإضعافه وتعجيزه وإذلاله ،  
هم في صدد معاجزة الله ونوره ، لأن المؤمن مظهر الله ومظهره ، ومحل  
تجلي جمال الله وجلاله . فأولئك قد قاموا في الحقيقة بكشف مكنونهم  
وفضح حقيقتهم الدنسة وباطنهم الملوث .

مه فشانند نور و سگ عرو کند هر کسی بر باطن خود می تند<sup>١</sup>  
إن الكلب لا يمكنه تحمّل نور القمر عندما يفيض بأشعته المنيرة  
على العالم في الليالي المقمرة الوضاءة ، فيمتلئ غيظاً وحسداً ويبدأ  
بالعواء . كما أن النمر المشحون استكباراً يرتقي قمة الجبل للإمساك بالقمر  
وافتراسه وتمزيق أوصاله ، فيقفز من قمة الجبل في الفضاء ليمسك القمر  
بمخالبه ، فيسقط ويهوي إلى الوادي السحيق فتنسحق عظامه .  
أي : أنهم يشترون بنفس عملهم هذا الفناء والبوار والهلاك لأنفسهم ،  
ويحفرون قبورهم بأيديهم .

سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ ؛ فهم لا يدركون أن هذا السعي والجهد في  
سبيل القضاء على القمر ونوره هو عين الوصول إلى العذاب الأليم والسقوط  
في أحضان الرجس والنكبات . عذاب تنسحق فيه العظام وتتحطم مئات  
الأوصال ، ومهما اشتد العذاب وأحرق الجلد واللحم ، فإنهم سيذوقون

١- يقول : القمر يسطع بالنور ، والكلب يعوي ؛ وكل ينسج على منواله .

العذاب أكثر بنمو جلدٍ ولحم جديد .

والمثال الواضح أنّ حَاصِل ضرب اثنين في اثنين يساوي أربعة ،  
لكنّه يعاند فيقول إنّهُ يساوي خمسة !!

ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ \* فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ \* إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ  
الْبَشَرِ \* سَأُصْلِيهِ سَقَرَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ \* لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ١ .

هذا العذاب هو نفس إنكارهم واستكبارهم وقد تجلّى في هيئة هذا  
العذاب الأليم والأذى المرير . يقولون : إنّ هذا النبيّ إلّا امرؤ مثّلنا يأمرنا  
وينهانا ويقول إنّ عصيتموني فإنّ هناك قيامة تنتظركم وإنكم ستُجزون  
بأعمالكم . وكيف يعود الجسد البالي المتلاشي إلى حالته الأولى ؟! أو يعود  
البدن الذي تفرّقت وتبدّدت أوصاله إلى الحياة .

إنّ أثر العملية الجراحية يبقى في البدن فلا يبرحه ، فكيف لا يبقى  
أثر من جمع بدنٍ تفرّق إرباً إرباً ، ويحضر الإنسان ببدن تامّ كامل يوم  
القيامة ؟

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ  
إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ٢ .

وهذا كلام سخيف جدّاً ويبعث على السخرية ، وهو قائم على أساس  
التخيّل والكذب .

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ٣ .

ولقد كان الكفّار والمشركون يسعون بهذه الكلمات أن يتصدّوا لعمل  
رسول الله ونشاطاته ويعرقلوا مسيرته ، وذلك من أجل أن يكونوا مطلقي

١- الآيات ٢٣ إلى ٢٨ ، من السورة ٧٤ : المذثر .

٢- الآية ٧ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

٣- النصف الأوّل من الآية ٨ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

العنان في ساحة نشاطاتهم الشهوية ، وفي الاعتداء على حقوق الضعفاء والمساكين والمستضعفين .

بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ١.

نعم ، إنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة ويخالون الدنيا عبثاً ، ويعدون الإنسان مهماً متروكاً بلا حساب في هذا العالم المدهش المليء بالعجائب والغرائب ، هم في العذاب والضلال البعيد .

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ٢.

فما أشدّ ضلالهم وغيثهم ! وما أشدّ عمى قلوبهم وبواطنهم ! وما أتفه فكرهم ودرايتهم ! وما أقلّ تحمّلهم وتأملهم وصبرهم ، وأسرع تخطيهم للأمور !

أفلا يرون أنّ كلّ آياتنا السماوية والأرضية هي في مرأى منهم ومسمع ، ومتى شئنا ، قلبناها وهي منقادة طيعة لإرادتنا ومشيتنا ؟  
أفلا يكفيهم مشاهدة كلّ هذه الوقائع التي ظهرت في الدنيا ، كالرياح والأعاصير والزلازل والخسف وآلاف الآيات الإلهية الأخرى ، كالصواعق والبروق والتغيرات الجوية والبرية والبحرية ؟ أفيريدون الفرار من أيدينا ؟ أو الفرار من أيدي رسولنا ؟

إنّنا لسنا أعداء لهم ، وليس رسولنا عدوّاً لهم ، بل إنّنا ورسولنا ندعوهم إلى الحق والواقعية إذ إنّ هناك ربّاً لبناء الوجود الشامخ هذا ، ولعالم الخلق هذا ؛ وإنّ للإنسان بداية ونهاية ، وإنّ كلّ عمل في هذه الدنيا له ما

١- النصف الثاني من الآية ٨ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

٢- الآية ٩ : من السورة ٣٤ : سبأ .

يقابله في ذلك العالم ، وعلى الإنسان أن لا يتغافل ، إذ أنه سيجد نفسه فجأة أمام جزاء أعماله القبيحة ، وأمام جهنم التي أحاطَ بهم سُرَادِقُهَا .  
إن من لا يمكنه أن ينكر نفسه أو ينكر وجوده ، فلا يمكنه كذلك أن ينكر الله تعالى ، لأن وجود الإنسان ملازم لوجود الله . (أنا موجود) تعني (الله موجود) .

كما أن من لا يمكنه إنكار فعله أو إنكار سلوكه وسيرته ، فإنه لا يمكنه إنكار القيامة . فالسلوك والسيرة ملازمان للجزاء ، بل هما عين الجزاء . عملي يعني جزائي . فعلي يعني جزائي .

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ<sup>١</sup> .  
إن هؤلاء المرضى ينكرون - من أجل أصالة المادة - الحياة الأبدية والمعنوية وحقيقة تجرد الروح ؛ وينكرون المعاد كي لا يتخلفوا عن قافلة عبدة الدنيا والمتأثرين بها ، ويلجئون هذا البحر الخضمّ اللا متناهي غير مباين .

إن هذا الإنسان الذي توصل إلى مقام خليفة الله ، وصار عنواناً ومظهر الله ، قد أسقط نفسه وحطها في دركات ذلّ المادة ، وانغمر في الجاه والآمال الجوفاء التي لا أساس لها ، بحيث صار كمثّل الوحوش التي تجتمع على الجيف ، وصار ينفق فكره وذاكره ودرسه وبحثه وهمّه ومراحل عمره في تناول الجيف . وأصبح لا يفهم شيئاً إلا البطن والمادة والاقتصاد ولا يتوكأ على أساس ، فلا أصالة ولا وجدان ولا روح ولا قيامة . ويقول : لا شيء إلا الدنيا وشؤونها ، وينبغي التوكؤ عليها . وما أكبرها من تهمّة لله ، ولمقام الإنسان ، وللخلقة !

١- الآية ٢٦ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

جعلتم هذا الإنسان الشريف الملكوتي ، الذي هو مرآة تامة الظهور للحق وصفات جماله وجلاله ، ومظهر أسمائه العليا ، الإنسان الذي جاء إلى الدنيا لكسب الفيض والكمال ؛ جعلتموه حيواناً يقتات على الجيف . وأنزلتموه - بهذه المدارس المادية والأنظمة الاقتصادية - عن مقام المعنى والروحانية ، ووضعتوه في مصاف البهائم شبيهاً بالسباع والوحوش . قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ . سنجتمع أخيراً عند الله فيفصل بين منطقتنا ومنطقكم ، ويحكم بالحق ، ذلك اليوم هو يوم الجمع .

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ١ .  
رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ٢ .  
لقد قدم الناس تدريجياً إلى الدنيا ، ثم يرحلون عنها ، فقد جاء بعضهم قبل ألف سنة ، وبعضهم لم يولد إلى الآن ، وسيولد بعد ألف سنة . وجاء جماعة قبل آلاف السنين وستجيء جماعة في المستقبل ، لكن الله سبحانه سيجمع الجميع في عالم واحد وفي يوم واحد . هناك حيث يوم الجمع ؛ وسيجمع الله الناس كلهم ثم يحكم بينهم ويفصل بينهم على أساس النوايا والعقائد والأعمال ، فمن كان له مظلمة في الدنيا أو معضلة لم تحل أو حق سلب منه فلم يتمكن من استرداده ، ولم تكن له حجة أو منطق يمكنه به استرداد حقه في الدنيا ؛ أو كانت له حقيقة تجلّت له فأصّر على إفهامها الناس فلم يدركوها أو يقتنعوا بها ؛ فإن كلّ تلك الأمور سيفصل فيها هناك ، وسيعود الحق إلى أهله ، وكلّ شيء يرجع إلى أصله . وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ .

١- صدر الآية ٩ ، من السورة ٦٤ : التغابن .

٢- الآية ٩ ، من السورة ٣ : آل عمران .

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ\*  
... \* رَبَّنَا وَعَايِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ  
لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ<sup>١</sup>.

---

١- الآيتان ١٩٢ و ١٩٤ ، من السورة ٣ : آل عمران .

فَهْرِسُ التَّأْلِيفَاتِ





بسم الله الرحمن الرحيم  
تقوم مؤسسة ترجمة ونشر  
(دورة العلوم والمعارف الإسلامية)  
من تأليفات  
العلامة آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

بنشر وترجمة كتب سماحته وهي كالاتي :

دورة المعارف :

ثلاثة أجزاء	معرفة الله (١) (الله شناسی)
ثمانية عشر جزء	معرفة الإمام (٢) (امام شناسی)
عشرة أجزاء	معرفة المعاد (٣) (معاد شناسی)

دورة العلوم :

الأخلاق والحكمة والعرفان (٤)

١- رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

(رسالة سير و سلوك منسوب به بحر العلوم)

## فهرس التألیفات

- ٢- رسالة لبّ اللباب في سير وسلوك أُولي الألباب  
(رسالة لبّ اللباب در سير و سلوك أُولي الألباب)
- ٣- التوحيد العلمي والعيني (توحيد علمي وعيني)
- ٤- الشمس الساطعة (مهر تابان)
- ٥- الروح المعزّدة (روح مجرد)

### الأبحاث التفسيرية (٥)

- ١- رسالة بديعة في تفسير آية «الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ»
- ٢- رسالة جديدة في بناء الإسلام على الشهور القمرية (رسالة نوين)

### الأبحاث العلمية والفقهية (٦)

- ١- رسالة حول مسألة رؤية الهلال
- ٢- وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام  
(وظيفة فرد مسلمان در احیای حکومت اسلام)
- ٣- ولاية الفقيه في حكومة الإسلام  
(ولاية فقيه در حکومت اسلام)
- ٤- نور ملكوت القرآن (نور ملكوت قرآن)  
(نور ملكوت قرآن)
- ٥- نظرة على مقالة بسط وقبض نظرية الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش  
(نگرشی بر مقاله بسط و قبض نظریه شریعت دکتر عبدالکریم سروش)
- ٦- الرسالة النكاحية : تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين (وقد طبع  
الكتاب في طبعته الأولى بهذا العنوان : «الحد من عدد السكان ضربة قاصمة لكيان المسلمين»)
- (رسالة نكاحية : كاهش جمعیت ، ضربه ای سهمگین بر پیکر مسلمان)
- ٧- رسالة مسودة القانون الأساسي (نامة پیش نویس قانون اساسی)

## فهرس التأليفات

### الأبحاث التاريخية (٧)

١ - لمعات الحسين عليه السلام

٢ - الهدية الغديرية : رسالتان قائمة ومشقة

(هدية غديرية : دو نامه سياه و سپيد)

هذه هي مجموعة من الكتب التي ألفت من قبل المؤلف قدس سره ، والتي بادرت « مؤسسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف الإسلامية » إلى ترجمتها وتقديمها تدريجاً إلى القراء المحترمين .  
وللحصول على نظرة إجمالية لهذه المؤلفات ، يمكنكم الرجوع إلى نهاية الجزء الأول من هذا الكتاب .



Digitization of the Alexandria Library (GOAL)









